

المسيا المنتظر

نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم

الدكتور أحمد حجازى السقا
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

الناشر




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

المَسِيَّا المنتَظَر

كتاب فى علم مقارنة الأديان

ا ـ فى انجيل يوحنا :

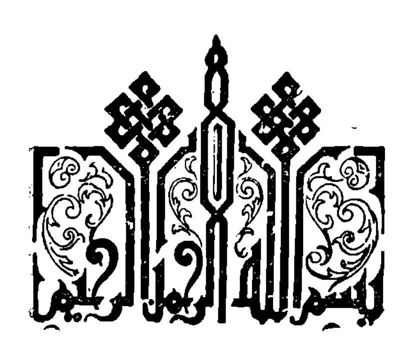
ا ـ « مسيا الذى تفسيره : المسيح » (يوحنا ١ : ٤١)

« Messiah — which means the christ»

ب ـ «قالت له المرأة : أنا أعلمأن مسياالذى يقال له : المسيح ، يأتى، فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شىء » [يوحنا ٤ : ٥٥]

« I Know that messiah — that is, christ»




بسم الله الرحمن الرحيم


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

المسيا المنتظر

نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم

الدكتور أحمد حجازي السقا

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة الثقافة الدينية

١٤ ميدان العتبة بمصر / ت ٩٢٢٦٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

ملاحظة :

ننصح بقراءة كتابنا : « نقد التوراة ـ أسفار موسى الخمسة ـ السامرية والعبرانية واليونانية » قبل هذا الكتاب ، وننصح بقراءة « البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل » مع هذا الكتاب .

الطبعة الأولى بمصر
مطبعة دار التضامن
١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م

رموز أسفار الكتاب المقدس (البيبل)

العهد القديم (التوراة وأسفار الأنبياء) العهد الجديد (الانجيل والأفركسيس والرسائل وسفر الرؤيا)

السفر	الرمز
سفر التكوين	تك
« الخروج	خر
« اللاويين	لا
« العـدد	عد
« التثنية	تث

* * *

السفر	الرمز
« يشوع	يش
« القضاة	قض
« راعوث	را
صموئيل الأول	١ صم
صموئيل الثانى	٢ صم
الملوك الأول	١ مل
الملوك الثانى	٢ مل
اخبار الأيام الأول	١ أى
أخبار الأيام الثانى	٢ أى
عزرا	عزا
نحميا	نح
أستير	أس
« أيوب	أى
« المزامير	مز
« الأمثال	أم
« الجامعة	جا
نشيد الانشاد	نش
« أشعيا	أش
« ارميا	ار
« مراثى ارمياء	مرا
« حزقيال	حز
« دانيال	دان (دا)
« هوشع	هو
« يوئيل	يؤ
« عاموس	عـا
« عوبديا	عـو
« يونان	يون
« ميخا	مى
« ناحوم	نـا
« حبقوق	حب
« صفنيا	صف
« زكريا	زك
« ملاخى	مل (ملا)

* * *

السفر	الرمز
طوبيا	طو

الاسم	الاختصار
يهوديت	به
الحكمة	حك
يشوع بن سيراخ	سير
باروخ	با
المكابيين الاول	امك
المكابيين الثانى	٢ مك

* * *

الاسم	الاختصار
انجيل متى	مت
« مرقس	مر
« لوقا	لو
« يوحنا	يو
أعمال الرسل (الأفركسيس)	أع
الرسالة الى أهل روميه	رو
« الأولى الى أهل كورنثوس	١كو
« الثانية « « «	٢ كو
« الى أهل غلاطية	غل
« الى أهل أفسس	أف
« « فيلبى	فى
« الى أهل كولوسى	كل (كو)
« الأولى الى أهل تسالونيكى	١ تس
« الثانية « «	٢ تس
« الأولى الى تيموثاوس	٢ تى
« الثانية « «	١ تى
« الى تيطس	تى
« « فليمون	فل
« « العبرانيين	عب
رسالة يعقوب	يع
بطرس الأولى	١ بط
« « الثانية	٢ بط
« يوحنا الأولى	١ يو
« « الثانية	٢ يو
« « الثالثة	٣ يو
« يهوذا	يه
رؤيا يوحنا	رؤ

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم للكتاب

الحمد لله رب العالمين . وصلى اللهم وسلم وبارك على النبى الأمى الكريم محمد بن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بخير الى يوم الدين .

أما بعد

فان برنابا فى انجيله يقول : ان عيسى عليه السلام بعد ما تلقى الانجيل من جبريل عليه السلام ، على جبل الزيتون ، ونزل متوجها الى « أورشليم » قابله رجل أبرص ، فشفاه باسم الله . وعندئذ صرخ الأبرص بصوت عال فى بنى اسرائيل أن يأتوا ليروا ويؤمنوا بهذا النبى العظيم . أما عيسى عليه السلام فكان قد دخل هيكل سليمان ليصلى . ولما رأى علماء اليهود أن الناس يودون أن يسمعوا كلمة منه ، طلبوا منه أن يقول كلمة . ففتح فاه قائلا :

« تبارك اسم الله القدوس ، الذى من وجوده ورحمته أراد فخلق خلائق ليمجدوه . تبارك اسم الله القدوس الذى خلق نور جميع القديسين والأنبياء قبل كل الأشياء ، ليرسله لخلاص العالم ، كما تكلم بواسطة عبده داود (١) قائلا : قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك ..

---

(١) ترجمتها الحديثة : « قال لى : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك » [مزمور ٢] .

وحينئذ وبخ يسوع الشعب بأشد عنف لأنهم نسوا كلمة الله وأسلموا أنفسهم للغرور فقط ، ووبخ الكهنة لاهمالهم خدمة الله ، ولجشعهم ووبخ الكتبة لأنهم علموا تعاليم فاسدة وتركوا شريعة الله ووبخ العلماء لانهم أبطلوا شريعة الله بواسطة تقاليدهم ، وأثر كلام يسوع فى الشعب حتى أنهم بكوا جميعهم من صغيرهم الى كبيرهم يستصرخون رحمته ، ويضرعون الى يسوع لكى يصلى لأجلهم ماخلا كهنتهم ورؤساءهم الذين اضمروا فى ذلك اليوم العداء ليسوع لأنه تكلم هكذا ضد الكهنة والكتبة والعلماء فصمموا على قتله ، ولكنهم لم ينبسوا بكلمة خوفا من الشعب الذى قبله نبيا من الله » [بر ١٢ : ٦ – ٧ ، ١٨ – ٢٤]

ثم قال برنابا :

أشاع جنود الرومان الذين يحتلون أورشليم آنئذ أن عيسى عليه السلام « هو الله قد جاء ليفتقدهم » فحدثت بسبب ذلك فتنة كبرى ، لدرجة أن قام الابن على الأب بالسلاح والأخ على الأخ لأن فريقا قال : ان يسوع هو الله قد جاء الى العالم ، وقال فريق آخر : **كلا بل هو ابن الله** ، وقال آخرون : كلا . لأنه ليس لله شبه بشرى . ولذلك لايلد ، بل ان يسوع الناصرى نبى الله ووقف عيسى عليه السلام خطيبا ليخمد هذه الفتنة فقال « أشهد أمام السماء ، وأشهد كل شىء على الأرض أنى برىء من كل ماقد قلتم ، لأنى انسان مولود من امرأة فانية بشرية وعرضة لحكم الله مكابد شقاء الأكل والمنام ، وشقاء البرد والحر كسائر البشر . لذلك متى جاء الله ليدين ، يكون كلامى كحسام يحرق كل من يؤمن بأنى أعظم من انسان » [٩٣ : ٩ – ١١] وعندئذ قدم هيرودوس الملك والوالى الرومانى ورئيس كهنة اليهود وطلبوا من عيسى عليه السلام أن يوضح مايقول ، ويكلم الشعب تسكينا لهم . ف « قال بصوت عال : ليصعد كاهننا الى محل مرتفع حيث يتمكن من تحقيق كلامى ، فصعد من ثم الكاهن الى هناك ، فقال له يسوع بوضوح يتمكن كل واحد من سماعه : قد كتب فى عهد الله الحى وميثاقه : أن ليس لالهنا بداية ، ولايكون له

نهاية [مز ٩٠ : ٢] أجاب الكاهن : لقد كتب هكذا هناك · فقال يسوع : انه كتب هناك أن الهنا قد برأ كل شيء بكلمته فقط [مز ٣٣ :٦] · فأجاب الكاهن : انه لكذلك · فقال يسوع : انه مكتوب هناك أن الله لا يرى وأنه محجوب عن عقل الانسان لأنه غير متجسد ، وغير مركب وغير متغير · فقال الكاهن : انه لكذلك حقا · فقال يسوع : انه مكتوب هناك كيف أن سماء السموات لا تسعه لأن الهنا غير محدود [الملوك الأول ٨ : ٢٧] ، فقال الكاهن : هكذا قال سليمان النبى يايسوع · قال يسوع : انه مكتوب هناك أن ليس لله حاجة أن لايأكل ولاينام ولا يعتريه نقص قال الكاهن : انه لكذلك · قال يسوع : انه مكتوب هناك ان الهنا فى كل مكان وأن لا اله سواه الذى يضرب ويشفى ويفعل كل مايريد [تث ٣٢ : ٣٩] قال الكاهن : هكذا كتب · حينئذ رفع يسوع يديه وقال : أيها الرب الهنا هذا هو ايمانى الذى آتى به الى دينونتك شاهدا على كل من يؤمن بخلاف ذلك ··· حينئذ رفع الشعب أصواتهم باكين وقالوا : لقد أخطأنا اليك أيها الرب فارحمنا ، وتضرع كل منهم الى يسوع ليصلى لأجل أمن المدينة المقدسة لكيلا يدفعها الله فى غضبه لتدوسها الأمم · فرفع يسوع يديه وصلى لأجل المدينة المقدسة ولأجل شعب الله ، وكل يصرخ : ليكن كذلك آمين » [٩١ / ٩٣ / ٩٤ / ٩٥ / ٩٦] ·

« ولما انتهت الصلاة قال الكاهن بصوت عال : قف يايسوع لأنه يجب علينا أن نعرف من أنت تسكينا لأمتنا ؟ أجاب يسوع : أنا يسوع بن مريم ··· بشر مائت ويخاف الله وأطلب أن لايعطى الاكرام والمجد الا لله · أجاب الكاهن : انه مكتوب فى كتاب موسى : أن الهنا سيرسل لنا مسيا الذى سيأتى ليخبرنا بما يريد الله وسيأتى للعالم برحمة الله ، لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق ، هل أنت مسيا الله الذى ننتظره ؟ أجاب يسوع: حقا ان الله وعد هكذا ، ولكنى لست هو لأنه خلق قبلى (١) وسيأتى بعدى ·

---

(١) قال الامام الآلوسى فى تفسيره : « وكان ﷺ مبتدأ وجود العالم عقلا ونفسا فبه بدىء الوجود باطنا ، وبه ختم المقام ظاهرا فى عالم التخطيط · فقال : لارسول بعدى » [روح المعانى ١ ـ ٦٣ ـ ٦٤]

أجاب الكاهن : اننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال أنك نبى وقدوس الله لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها واسرائيل أن تفيدنا حبا فى الله بأية كيفية سيأتى مسيا ؟ أجاب يسوع : لعمر الله الذى تقف بحضرته نفسىأنى لست مسيا الذى تنتظره كل قبائل الأرض كما وعد الله أبانا ابراهيم قائلا : بنسلك أبارك كل قبائل الأرض ، ولكن عندما يأخذنى الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادمى التقوى على الاعتقاد بأنى الله وابن الله ، فيتنجس بسبب هذا كلامى وتعليمى حتى لايكاد يبقى ثلاثون مؤمنا .

حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذى خلق كل الأشياء لأجله ، الذىسيأتى من الجنوب بقوة ، وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام ، وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر ، وسيأتى برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به ، وسيكون من يؤمن بكلامه مباركا . ومع أنى لست مستحقا أن أحل سير حذائه ، قد نلت نعمة ورحمة من الله لأراه . فأجاب حينئذ الكاهن مع الوالى والملك قائلين : لاتزعج نفسك يايسوع قدوس الله ، لأن هذه الفتنة لاتحدث فى زمننا مرة أخرى . لأننا سنكتب الى مجلس الشيوخ الرومانى المقدس باصدار أمر ملكى أن لا أحد يدعوك فيما بعد الله أو ابن الله .

فقال حينئذ يسوع : ان كلامكم لا يعزينى لأنهيأتى ظلام حيث ترجون النور ، ولكن تعزيتى هى فى مجىء الرسول الذى سيبيد كل رأى كاذب فى ، وسيمتد دينه ، ويعم العالم بأسره . لأنه هكذا وعد الله أبانا ابراهيم وان ما يعزينى هو أن لانهاية لدينه لأن الله سيحفظه صحيحا . أجاب الكاهن : أيأتى رسل آخرون بعد مجىء رسول الله ؟ فأجاب يسوع : لايأتى بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله . ولكن يأتى عدد غفير من الأنبياء الكذبة وهو ما يحزننى ، لأن الشيطان سيثيرهم بحكم الله العادل فيتسترون بدعوى انجيلى .

أجاب هير ودوس : كيف أن مجىء هؤلاء الكافرين يكون بحكم الله العادل ؟ أجاب يسوع : من العدل أن من لايؤمن بالحق لخلاصه ، يؤمن بالكذب للعنته ، لذلك أقول لكم : ان العالم كان يمتهن الأنبياء الصادقين دائما وأحب الكاذبين ، كما يشاهد فى أيام ميشع وارمياء ، لأن الشبيه يحب شبيهه » ٠

وبين برنابا :

أن عيسى عليه السلام بين : أن « المسيا » (١) لقب لمحمد رسول الله ﷺ ومن كلامه : « ولما جاء النهار صعد يسوع الى الهيكل مع جم غفير من الشعب ، فاقترب منه رئيس الكهنة قائلا : قل لى يا يسوع : أنسيت كل ما كنت قد اعترفت به : من أنك لست الله و لاابن الله ، ولا مسيا ؟

أجاب يسوع : لا البتة لم أنس ٠ لأن هذا هو الاعتراف الذى أشهد به أمام كرسى دينونة الله فى يوم الدينونة ٠ أجاب رئيس الكهنة : انما أسألك هذا ولا أطلب قتلك ٠ فقل لنا : من كان ابن ابراهيم هذا ؟ أجاب يسوع : ان غيرة شرفك يا الله تؤججنى ، ولا أقدر أن أسكت ٠ الحق أقول : ان ابن ابراهيم : هو اسماعيل ٠ الذى يجب أن يأتى من سلالته مسيا الموعود به ابراهيم : أن به تتبارك كل قبائل الأرض (٢) » (برنابا ٢٠٦ / ٢٠٧ / ٢٠٨ : ١ ــ ١٠ / ٢١٠ : ١ ــ ٨)

---

(١) يوجد فرق بين الاسم واللقب ، فمثلا النبى محمد ٠ لفظ النبى : لقب ، ولفظ محمد : اسم ــ والمسيا بفتح الميم وكسر السين وتشديد الياء مفتوحة لقب لمحمد ﷺ ٠

(٢) روت التوراة ان الله قال لابراهيم عليه السلام « ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » (تك ٢٢ : ١٨) وروت أن البركة فى ١ ــ اسماعيل ٢ ــ واسحق فقط « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ٠ ها أنا أباركه « (تك ١٧ : ٢٠) « وقال الله لابراهيم ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى بل اسمها سارة وأباركها » (تك ١٧ : ١٥) وقد جاء من بنى اسحق صاحب شريعة : هو موسى ٠ وجاء من بنى اسماعيل صاحب شريعة : هو محمد ٠

ويذكر برنابا : أن اليهود طلبوا من عيسى عليه السلام أن يبين لهم اسم المسيا « فقال حينئذ الكاهن : ماذا يسمى مسيا ؟ وما هى العلامة التى تعلن عن مجيئه ؟ أجاب يسوع : ان اسم مسيا عجيب . ان اسمه المبارك : محمد . حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : يا الله أرسل لنا رسولك . يا محمد تعال لخلاص العالم « (برنابا ٩٦/٩٧)

... ...

لقد لفت نظرى لقب « مسيا » الذى بين عيسى عليه السلام أنه لقب لاسم « محمد » رسول الله ﷺ وفكرت أن أبحث عن المسيا . وكان ذلك فى السنة الثانية والسبعين والسبعمائة والألف من الميلاد .

ثم عدلت عن التفكير فى هذا البحث وعن أى بحث . لأن الأستاذالدكتور عوض الله جاد حجازى عميد كلية أصول الدين بالقاهرة ، أشار على بأن أكتب رسالة للدكتوراه فى « مجلة الأزهر وأثرها فى الدعوة الاسلامية » .

وبعد ما قطعت فى هذا الموضوع شوطا ، قابلنى نصرانى ـ ظهر يوم ـ مصادفة وعرفت منه نبوءات عن نبى الاسلام ﷺ مكتوبة فى التوراة وفى الانجيل وفى آخر هذا اليوم ذهبت الى الأستاذ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبه عميد كلية أصول الدين بأسيوط وقصصت عليه ، مع صديق لى ماحدث من هذا النصرانى . فتبسم ضاحكا وقال : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ثم طلب منى أن تكون رسالتى للدكتوراه موضوع « **البشارة بنبى الاسلام** فى التوراة والانجيل »

وفى الصباح قابلت الأستاذ الدكتور عوض الله حجازى فى مكتبه ، وأخبرته بطلب الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو شهبه . فقال : الموضوع الذى طلبه منك جيد ويفيد ، ولكن نصوص البشارات قليلة . ولاتكفى لرسالة دكتوراه وقد تناقل العلماء نصوصها فى الكتب . وفكرت فى كلامه وأنا جالس أمامه . وخطر على بالى أنه اذا كان القدر قليلا ،فان الطلاب

يتحايلون على تكبير المواضيع بما يمت اليهــا بصلة . وفى الامكان أن أضيف على النصوص كلاما كثيرا من بشائر النبوة الخاتمة . مثل شق الصدر وحنين الجذع وكلام الضب ، وشكوى الغزالة . وما شابه ذلك . ولما رآنى قد سكت ، قال لى : ان كنت ترى أن تكتب فيه ، فقدم طلبا تتنازل فيه عن « مجلة الأزهر وأثرها فى الدعوة الاسلامية » ثم قدم طلبا بالموضوع الجديد . ومن المستحسن أن يكتب الأستاذ الدكتور محمد محمد أبوشبهه فى خطة البحث : أقبل الاشراف على هذا الموضوع .

ولما بدأت الكتابة ، كنت أتردد على الأستاذ الدكتور على خليل . رئيس قسم الدعــوة ، والأســتاذ الدكتور عبد الغنى عوض الراجحى . رئيس قسم التفســير ، والأستاذ الدكتور المشرف . لأقـــرأ عليهم شرحى للنصوص ، ولنتشاور فى مدى انطباقها على النبى ﷺ

ولما سافر الأستاذ الدكتــور المشرف الى المملكة العربية الســعودية للتدريس ، فى كلية الشريعة والدراســات الاســلامية بمكـــة ـ جــامعة الملك عبد العزيز ـ قسم الدراسات العليا . وعاد فى الصيف ـ وقـــد كنت أراسله بفصول كاملة فيرسلها وقلمه قد علم عليها بالتوجيه والارشاد قال لى : هل فى التــوراة نصــوص عن محمد ﷺ تختلف عن نصــوص التوراة عن المسيا المنتظر ؟ أم أن النصوص الدالة على النبى ، هى نفسها النصوص الدالة على المسيا ؟ أريد أن أعرف . فانى لما ألفت كتابى « السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة » نقلت فيه بشارات كثيرة من التـــوراة والانجيل تدل على النبى ﷺ . وهذه البشــــارات هى التى تدل على النبى ﷺ ولا تدل على المسيا فيما أعلم . فقلت له : أن نصوص التوراة عن النبى ﷺ هى نفسها التى تدل على المسيا . فقال : لكن بعض المؤلفين يقولون : ان المســيا ، وهــو المســيح الذى ينتظره اليهود ، هــو عيسى عليه السلام ، وأن التــوراة بشرت به وبمحمد ﷺ فقلت له : ليس فى التوراة بشارات الا عن واحد هو محمد ﷺ . فقال : فى الغد تأتى ومعك تفاسير التوراة لننظر معا فى لأمر .

وكان استاذنا المشرف يرى نص التوراة الذى نقله هو فى كتابه « السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة » ويرى فى تفسير التوراة : أن الشراح يقولون : هذا النص يدل على مجىء المسيا . فقال : ائتينى فى الغد بتفاسير الاناجيل الأربعة . ولما نظر قال : الآن علمت . ثم أشار بأن أفصل الكلام بعضه عن بعض . فتكون البشارات باسم النبى مرة ، وباسم المسيا مرة . وسافر ولم أفصل الكلام كما قال ، ثم قرأ الموضوع فى صورته النهائية المعدة للمناقشة ، وكتب تقرير الصلاحية للمناقشة فى يوليو سنة خمس وسبعين وتسعمائة وألف .

... ...

هذا هو كتاب المسيا المنتظر منفصلا كما قال المشرف ـ أتحدث فيه عن : التوراة والانجيل ـ المحكم والمتشابة فى التوراة والانجيل ـ نصوص نبوءات التوراة عن المسيا ـ سبط لاوى ـ أصل كلمة المسيا ـ مسح الأنبياء والملوك والكهنة ـ زمانظهور المسيا ـ ألقاب المسيا ـ ملكوت المسيا ـ المسياالمتألم ـ المسيا النبى والكاهن والملك ـ معنى المسيح عيسى بن مريم ـ المسيا فى نظر السامريين والعبرانيين ـ محاكمة المسيح عيسى بن مريم لا تدل على أنه هو المسيا ـ المسيا من بعد الميلاد .

وأنصح بقراءة كتابنا نقد التوراة . أسفار موسى الخمسة العبرانية والسامرية واليونانية . قبل قراءة كتابنا المسيا المنتظر ، وبقراءة كتابنا البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل معه .

وأخيرا . نشكر الأستاذ الجليل الشيخ « محمود مصطفى بدوى » على مراجعته للكتاب .

والله يوفقنا لما فيه الخير دائما . لنا وللاسلام وللمسلمين .

د / أحمد حجازى أحمد على السقا

ميت طريف ـ دكرنس ـ دقهلية . فى ١٩٧٧/٨/١ م

الفصل الأول

فى

التَّوراة والإنجيل

فى أرض العراق ولد النبى ابراهيم عليه السلام . وهاجر الى « فلسطين » وكانت سارة زوجته عاقرا ، فاتخذت له جارية من أهل « مصر » لعله ينجب منها بنين . ولما دخل عليها أنجب اسماعيل عليه السلام وهو فى السادسة والثمانين من عمره . وفى سن المائة رزقه الله من سارة ولدا . هو اسحق عليه السلام . وفى التوراة أن سارة غارت من هاجر ، وطلبت من ابراهيم عليه السلام أن يبعدها هى وولدها عنها وأن يحرم اسماعيل عليه السلام من ارث النبوة والملك ، أى من البركة التى قال الله عنها لابراهيم : « ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض . من أجل أنك سمعت لقولى » [تك ٢٢ : ١٨] ولما طلبت هذا الطلب سارة . قال الله له : « فى كل ماتقول لك سارة اسمع لقولها . لأنه باسحق يدعى لك نسل ، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك » [تك ٢١ : ١٢ ـ ١٣] فبكر ابراهيم صباحا وانطلق باسماعيل وأمه الى « برية فاران ، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر » [تك ٢١ : ٢١] وفاران هى أرض مكة المكرمة وبقى اسحق فى أرض الفلسطينيين .

ثم ان اسحق عليه السلام أنجب يعقوب عليه السلام . ويعقوب أنجب الأسباط الاثنى عشر وأنجب « دينا » فى أرض فلسطين . وحدث أن اخوة يوسف عليه السلام تشاوروا فى قتله . ونجاه الله تعالى من

أيديهم ، وجعله متسلطا على أرض « مصر » وأنه أرسل الى أبيه واخوته ، أن يتركوا الصحراء التى كانوا يعيشون فيها على الرعى (١) ، الى أرض تفيض لبنا وعسلا . فجاءوا كلهم الى « مصر » . وكان عددهم سبعين نفسا . كما فى التوراة العبرانية [تك ٤٦ : ٢٧] .

وفى « مصر » أثمروا وتوالدوا ، ونموا وكثروا كثيرا جدا ، وامتلأت الأرض منهم . ثم أذلهم فرعون مصر ، بقتل الذكور واستحياء النساء وتسخيرهم فى الأعمال الشاقة المهينة . وقد أدركهم الله برحمته ، فأرسل اليهم نبيا منهم هو موسى عليه السلام ليخرجهم من مصر ، الى صحراء سيناء . ثم الى الأرض المقدسة التى بارك الله فيها للعالمين . وفى طور سيناء أنزل الله تعالى التوراة على موسى عليه السلام « موعظة وتفصيلا لكل شىء » وأمره الله بأن يخصص سبط « لاوى » للتوراة يعرفونها ويعرفون بها ، ويتفرقون فىالأرض بها للعلم والتعليم . ووضح لهم فيها بأن نبيا من بنى اسماعيل عليه السلام سوف يظهر من بعد موسى عليه السلام ليكلم الله العالم عن طريقه وبواسطته . فان بركة ابراهيم فى الأمم هى فى ولديه اسماعيل واسحق عليهما السلام .

وقد دخل بنو اسرائيل الأرض المقدسة مع طالوت وداود عليهما السلام ونشروا كتاب موسى فى الأرض وهدوا الناس به الى الله . ولما زاغوا وفسدوا سلط الله عليهم « نبوخذ ناصر » ملك « بابل » فقتل

---

(١) كلمة عبرى ترجع الى الموطن الأصلى لبنى اسرائيل وذلك لأنهم كانوا فى الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التى لاتستقر فى مكان ، بل ترحل من بقعة الى أخرى بابلها وماشيتها للبحث عن الماء والرعى . وكلمة عبرى فى الأصل مشتقة من الفعل الثلاثى عبر بمعنى قطع رحلة من الطريق أو عبر الوادى أو النهر ... وكل هذه المعانى موجودة فى هذا الفعل سواء فى العربية أو العبرية . **هكذا يقول اليهود** وهم أعرف الناس بأنفسهم .

منهم كثيرا ، وسبى منهم كثيرا الى بابل · وفى هذا الزمان (١) أجمع الضالون من علماء بنى اسرائيل على تحريف التوراة وحرفوها فى « بابل » على أن تكون التوراة شريعة لهم من دون الناس الى يوم القيامة · وعلى أن النبى الذى أخبرت التوراة عن ظهوره لينسخ شريعة موسى ، اذا أتى · فانه سيكون من بنى اسرائيل لا من بنى اسماعيل عليه السلام ·

وجعلوا التوراة خمسة أسفار هى : ١ ـ التكوين ٢ ـ الخروج ٣ ـ اللاويين ٤ ـ العدد ٥ ـ التثنية · ففى التكوين كيف خلق الله السماء والأرض · وكيف تشعبت كل الأرض من آدم وبنيه الى زمان موت يوسف عليه السلام · وفى الخروج كيف خرج بنو اسرائيل من مصر ، منتصرين على فرعون · وكيف نزلت التوراة فى جبل طور سيناء · وفى اللاويين يتحدث الكاتب عن عمل الكهنة والعلماء فى الطقوس الدينية والشعائر · وفى العدد يذكر الكاتب أسماء الأسباط وما تناسل منهم · وفى التثنية أحكام تشريعية زائدة على تشريعات وردت فى سفر الخروج وغيره ·

وكاتب التوراة قد وضع فيها الحق والباطل · وهذا مثال أذكره لمعرفة ذلك :

فى سفر التكوين : أن طوفان نوح عليه السلام قد عم الكرة الأرضية كلها وغرق الناس الا نوحا وبنيه الثلاثة ونساء بنيه ·وكان الطوفان كما تنص التوراة قبل مولد ابراهيم بأقل من ثلاثة آلاف سنة · وهى تحدد مولده فى حدود الألفين من الميلاد · وفى ذلك الوقت كان للمصريين وأهل

---

(١) كان اليهود قبل سبى بابل يسمون ببنى أسرائيل ودينهم كان يسمى بدين الاسلام · وبعد السبى أطلق عليهم الفارسيون لقب يهود · للحظوة التى كانت لملوكهم الذين كانوا من نسل يهوذا عند ملوك الفرس ·

الشام مدنية زاهرة وحضارة راقية ، تشهد عليها الآثار التى خلفوها الى هذا اليوم . وفى التوراة : أن الأرض تشعبت من سام وحام ويافث أبناء نوح عليه السلام ، ومحا الله كل قائم كان على وجه الأرض . وهذا يكذبه مافيها وهو « وتبقى نوح والذين معه فى الفلك فقط » [تك ٧ :٢٣] الذى يدل على أن غير أبنائه ممن آمن به قد نجا فى الفلك . ويؤكد هذا : أن التوراة تنص على أن قابيل ابن آدم أنجب حنوك . وحنوك أنجب عيراد ، وعيراد أنجب محويائيل ، ومحويائيل أنجب متوشائيل ومتوشائيل أنجب لامك . ولامك أنجب « يابال » الذى كان أبا لساكنى الخيام ورعاة المواشى . وأنجب أيضا « توبال قايين » الضارب كل آلة من نحاس وحديد [تك ٤] فالذى كان سيدا لساكني الخيام ، والذى كان سيدا لأصحاب المزامير والطبول ، ظل نسلهما قائما بدون انقطاع الى مابعد الطوفان .

ويقول النصارى : ان التوراة المنسوبة الى موسى عليه السلام جمعها « عزرا » الكاهن ، وأسفار الأنبياء جمعها « نحميا » فى سبى بابل سنة ٥٨٦ ق م يقول الدكتور مراد كامل ، والأستاذ يسى عبد المسيح : « أسفار العهد القديم تنقسم الى قسمين رئيسيين . القسم الأول ويسمى الكتب القانونية الأولى ، والقسم الثانى ويسمى الكتب القانونية الثانية . والكتب الأولى جمعها عزرا الكاهن . وكما جاء فى سفر المكابيين الثانى [ص ٢ : ١٠] نعلم أن « نحميا » أنشأ مكتبة جمع فيها أخبار الملوك والأنبياء وكتابات داود .ورسائل الملوك » (١) .

هذه هى التوراة المنسوبة الى موسى عليه السلام التى بيد السامريين والعبرانيين . مع اختلاف فى بعض الألفاظ والمعانى . وقد ترجمت الى اللغة اليونانية فى القرن الثالث قبل الميلاد . ولم تحرف تحريفا لفظيا من بعد تحريفها فى بابل الى هذا اليوم . والنص المتداول اليوم هو

---

(١) ص د الأسفار التى حذفها البروتستانت.

نفسه النص الذى كان متداولا أيام النبى ﷺ ، ومن قبل زمانة الى زمان بابل .

والسامريون من اليهود لايقدسون الا الأسفار المنسوبة الى موسى عليه السلام . وقد رأى اليهود العبرانيون أن يدونوا تاريخهم من بعد موت موسى عليه السلام الى زمان السبى البابلى فى كتب ، ويضفون عليها صفة التقديس ، ليتداولها الناس جيلا بعد جيل . ولا يهملونها . فكتبوا الأسفار الآتية :

سفر يشوع ـ القضاة ـ راعوث ـ صموئيل الأول ـ صموئيل الثانى ـ الملوك الأول ـ الملوك الثانى ـ أخبار الأيام الأول ـ أخبار الأيام الثانى ـ عزرا ـ نحميا ـ أستير .

وأضاف اليهود العبرانيون الى هذه الأسفار ، أسفارا لتعليم الحكمة وذكر الله عز وجل وهى : سفر أيوب ـ الزبور [المزامير] ـ الأمثال ـ الجامعة .

وأثنـــاء السبى البابلى ظهر فى بنى اسرائيل مدعـــو نبـــوة ، وكتبوا أسفارا يحثون فيها اليهود على الصبر ، ويبثون فى نفوســـهم الأمل فى رحمة الله ، ويعلمونهم أن النبى الذى أخبر عنه موسى سيظهر ـ لأن الله وعد بظهوره ـ ليقيم الدولة ويقضى على الكفار والمنـــافقين ، وليعيش الناس فى أيامه سعداء . والأسفار التى كتبوها هى كما فى التوراة العبرانية : نشيدالانشاد أشعياء ـ ارمياء ـ مراثى ارمياء ـ حزقيال ـ دانيال ـ هوشع ـ يوئيل ـ عاموس ـ عوبديا ـ يونان ـ ميخا ـ ناحوم ـ حبقوق ـ صفنيا ـ حجى ـ زكريا ـ ملاخى .

وفى التوارة اليونانية أسفار زائدة على هذه الأسفار هى :

اسم السفر	مقطع الاسم	عدد الاصحاحات	موضع السفر من أسفار العهد القديم
طوبيا	طو	١ ــ ١٤	بعد سفر نحميا
يهوديت	يهو	١ ــ ١٦	بعد سفر طوبيا
(تتمة أستير)	أس	١٠ ــ ١٦	بعد سفر أستير
الحكمة	حك	١ ــ ١٩	بعد نشيد الانشاد
يشوع بن سيراخ	سى	١ ــ ٥١	بعد سفر الحكمة
باروخ	بــا	١ ــ ٦	بعد مراثى ارمياء
(تتمة دانيال)	دا	٢ ، ١٣ ــ ١٤	مع سفر دانيال
المكابيين الأول	١ مك	١ ــ ١٦	بعد سفر ملاخى
المكابيين الثانى	٢ مك	١ ــ ١٥	بعد المكابيين الأول

... ...

ولما طال بالناس الزمان ٠ واليهود يشيعون كذبا أن النبى المنتظر سيكون منهم من ذرية داود من سبط يهوذا ٠ أرسل الله المسـيح عيسى ابن مريم عليه السلام ليعرف اليهود والعالم ، بأن النبى المنتظر هو محمد رسول الله ﷺ من ولد اسماعيل الذى بارك الله فيه بملك ونبوة ٠ وأيده بالمعجزات الباهرة وأعطاه الانجيل فيه هدى ونور ٠ وبعد رفعه الى السماء وكان اليهود قد اضطهدوه ، كتب بعض تلاميذه كتبا فى حياته ودعوته وسموها أناجيل لتكون عوضا عن الانجيل الذى قد فقد ٠ والانجيل هــو البشرى المفرحة بخبر سار ٠ والخبر هو أن موسى فى التوراة أخبر عــن نبى مماثل له من بنى اسماعيل ٠ والبشرى هى التنبيه على قرب ظهور هذا النبى وتحقق الخبر ، ذلك لأن اليهود كانوا فى شوق اليــه اذ كـــانوا يستفتحون به على الذين كفروا ٠ ويقولون لهــم : سـيظهر نبى ٠ على يديه نفتح بلادكم ونسود عليكم ٠

وقد لعب اليهود الذين تضاهروا بالنصرانية فى الأناجيل الأربعة ؛ فجعلوا عيسى فيها هو ذلك النبى المنتظر ، ولا نبى من بعده الى يـوم القيامة • ولم يكتبوا فيها أنه الاله ، أو اله من آلهة ثلاثة • ولم يصرح عيسى عليه السلام بذلك فى الانجيل • والأناجيل الأربعة التى انتخبهـا النصارى من بين أناجيـل كثيرة هى : متى ـ مارقس ـ لوقا ـ يوحنا ـ والنصارى يقدسونها ويقدسون التوراة العبرانية المترجمة الى اليونانية ، ويطبعون الكـل فى كتـاب يسمى « البيبل » أو « الكتـاب المقـدس » ويبيعونه فى الكنائس وفى المكتبات النصرانية • ويضيف النصارى الى الأناجيل سفر أعمال الرسل وهو يحكى عن تاريخ النصارى من بعـد رفع المسيح عيسى عليه السلام الى سنين من سنى « بولوس » الذى حرف النصرانية ، ورسائل لبعض التلاميذ •

وجميع ما عندهم هو : انجيل متى ـ مرقس ـ لوقا ـ يوحنا ـ أعمال الرسل ـ الرسالة الى أهل رومية ـ الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس ـ الرسالة الثانية الى أهل كورنثوس ـ الرسالة الى أهل غلاطية ـ الرسالة الى أهل أفسس ـ الرسالة الى أهل فيلبى ـ الرسالة الى أهل كولوسى ـ الرسالة الأولى الى أهل تسالونيكى ـ الرسالة الثانية الى أهل تسالونيكى الرسالة الأولى الى تيموثاوس ـ الرسالة الثانية الى تيموثاوس ـ الرسالة الى تيطس ـ الرسالة الى فليمون ـ الرسالة الى العبرانيين ـ رسـالة يعقوب ـ رسالة بطرس الأولى ـ رسالة بطرس الثانية ـ رسالة يوحنـا الأولى ـ رسالة يوحنا الثانية ـ رسـالة يوحنا الثالثة ـ رسـالة يهوذا ـ رؤيا يوحنا •

ومجموع ما فى البيبل اليوم ، هو الذى كان فى أيام النبى محمد ﷺ فان النصرانية لما تكونت على التثليث وعلى أن عيسى عليه السـلام هو خاتم النبيين • تعدلت الأناجيل فى وقت هذا التكوين • واستقرت على هذا التكوين فى العالم •

وهذا مثال أذكره من الأناجيل يتبين منه أنها قصص ، ولم يتفق كتاب الأناجيل على حكايتها كما وقعت . يقول مرقس : « وجاء الى بيت صيدا . فقدموا اليه أعمى وطلبوا اليه أن يلمسه . فأخذ بيد الأعمى وأخرجه الى خارج القرية وتفل فى عينيه ووضع يديه عليه . وسأله : هل أبصر شيئا ؟ فتطلع وقال : أبصر الناس كأشجار يمشون ، ثم وضع يديه أيضا على عينيه وجعله يتطلع ، فعاد صحيحا وأبصر كل انسان جليا . فأرسله الى بيته قائلا : لا تدخل القرية ، ولا تقل لأحد فى القرية » [مر ٨ : ٢٢ ـ ٢٦] .

ويحكى لوقا نفس الرواية فيقول : « ولما اقترب من أريحا ، كان أعمى جالسا على الطريق يستعطى ، فلما سمع الجمع مجتازا ، سأل ما عسى أن يكون هذا ؟ فأخبروه أن يسوع الناصرى مجتاز . فصرخ قائلا : يا يسوع ابن داود ارحمنى . فانتهره المتقدمون ليسكت . أما هو فصرخ أكثر كثيرا : يا ابن داود ارحمنى . فوقف يسوع وأمر أن يقدم اليه ، ولما اقترب سأله قائلا : ماذا تريد أن أفعل بك ؟ فقال : يا سيد ان أبصر . فقال له يسوع : أبصر . ايمانك قد شفاك . وفى الحال أبصر ، وتبعه وهو يمجد الله . وجميع الشعب اذ رأوا سبحوا الله » . [لو ١٨ : ٣٥ ـ ٤٣]

ويحكى متى نفس الرواية ويقول انه كان فى مدينته فى الناصرة « وفيما يسوع مجتاز من هناك ، تبعه أعميان يصرخان ويقولان : ارحمنا ياابن داود . ولما جاء الى البيت تقدم اليه الأعميان . فقال لهما يسوع : أتؤمنان أنى أقدر أن أفعل هذا ؟ قالا له : نعم ياسيد . حينئذ لمس أعينهما قائلا : بحسب ايمانكما ليكن لكما ، فانفتحت أعينهما . فانتهرهما يسوع قائلا : انظرا . لايعلم أحد . ولكنهما خرجا وأشاعاه فى تلك الأرض كلها » [متى ٩ : ٢٧ ـ ٣١]

ولم يذكر يوحنا هذه الحكاية . وواضح منها اختلافهم فى المكان ..
هل هو مدينة « بيت صيدا » أم مدينة « أريحا » أم مدينة « الناصرة » ؟
واختلافهم فى أنهما اثنان أم واحد . واختلافهم فى أنه ناداه بابن داود ،
أم لم يناديه به . ومع هذا فانه فى النص : أن الأعمى مجد الله « وجميع
الشعب اذ رأوا ، سبحوا الله » والنصارى لايلتفتون الى مجد الله وتسبيح الله،
ويقولون : ان الله هو المسيح ، أو أنه ثالث ثلاثة آلهة . كيف يصح قولهم
وفى الانجيل مكتوب أن اليهود لم يمجدوا عيسى ، **وانما لكموه واستهزأوا**
به وسخروا منه ؟ ان هذا لعجيب .

وعبارة « يايسوع ابن داود ، ارحمنى » فى لوقا ، ان لم تدل
على أن يسوع من أهل أورشليم ، الذين يطلق عليهم أبناء داود ،
لا من اليهود السامريين ، فانها تدل على أنها موضوعة فى انجيل لوقا
من بعد موته للتضليل فى حقيقة المسيا ، ذلك لأن لوقا صرح فى الأصحاح
الأول من انجيله بأن يسوع من نسل هارون ، وليس من نسل داود ـ كما
سيأتى ايضاحه ـ

الفصل الثانى
فى
المحكم والمتشابه فى التوراة والإنجيل

يوجد عند اليهود ثلاث نسخ من توراة موسى ـ عليه السلام ـ : العبرانية . والسامرية . واليونانية . وقد اعترف كثيرون من اليهود والنصارى وعلماء الأديان بأن التوراة التى هى أسفار موسى الخمسة كتبها علماء بنى اسرائيل فى « بابل » وزادوا وأنقصوا ، وبدلوا وحرفوا وقد دللنا على ذلك فى كتابنا « نقد التوراة »

والذى نريد ايضاحه ههنا : ـ

أن الذى كتب التوراة الجديدة فى بابل ، صاغها على وفق مراد اليهود فى تعبيرهم . فلقد كان من عاداتهم المبالغة فى الكلام ، وتفخيم الأساليب ، على حد الكلام الشائع « يجعلون من الحبة قبة ، ومن الخردلة جبلا » وكانوا يكثرون فى أساليبهم من التشبيه والاستعارة والكناية . وعلى سبيل المثال : يكتبون عن التلاميذ أنهم أبناء الأنبياء ، وعن الشيوخ المعلمين أنهم أنبياء . وعن الشخص الذى يرسله النبى الى بلد برسالة يطلقون عليه لقب رسول . وعلى هذه الأساليب المفخمة والمبالغ فيها كتب الكاتب ، على وفق مرادهم : أنهم أبناء الله ، وأن موسى اله لفرعون . وهكذا . يعنون : أنهم مفضلون عند الله . وأن موسى عليه السلام كان سيدا لفرعون .

واذا ما سألتهم : هل أنتم أبناء لله على المعنى الحقيقى . وهو

الولادة الطبيعية ؟ لأجابوا بالنفى . وقالوا بالمعنى المجازى (١) أى أننا مقربون من الله . ولو سألتهم : ماذا تعتقدون فى الله عز جاره وجل ثناؤه ؟ لأجابوا : ان الله واحد لا شريك له، ولا شبيه له ، ولا نظير له ، ولا يرى مطلقا ، ولا يقدر أحد أن يراه (٢) . واذا كان الأمر كذلك ، فماذا تقولون فى مثل قول التوراة : ان الله تعالى ظهر لابراهيم عليه السلام ؟ نقول : اننا نعنى بذلك ملكا من ملائكة الله ؛ وليس الله نفسه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وهذه أمثلة على ما تقدم :

فى توراة موسى عن الوحدانية يقول الله تعالى لبنى اسرائيل : « اسمع يا اسرائيل : الرب الهنا رب واحد . فتحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل قوتك ، ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك . وقصها على أولادك ، وتكلم بها حين تجلس فى بيتك ، وحين تمشى فى الطريق ، وحين تنام ، وحين تقوم ، واربطها علامة على يدك ، ولتكن عصائب بين عينيك ، واكتبها على قوائم أبواب بيتك ، وعلى أبوابك » (تثنية ٦ : ٤ ـ ٩)

---

(١) لو قلت أنت : (رأيت أسدا فى الغابة) فان لفظ الأسد على الحقيقة . ولو قلت : (رأيت أسدا فى المنزل) فان لفظ الأسد على المجاز ، أى الرجل الشجاع تشبيها له بالأسد . استعرت لفظ الأسد من الحيوان المفترس للرجل الشجاع ، وحذفت المشبه وهو الرجل ، وتركت المشبه به وهو الأسد ، مبالغة فى التشبيه . والقرينة التى وضحت أنه على المجاز كلمة (فى المنزل) فان الأسد الحقيقى لا يعيش فى المنازل .

(٢) وأما قولهم « عزير ابن الله » فهذا القول منهم على معنى أنه أكثر قربا منهم لدى الله عز وجل . وقد أطلقوه على عزرا . بعد سبى بابل بعد ما كتب عزرا لهم التوراة . وزعموا أن النور الالهى يحل الآن على قبره الذى هو فى البطائح بالعراق . وعزير هذا ليس نبيا ولا وليا وانما هو رجل فاسق من العلماء . حرف لهم توراة موسى عمدا ، كما تهوى أنفسهم ولذلك عظموه وبالغوا فى تفخيم شأنه .

قال صاحب « الفارق بين المخلوق والخالق » ان عزرا الذى حرف التوراة هو « عزير » الوارد اسمه فى القرآن الكريم .

وفى التوراة : عن تنزيه الله تعالى : (أ) أن الله لا يرى مطلقا ففى سفر التثنية : « فكلمكم الرب من وسط النار . وأنتم سامعون صوت كلام ، ولكن لم تروا صورة بل صوتا . فاحتفظوا جدا لأنفسكم ، فانكم لم تروا صورة ما . يوم كلمكم الرب فى حوريب من وسط النار » (تثنية ١٢:٤ و ١٥) (ب) ويقول الله عن نفسه : « ليس مثلى فى كل الأرض » (خروج ٩ : ١٤) وقال موسى عن الله « ليس مثل الله » (تثنية ٣٣ : ٢٦)

وعلماء بنى اسرائيل معترفون بان الله واحد ، ولا شبيه له ولا نظير . يقول موسى بن ميمون :

« ان التوراة تكلمت عن الله بلسان بنى آدم ، وأن معتقد التجسيم لم يدعه الى التجسيم نظر عقلى ، بل تبع ظواهر نصوص الكتب » (١) ويقول موسى بن ميمون أيضا : « ان كل ما يؤدى الى الجسمانية ، أو مايؤدى لانفعال وتغير ، أو مايؤدى لعدم – مثل أن لايكون له شىء بالفعل ، ثم يصير بالفعل – أو ما يؤدى لشبه شىء من مخلوقاته ، يلزم نفيه عن الله بالبرهان الواضح . وقد صرح فى كتب الأنبياء بنفى التشبيه . فقال « فبمن تشبهوننى فأساويه ؟ » [أشعياء ٤٠ – ٢٥] وقال : « فبمن تشبهون الله ؟ وأى شبه تعادلونه به ؟ » [أش ٤٠ : ١٨] وقال : « انه لا نظير لك يارب » [ارمياء ١٠ : ٦] (٢)

وفى انجيل برنابا أن متى سأل عيسى عليه السلام عن معنى قوله : « كل شىء يأتى من يد الله » [برنابا ١٠٤ : ٧] وأجابه عيسى عليه السلام بأن اليد لاتفسر بحسب ظاهر اللفظ . فالله لايد له كأيدى البشر . يقول برنابا : « يامعلم ، انك لقد اعترفت أمام اليهودية كلها بأن ليس لله من شبه كالبشر . وقلت الآن : ان الانسان ينال من يد الله . فاذا كان لله يدان .

---

(١) دلاله الحائرين / فصل ٥٣
(٢) دلالة الحائرين / فصل ٥٥

فله اذن شبه بالبشر ؟ أجاب يسوع : انك لفى ضلال يامتى . ولقد ضل كثيرون هكذا ، اذ لم يفقهوا معنى الكلام ، لأنه لايجب على الانسان أن يلاحظ ظاهر الكلام ، بل معناه » .

ويقول ابن كمونة اليهودى فى تنقيح الأبحاث : « يجب أن يكون الأصل الأول فيما يسنه النبى الحقيقى : أن يعرف الناس **أن لهم صانعا واحدا ، حيا قادرا لا شريك له فى ملكه ، ولا شبيه ولا نظير** ، عالما بالسر والعلانية ، لا يعزب عن علمه شىء فى السموات ولا فى الأرض . وأن من حقه أن يطاع وأنه قد أعد السعادة لمن أطاعه ، والشقاوة لمن عصاه . وأن يقرر عندهم أمر المعاد الأخروى . وأن هناك من اللذة الأبدية ماهو ملك عظيم ، ومن الألم ماهو عذاب مقيم » (١) .

فالتوراة لا تجسم الله - عز وجل - كما بينا من نصوصها . والأصوليون من علماء بنى اسرائيل لايجسمون الله عز وجل . وانما يجسمه العلماء السفهاء الذين كتبوا «التلمود» ففيه : أن النهار اثنتا عشرة ساعة . فى الثلاثة الأولى منها ، يجلس الله ويطالع الشريعة ، وفى الثلاثة الثانية يحكم ، وفى الثلاثة الثالثة يطعم العالم ، وفى الثلاثة الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك (٢) .

هذا هو الأصل فى التوراة عن الله . فاذا جاءت نصوص أخرى تفيد كلام الله لأى شخص أو ظهوره لأى شخص فان هذه النصوص الأخرى تؤول على معنى مجازى ، ويرد المتشابه منها الى المحكم . مثال ذلك :

ورد فى التوراة : أن الله كلم موسى تكليما . وورد فى التوراة ان الله كلم موسى من وراء حجاب . لابد فى هذه الحالة أن نقول ان كلام الله

---

(١) ص ١٤ - ١٥ تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث
(٢) ص ٣٦ الكنز المرصود فى قواعد التلمود

لموسى لم يكن وجها لوجه . بل كان من وراء حجاب . لماذا ؟ لأن فى التوراة نصوص تفيد بأن الله لا يرى البتة ولايقدر أحد أن يراه . ففى التوراة : « ان كان منكم نبى للرب . فبالرؤيا أستعلن له . فى الحلم أكلمه . وأما عبدى موسى فليس هكذا . بل هو أمين فى كل بيتى . فما الى فم أتكلم معه » (خروج ١٢ : ٦ ـ ٨) والمعنى : أن الله اذا أراد أن يكلم بشرا فانما يكلمه :

١ ـ اما بواسطة رؤيا أى فى حلم الليل .

٢ ـ واما بواسطة الكلام من وراء حجاب .

٣ ـ واما بواسطة رسول من الله .

أما حديث الله مع أى شخص عيانا جهارا ، فهذا لا يكون .

والنص الذى يبين أن كلام الله لموسى كان فما الى فم . يعارضه نص آخر يفيد أن الله كان يكلم موسى من فوق غشاء التابوت من بين الكروبين ، وموسى يسمع الصوت ففى سفر الخروج : « وأنا أجتمع بك هناك ، وأتكلم معك من على الغطاء . من بين الكروبين (١) اللذين على تابوت الشهادة» (خروج ٢٥ : ٢٢) فمنعا للمعارضة : لابد من رد النص الأول وهو أنه كلمه فما الى فم ، الى النص الثانى وهو أنه كان يكلمه وهو يسمع صوت الله من جهة غطاء التابوت . ومما يؤكد أن النص الثانى هو المراد : قول الله لموسى : « لا تقدر أن ترى وجهى . لأن الانسان لا يرانى ويعيش » (خروج ٣٣ : ٢٠) وعلى ذلك يكون معنى فما الى فم ليس هو الكلام وجها لوجه ، بل هو يدل على امتياز موسى عن غيره فى طرق الخطاب . **وعلى ذلك لايكون عيسى هو الله ، أو اله مع الله ، لأن الناس قد رأوه . والله لا يرى .**

وفى التوراة كثير من هذه العبارات مثل « الله نار » ـ « الله غيور » وعلى التفسير الحرفى ـ أى على المعنى الحقيقى للفظ ـ لا يصدق

---

(١) رسم الملائكة على التابوت .

العقل بأن الله نار تحرق ، أو غيور كالانسان . لأن الغيرة من لوازمها التغير والانفعال ، والله منزه عن ذلك . ولما كانت التوراة قد ذكرت أن الله لا يشابه الأشياء المرئية فى السموات أو فى الأرض أو فى السماء فيجب أن نستنتج من ذلك : أنه يجب فهم هذه العبارات وغيرها فهما مجازيا . أى الله قوى ومنتقم وعادل وهكذا .

وكاتب التوراة أحيانا كان يضع لفظ الرب أو يضع لفظ الاله . ثم يشير الى قصده من اللفظ . هل هو على الحقيقة أم هو على المجاز ؟

مثال ذلك : لما ارتحل بنو اسرائيل من مصر مع موسى عليه السلام « كان الرب يسير أمامهم نهارا فى عمود سحاب ليهديهم الى الطريق . وليلا فى عمود نار ليضىء لهم » (خروج ١٣ / ٢١) والمقصود من «الرب» « : ملك من الملائكة لقوله : « فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر اسرائيل وسار وراءهم ، وانتقل عمود السحاب من أمامهم ، ووقف وراءهم » (خروج ١٤ : ١٩)

ومن النصوص التى ذكرناها من التوراة على أن الله تعالى اله واحد وليس كمثله شىء . يتأكد أن لفظ « أبناء الله » الذى يطلقه اليهود على أنفسهم ، ليس على حقيقته . أى لايدل على البنوة الطبيعية . فان اليهود مثل المسلمين يقولون : بأن الله لم يلد ، ولم يولد ، ولا كفء له ، ولانظيرله وانما يدل لفظ ابن الله عندهم على المعنى المجازى أى الشخص قريب من الله .

انك تجد فى التوراة : أن اليهود جميعا أبناء الله ففى سفر التثنية : يقول الله تعالى ـ كما كتبوا ـ « أنتم أولاد للرب الهكم . لا تخمشوا أجسامكم ، ولا تجعلوا قرعة بين أعينكم ، لأجل ميت . لأنك شعب مقدس للرب الهك . وقد اختارك الرب لكى تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض » (تثنية ١٤ : ١ ـ ٢) وفى التوراة

أن اليهود تضرعوا الى الله • وقالوا له : « أنت أبونا • تطلع من السموات وانظر من مسكن قدسك ومجدك • أين غيرتك وجبروتك ؟ زفير أحشائك ومراحمك • نحوى امتنعت • فانك أنت أبونا • وان لم يعرفنا ابراهيم ، وان لم يدرنا اسرائيل • أنت يا رب أبونا • ولينا • منذ الآبد اسمك « (أشعياء ٦٣ : ١٥ ـ ١٦)

ويقول الله تعالى عن داود عليه السلام : « وجدت داود عبدى • بدهن قدسى مسحته ، الذى تثبت يدى معه • أيضا ذراعى تشدده ، لا يرغمه عدو • وابن الاثم لا يذلله • وأسحق أعدائه أمام وجهه ، وأضرب مبغضيه • أما أمانتى ورحمتى فمعه ، وباسمى ينتصب قرنه • وأجعل على البحر يده ، وعلى الأنهار يمينه • هو يدعونى : أبى أنت الهى وصخرة خلاصى • أنا أيضا أجعله بكرا أعلى من ملوك الأرض » (مزمور ٨٩ : ٢٠ ـ ٢٧) • ففى هذا النص تجد أن « ابن الاثم » لا يقوى على داود ، والاثم شىء معنوى لا ولد له • وتجد أنه يدعو الله : « أبى أنت الهى وصخرة خلاصى » وداود نبى معظم يعتقد بأن الله لم يلد ولم يولد •

ومن هذه النصوص وشبهها ، لا يقول اليهود بأنهم أبناء الله بالطبيعة ، لايقولون بذلك ، ولايقولون بأن الله أبوهم بالطبيعة ، بل هو أب على طريق المجاز • كما تقول « الفقراء عيال الله ، والأغنياء وكلاء الله » • وهكذا •

وفى التوراة تجد قول الله لموسى عليه السلام : « فقال الرب لموسى : أنظر أنا جعلتك الها لفرعون ، وهرون أخوك يكون نبيك • أنت تتكلم بكل ما آمرك • وهرون أخوك يكلم فرعون » (خروج ٧ : ١ ـ ٢) ومع ذلك لا يقول اليهود بأن موسى اله أو شبه اله • بل يفسرون النص بقولهم « الها » أى سيدا (١) • يقول « سبينوزا » الفيلسوف اليهودى ما نصه :

---

(١) وعلى هذا المعنى يكون قول القرآن « ما علمت لكم من اله غيرى » أى سيد ، لا أن المصريين كانوا يعبدون فرعون • لأنه قال « ويذرك وآلهتك » •

« ويسمى العبرانييون النبى « نبيا » أى خطيبا أو مفسرا . ويستعمل فى الكتاب بمعنى : مفسر الله . كما هو واضح فى الأصحاح ٧ الآية ١ من سفر الخروج . يقول الله لموسى : « أنظر قد جعلتك الها لفرعون ، وهرون أخوك يكون نبيك » . وكأنه يقول : لما كان هارون بتفسيره كلام موسى لفرعون يقوم بدور النبى ، تكون أنت يا موسى كاله لفرعون . أى من يقوم بدور الله » (١) .

ونجد أن اليهود كتبوا فى التورة أنهم جميعا آلهة أ ىسادة . ومع ذلك لا يقول أى فرد فيهم انه اله على المعنى الحقيقى يخلق ويرزق . ففى زبور داود عليه السلام يقول الله لليهود : « أنا قلت انكم آلهة وبنو العلى كلكم . لكن مثل الناس تموتون » (مز ٨٢ : ٦ ــ ٧)

ومن عادة اليهود : أن ينسبوا الى الله تعالى كل شىء يتعلق بــه ، أو كل شىء قد أتى منه ، ويسمون الذى يتعلق بالله ، أو الذى يأتى منه الهيا . لأنه :

١ ــ يتعلق بطبيعة الله ، كأنه (٢) جزء من الله . مثل قدرة الله . فان سحرة فرعون لما لم يقدروا على اخراج البعوض من أرض مصر « قال العرافون لفرعون : هــذا أصبع الله » [خروج ٨ : ١٩] أى قدرة الله . وعبر عن القدرة بالاصبع . أى أن الفعل الخارق للعادة ، الذى لا يعــرف الناس له سببا ، ولا يقدرون على فعله ، ينسبونه الى الله تعالى .

٢ ــ يكون فى قدرة الله أو يخضع لفعل الله . وبهذا المعنى سميت السموات فى الكتب المقدسة سماوات الله لأن الناس لا يعرفون لها صاحبا ألا الله ، فنسبوها اليه .

---

(١) ص ١٢٣ رسالة فى اللاهوت والسياسة .

(٢) لاحظ كأنه للتشبيه . فالله تعالى ليس له أجزاء ولا أبعاض ولا هو مركب .

٣ ـ يوهب لله مثل : معبد الله . قربان الله . خبز الله .

٤ ـ ينقله الأنبياء الى الناس ، ولم تتكشف طريقته للناس . كما تكشفت الى الأنبياء . فمثلا يطلق على شريعة موسى : شريعة الله .

٥ ـ يعبر عن أعلى الدرجات مثل « جبال الله » أى الجبال الشاهقة التى لايقدر أحد من البشر على أن يصنعها كما يقدر على صناعة تل أو كومة من التراب .

وعلى هذا المعنى تجد أن لوقا كاتب الانجيل يقول : ان آدم ابن الله [لو ٣ : ٣٨] لأنه لا نسب له يعرف . ومالا يعرف له سبب ، ينسب الى الله ، لأن كل شيء منه . ومثل ذلك فعل الانسان ينسب الى الله على معنى أن الكون ومافيه من خلقه وحده ، وينسب الفعل الى العبد باعتباره هو المباشر لايجاد الفعل .

وعلى هذا المعنى نجد عيسى عليه السلام يفسر لقومه معنى « الاله » ومعنى « ابن الله » فيقول لهم ان فى التوراة : أن اليهود أبناء لله . وعلى ما فى التوراة . فان أى فرد فيكم ـ صالحا كان أو هو فاسد ـ بشهادة التوراة ، يطلق عليه لقب « ابن الله » ليس لأن الله ولده ـ تعالى الله عن ذلك علواكبيرا ـ بل لأنه آتمن الله ، وحياته متعلقة به . وكل فرد يطلق عليه لقب « الاله » ليس على أنه اله حقيقى ، بل على معنى أنه سيد ورئيس وعظيم . وهكذا .

لقد قال عيسى عليه السلام لبنى اسرائيل : « مكتوب للرب الهك تسجد ، واياه وحده تعبد » (متى ٤ : ١٠) وساله عالم من علماء اليهود : « أية وصية هى أول الكل ؟ فاجابه يسوع : ان أول كل الوصايا هى : اسمع يا اسرائيل . الرب الهنا رب واحد . وتحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك . هده

هى الوصية الأولى (مرقس ١٢ : ٢٨ ـ ٣٠) وقال لمريم اردجلية : « قال لها يسوع : يا مريم . فالتفتت تلك ، وقالت له : ربونى ـ الذى تفسيره يا معلم ـ قال لها يسوع : لا تلمسينى ، لأنى لم أصعد بعد الى أبى ، ولكن اذهبى الى اخوتى . وقولى لهم : انى أصعد الى أبى وأبيكم ، والهى والهكم » (يوحنا ٢٠ : ١٦ ـ ١٧) لقد نادته مريم بقولها : « يامعلم » أى أن عيسى فى نظر أتباعه لا يزيد ع نكونه أستاذا معلما ، ومرسلا من الله . وقوله : « لم أصعد بعد الى أبى » يقصد به الأبوة المجازية ، كما كتب اليهود فى التوراة : « أنت يارب أبونا » ويقصد به الأبوة المجازية ، بدليل قوله : « اذهبى الى اخوتى » فقد جعل تلاميذه وأتباعه كلهم اخوة . وهو مساوى لهم فى درجة البشرية والانسانية . وبدليل : « أبى وأبيكم » أى أن الله أب للكل مجازا ، وليس أب لعيسى عليه السلام وحده . وأكد على الأبوة بالمجاز بقوله : « والهى والهكم » أى « ربى وربكم »

وقد أراد اليهود قتل عيسى عليه السلام ، ولم يجدوا فيه علة تستوجب القتل . فاتهموه بأنه جعل نفسه الها ، وجعل نفسه ابن الله . وقد دافع عن نفسه فقال : كل فرد فيكم بشهادة التوراة يطلق عليه لقب الاله ولقب ابن الله . وفيكم الصالح وفيكم الفاسد ، وفيكم الطيب وفيكم الخبيث . فاذا أطلقت على نفسى بشهادة التوراة لقب الاله أو ابن الله ـ وأنا صالح ولست فاسدا ـ لا أكون مستوجب القتل . اننى لست فاسدا ولست خبيثا . بل أنا من بنى اسرائيل ، مرسل من الله اليهم . وأنا صالح لم افعل اثما . يقول يوحنا : « فتناول اليهود حجارة ليرجموه . أجابهم يسوع : أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبى ، بسبب أى عمل منها ترجموننى ؟

أجاب اليهود قائلين : لسنا نرجمك لأجل عمل حسن . بل لأجل تجديف . فانك وأنت انسان تجعل نفسك الها .

أجابهم يسوع : أليس مكتوبا فى ناموسكم (١) : أنا قلت : انكم آلهة ؟ ان قال آلهة لأولئك الذين صارت اليهم كلمة الله . ولا يمكن إن ينقض المكتوب . فالذى قدسه الآب (٢) ، وأرسله الى العالم . أتقولون له : انك تجدف ؟ » [يو ١٠ : ٣١ : ٣٦] يريد أن يقول : ان الذين صارت اليهم كلمة الله . وهم اليهود الذين ائتمنوا على شريعة الله . كل فرد فيهم يستحق لقب ابن الله ، سواء كان بارا أو كان فاجرا . وأنا يهودى صالح . والصالح أولى باللقب من غيره . فلماذا تقولون : اننى أسأت الأدب فى حق الله لما قلت : باننى ابن الله ؟ أنا ابن الله كما قال داود على لسان الله تعالى : « أنا قلت : انكم آلهة وبنو العلى كلكم » [مز ٨٢ : ٦]

وعلى هذا المعنى المجازى ـ وهو المعنى الصحيح ـ قال النصارى كما قال اليهود : انهم أبناء الله وأحباؤه . ليس بالولادة الطبيعية ، بل بالمعنى المجازى . يقول يوحنا : « وأما كل الذين قبلوه ، فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله . أى المؤمنين باسمه » [يو ١ : ١٢] فقد فسر يوحنا أولاد الله بأنهم المؤمنون باسمه . ولم يفسر بالولادة الطبيعية . ويقول بولس : « لأنكم جميعا أبناء الله » [غلا ٣ : ٢٦] واعترف النصارى بأن عيسى عليه السلام أخ لكل مؤمن منهم ، كما هم اخوة بعضهم لبعض . يقول بولس : « هو بكرا بين اخوة كثيرين » [رو ٨ : ٢٩] وكان عيسى عليه السلام ينادى تلاميذه أحيانا بقوله : « ياأولادى » [يو ١٣ : ٣٣] كما دعاهم « أحباء » (يو ١٥ : ١٤ـ ١٥) ولقبهم بالرسل فى قوله : « ها أنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب » [مت ١٠ : ١٦] ولقبهمبالعبيد . ثم لقبهمبالأحبة . يقول لتلاميذه : « أنتمأحبائى . انفعلتم ماأوصيكم به لا أعود أسميكم عبيدا لأن العبد لايعلم مايعمل سيده . لكنى

---

(١) يشير بذلك الى مافى التوراة وهو : « أنا قلت انكم آلهة ، وبنو العلى كلكم » [مز ٨٢ : ٦]

(٢) الآب : بمد الهمزة وتخفيف البـاء ساكنة : أى الله عز وجل . وكلمة « آب » عبرنية تساوى كلمة الأب فى العربية بهمزة بدون مد .

قد سميتكم أحباء لأنى أعلمتكم بكل ماسمعته من أبى » [يو ١٥ : ١٤ - ١٥]

وكذلك تلاميذ عيسى الأولون ، لقبوا تلاميذهم بلقب « الأخ » يقول بولس لقساوسة « أفسوس » : « والآن أستودعكم ياإخوتى لله ، ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيكم وتعطيكم ميراثا مع جميع المقدسين » [أع ٢٠ : ٣٢]

وبطرس قال عن الأساقفة والكهنة : انه « رفيقهم » فى قوله : « أطلب الى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم » (١ بطرس ٥ : ١) ودعاهم تارة « اخوة » (١ بطرس ٥ : ١٢) وتارة « أبناءه » (١ بطرس ٥ : ١٣)

ويوحنا دعا تلاميذه من الكهنة : « أولادى » يقول : « ليس لى فرح أعظم من هذا : أن أسمع عن أولاده ، أنهم يسلكون بالحق » (يوحنا الثالثة : ٤)

وبولس دعا تلميذه تيموثاوس « الابن الصريح فى الايمان » (١تيمو ١ : ٢) ودعاه أيضا أخا فى قوله : « اعلموا أنه قد أطلق الأخ تيموثاوس الذى معه سوف أراكم . ان أتى سريعا » (عبرانيين ١٣ : ٢٣)

وبولس دعا تلميذه تيطس أسقف كريت : « الابن الصريح حسب الايمان » (تيطس ١ : ٤) وبولس أطلق على امرأة أنثى شماسة فى كنيسة : لقب « الأخت » فى قوله « أوصى اليكم باختنا فيبى التى هى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا » (رومية ١٦ : ١)

والنصارى يقول الأرثوذكس منهم بأن الله هو المسيح ، ويقول الكاثوليك منهم والبروتستانت بأن المسيح اله منفصل عن الله ، الخالق

للسموات والأرض ، ويقولون ان المسيح ابن بالولادة الطبيعية (١) ·
ويستدلون على أنه ابن طبيعى بكلمات غامضة ، مع أن قول المسيح للمجدلية :
« اذهبى الى اخوتى » يدل على أنه بشر كسائر البشر ، ورسول كسائر
الرسل · لأن هذا اللفظ مشترك بينهم على عبودتهم جميعا لله ·

* * *

وأساليب التوراة مشابهة لأساليب الانجيل فى المبالغة والتفخيم
والتشبيه والاستعارة والكناية ·

ففى سفر أشعياء يتنبأ « أشعياء بن آموص » على خراب مدينة
« بابل » فيقول : « هو ذا يوم الرب قادم قاسيا بسخط وحمو غضب ،
ليجعل الأرض خرابا ويبيد منها خطاتها · فان نجوم السموات وجبابرتها
لا تبرز نورها · تظلم الشمس عند طلوعها ، والقمر لا يلمع بضوءه ··
أزلزل السموات ، وتتزعزع الأرض من مكانها » (أشعياء ١٣ : ٩ ـ ١٣)
ولا أظن أن هناك من يعتقد بأن ذلك قد حدث بالفعل ، عندما هدمت
امبراطورية « بابل » فما تزلزلت السموات ، وما تزعزعت الأرض ·
وكذلك تحدث « متى » عن خرب أورشليم (القدس) على يد
المسلمين (١) فيقول عن عيسى عليه السلام : « وللوقت بعد ضيق تلك
الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء ،
وقوات السموات تتزعزع · وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان » (متى
٢٤ : ٢٩ ـ ٣٠)

---

(١) فى كتاب « شرح التعليم المسيحى فى قواعد الايمان الكاثوليكى »
المطبوع فى بيروت سنة ١٨٩٦م يقول المؤلف : « المسيحيون أبناء الله
بالذخيرة والنعمة ، والمسيح ابن الله بالطبيعة » [ص ١٢ ذيل الفارق بين
المخلوق والخالق]

(١) انظر كتابنا : البشارة بنبى الاسلام · أنظر فصل
« ابن الانسان » ·

وكذلك يقول « أشعياء » عن اليهود الراجعين من بابل بعد ماسباهم « نبوخذ ناصر » : « ولم يعطشوا فى القفار التى سيرهم فيها ، أجرى لهم من الصخر ماء ، وشق الصخر ففاضت المياه » (٤٨ : ٢١) والصخر لم يجر منه الماء ، والصخر لم تفض منه المياه . وكل مايقصده بكلماته هذه : هو أن اليهود سيجدون فى الصحراء ماء للشرب . وعندما عادوا الى أورشليم بعد موافقة « كورش » لم تحدث مثل هذه المعجزات بالفعل . ومن ذلك قول متى : « واذا حجاب الهيكل قد انشق الى اثنين ، من فوق الى أسفل . والأرض تزلزلت ، والصخور تشققت ، والقبور تفتحت » (متى ٢٧ : ٥١ - ٥٢) وغير الواقف على عادات اليهود فى أساليب التعبير ، ومبالغالتهم فى الأساليب ، قد يعتقد انشقاق الهيكل نشقاقا حقيقيا ، وزلزلزت الأرض زلزالا حقيقيا وتشقق الصخور تشققا حقيقيا . وتفتح القبورتفتحا حقيقيا . ومن يقف على عادتهملايمكن أن يقر الا بالمعنى المجازى ، وهو المبالغة فى التعبير .

وعلى هذا المعنى يفسر كلام أشعياء وهو : « ولولوا لأن يوم الرب قريب قادم كخراب من القادر على كل شىء . لذلك ترتخى كل الأيادى ويذوب كل قلب انسان فيرتاعون ، تأخذهم أوجاع ومخاض ، يتلوون كوالدة ، يبهتون بعضهم الى بعض وجوههم وجوه لهيب . **هو ذا يوم** الرب قادم قاسيا . بسخط وحمو غضب ليجعل الأرض خرابا ويبيد منها خطاتها ... الخ » [أشعياء ١٣ : ٦ الخ] ان أشعياء فى هذا الكلام يتحدث عن خراب مدينة بابل . لأنه فى أول الكلام يقول : « وحى من جهة بابل » وفى آخر الكلام يقول عن بابل « لا تعمر الى الأبد ولاتسكن الى دور فدور » [١٣ : ٢٠] وكلام أشعياء هذا من يقرؤه ولا يلتفت الى أوله والى آخره ، يظن أنه يتحدث عن قيام القيامة ، وانتهاء الحياة الدنيا ، وبدء الآخرة .

واليهود يقولون : أن الله اذا أراد شيئا وقال : كن فانه يكون . واذا

حدث الشيء وعلموا السبب المباشر ، نسبوا حدوث الشيء الى السبب المباشر أو الى الله نفسه ٠ واذا لم يعلموا السبب المباشر لحدوث الشيء ، نسبوه الى الله وحده ٠ فاذا أراد الله أن ينشف الماء من بحر ـ مثلا ـ ونشف الماء من البحر بسبب الهواء ٠ يقولون على الهواء : انه « كلمة الله » يقصدون : أن الله لما قال للماء : انشف ٠ جاء الهواء لاحداث انشفان ٠ ولأن الهواء حل محل كلمة الله ، يقولون على الهواء ، وعلى أى سبب مباشر لتنفيذ كلام الله انه كلمة الله ٠

ففى الزبور لداود نجده ينسب الفعل الطبيعى لريح ساخنة ، تسيل الصقيع والثلج الى « كلمة الله » باعتبار أن الله تعالى مصدر الأشياء كلها يقول داود « الذى يعطى الثلج كالصوف ، ويذرى الصقيع كالرماد ٠ يلقى جمده كفتات ٠ قدام برده من يقف ؟ يرسل كلمته فيذيبها ٠ يهب بريحه ، فتسيل المياه » [مز ١٤٧ : ١٧ ـ ١٨] يقصد بيرسل كلمته : أى الريح الساخنة التى تذيب الثلج ٠ أى الريح سبب مباشر لما تكلم الله به ٠ وسميت النار والريح فى الزبور الرابع بعد المائة باسم رسل الله وخدمه ٠ فى قوله : « الصانع ملائكته رياحا وخدامه نارا ملتهبة » [مز ١٠٤ : ٤] لأنهما أداة لتنفيذ الأمر الالهى الذى هو كلمة الله ٠

واليهود يعترفون بأن الله تفضل على الناس بأن منحهم الحرية لاكتساب أفعالهم ٠ ومع هذا يردون كل فعل يحدث من انسان سواء كان خيرا أو شرا الى الله ٠ حتى لايظن أحد أن شيئا مايحدث فى الكون بغير ارادة من الله ، أو لأن الها آخر يريده ٠ فالنبى عاموس يقول : « هل تحدث بلية فى مدينة والرب لم يصنعها » ؟ [٣ : ٦] أى أنه ينسب كل فعل الى الله حتى فعل الشر ـ فان البلايا والمصائب من الشر ـ وذلك لكى لايظن أحد أن الخير من الله ، وأن الشر من اله آخر ثم هو نفسه ينسب الأفعال الى أسبابها المباشرة فيقول : « هل يسير اثنان معا ان لم يتواعدا ؟ هل يزمجر الأسد فى الوعر وليس له فريسة ؟ هل يعطى شبل الأسد زئيره

من خدره ان لم يخطف ؟ هـل يسقط عصفور فى فـخ الأرض وليس له شرك ؟ ... الخ » [٣ : ٣ الخ] فقد بين هذا النبى عاموس : أن المواعدة سبب لسير الاثنان معا ، وأن زمجرة الأسد بسبب أنه لقى فريسة . وهكذا . واذا أمر ملك من الملوك وزيرة ببناء صرح وبنـاه الوزير . فـان الناس يقولون بنى الوزير الصرح لأنه المباشر للبناء ، ويصح لهم فى اللغة أن يقولوا بنى الملك الصرح لأنه الآمر ببنائه . واذا سمح ملك من المـلوك للغرباء بالدخول فى مدينته ، وأفسد غريب فيها يصح للناس أن يقولوا ـ بحسب اصطلاح اللغات ـ ان الملك هو الذى أفسد فيها لأنه الذى سـمح للغرباء وفيهم المصلح والمفسد . ويصح للناس أن يقولوا : ان الذى أفسـد هو الغريب وليس الملك ، لأنه المباشر للافساد . ولو أن ملكا بنى مدرسة ، وحـدث أن ضرب مدرس تلميذا فيها . فان الناس قـد يقولون : ان الضارب للتلميذ هـو الملك نفسـه . لأنـه اذا لـم يبن المدرسة مأأتى التلميذ وما أتى المدرس . وهو بتسببه فى ايجاد المدرسة ، تسببفى ماحدث بسبب انشائها . وعلى هذه الأمثلة التى ذكرناها : اذا ماقيل ان شرا حدث فى الكون . فانه من الممكن لغة أن ينسب الى الله ـ على غـير أصول الأدب ـ لانه الموجد للعالم ، ومن الممكن أن ينسب الى فاعله المباشر ، لأنه هو الذى باشر الفعل . ولأن الله موجد للعالم قال : «كل من عند الله» ولأنه ترك حرية للناس تفضلا منه ورحمة بين أنه لايضل الا من كان فى قلبه ميل الى الضلال فى قوله : « وما يضل به الا الفاسقين » فقد شرط أن الاضلال يكون بعد وجود الفسق من الانسان .

وفى معنى أن الله خالق كل شىء خيرا فى نظر الناس أو شرا . يقول أشعياء على لسان الله تعالى : « أنا الرب وليس آخر . مصور النـور وخالق الظلمة . صانع السلام وخالق الشر . أنا الرب صانع كل هذه » [أش ٤٥ : ٦ ـ ٧] وفى معنى أن الخالق للفعل هو الانسان ، لأنه السبب المباشر للفعل يقول موسى على لسـان الله تعـالى : « فالآن ان سـمعتم

لصوتى وحفظتم عهدى ، تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب . فان لى كل الأرض » [خروج ١٩ : ٥] فقد اشترط لتفضيل بنى اسرائيل على العالمين : أن يسمعوا وأن يعملوا ، لا أن يسمع هو وأن يعمل هو .

ويعتقد بنو اسرائيل فى أن الله يعلم كل شىء ، ويعلم الجزئيات والكليات ، ويعلم ماكان وما هو كائن وماسيكون . ففى سفر أشعياء : « اذكروا الأوليات منذ القديم . لأنى أنا الله وليس آخر . الاله وليس مثلى . مخبر منذ البدء بالأخير ، ومنذ القديم بما لم يفعل . قائلا : رأيى يقوم ، وأفعل كل مسرتى » [أش ٤٦ : ٩ - ١٠] ومع قولهم واعتقادهم بأن الله يعلم ، لايقولون ولا يعتقدون بأن الله يلزم الانسان بأن يفعل شيئا ، له الانسان كاره أن يفعله . ومثل ذلك مثل رجل يعرف طبائع الأسد والقط والفأر ، ويعرف طبائع الرجال ، فانه لوضعهم فى بيت معا وأغلق باب البيت عليهم ، وهو يعرف بطبائعهم . لقال له رجل يعرف طبائعهم كما يعرفها الرجل : القط سيأكل الفأر ، والأسد سيأكل الرجل . فهنا أخبر الرجل بما سيحدث مستقبلا ، وليس لأنه الاله الذى يعلم ، بل لأنه عارف بطبائع الأشياء التى كونها الله عليها . وهنا أيضا يقال : ان الرجل الذى أغلق الباب عليهم كان على علم بما سيكون منهم بعد غلقه الباب . وكان مقدرا لما سيكون منهم أن يكون . وعلى هذا المعنى لو قال قائل ان هذا الرجل كتب فى كتاب عنده قبل أن يغلق الباب على الحيوانات أن سيقتل بعضهم بعضا . أو قال قائل هو لم يكتب شيئا ، بل علم ولم يكتب . فانه لافرق بين القولين ، يحدث بموجبه النزاع اللفظى والشقاق بين المؤمنين .

وعلى هذا النحو يقول اليهود : ان الله قسى قلب فرعون ومنعه عن الايمان . وقصدهم الحقيقى : أن فرعون قد عصى . ولم يشاءوا أن ينسبوا فعل العصيان الى فرعون ، لئلا يظن أحد أنه يقدر على مالا يريده الله ، أو لأن الها آخر يريد له العصيان . وهم لم يشاءوا لأنه تعالى وضح لهم :

أن كل انسان حر فى اختيار أفعاله . فقد قال لهم : « قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير ، والموت والشر » [تث ٣٠ : ١٥]

بعد ذلك نبين : أنه اذا جاءت كلمات ، ولا ندرى المعنى المــراد منها ، يجب أن نعرف « سياق الكلمات » أى فى أية مناسبة ، وفى أى وقت ، ولأى شخص ، كتبت هذه الكلمات ؟ فعندما يقول عيسى عليــه السلام ـ مثلا ـ : « طوبى للحزانى لأنهم يتعزون » [مت ٥ : ٤] لانعلم أى حزن يقصد ؟ فان أسباب الحزن كثيرة . ولكنه يخبر بعد ذلك : أنــه لا ينبغى أن يهتم أحد الا بملكوت الله الآتى مع ابن الانسان ـ وهـــو محمد ﷺ ـ وبعدالته . فالنص اذن يعنى بالذين يبكون ويحزنون : من يبكون ويحزنون على ملكوت الله الذى تسلمه اليهود من يد موسى عليــه السلام وجهلوا فيه العدالة فى زمن عيسى عليه السلام . أى أنهم حزانى لضياع العدل ، وسوف يفرحون بمجىء العدل مع الأمة القادمة . وذلك لقول عيسى عليه السلام لعلماء بنى اسرائيل : « ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » [مت ٢١ : ٤٣]

وعندما يقول عيسى عليه السلام : « من لطمك على خدك الأيمن ، فحول له الآخر أيضا » [مت ٥ : ٣٩] لو كان عيسى قد أمر بذلك كمـــا يأمر المشرع الذى يريد تعريف القضاة بارادته ، لكان بهذه الوصية قد قضى على شريعة موسى التى تقول : « وان حصلت أذية تعطى نفسا بنفس ، وعينا بعين ، وسنا بسن ، ويدا بيد ، ورجلا برجل ، وكيا بكى ، وجرحا بجرح ، ورضا برض » [خر ٢١ : ٢٣ ـ ٢٥] وهو قد قال هذا القول ، مع اعترافه بأنه على شريعة موسى بن عمران عليــه الســلام فى قوله : « لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . مــا جئت لأنقض » [مت ٥ : ١٧]

فيجب اذن أن نبحث عن الهدف من هذه العبارة . وهو بالتأكيد

ليس هدفا تشريعيا . لأن عيسى غير مشرع . وهدفه أن يعطى تعاليم كما يفعل المعلم ، لأنه لم يكن يريد أن يصلح الأفعال الخارجية ، بل استعدادات النفس الداخلية . ولقد قال هذه العبارة لأناس مضطهدين ، كانوا يعيشون فى دولة فاسدة لاتعرف العدالة مطلقا ، وتبدو مهددة بالانهيار الوشيك . فان هذا الذى يخبرنا به عيسى عليه السلام فى هذا النص ، كان فى الوقت الذى كانت فيه « أورشليم » مهددة بالانهيار . وهو مثل الوقت الذى كانت فيه أورشليم مهددة بالانهيار أيام « نبوخذ ناصر » سنة ٥٨٦ ق . م . وفى هذا الوقت قال « ارمياء » النبى كلاما ، ككلام عيسى عليه السلام فى التسامح ورقة القلب . قال ارمياء : « طيب هو الرب للذين يترجونه ، للنفس التى تطلبه . جيد أن ينتظر الانسان ، ويتوقع بسكوت خلاص الرب ، جيد للرجل أن يحمل النير فى صباه ، يجلس وحده ويسكت ، لأنه قد وضعه عليه . يجعل فى التراب فمه ، لعله يوجد رجاء ، يعطى خده لضاربه . يشبع عارا » [مراثى ٣ : ٢٥ ـ ٣٠] فقد قال ارمياء : « يعطى خده لضاربه » وقال عيسى عليه السلام بتحويل الخد الآخر . وليس هذا من التشريع فى شىء . وليس هذا مما انفرد به عيسى عمن سبقه من أنبياء بنى اسرائيل ، حتى يدعى النصارى أنهم يتدينون بديانة روحية لا مادية .

* * *

ولننتقل الآن الى الحديث عن « الروح القدس » ونقول : ان العبارات التى تتحدث عن الروح القدس ، هى من العبارات المجازية المتشابهة ، التى تردالى العبارات المحكمة . والعبارات المحكمة هى التى تتحدث عن ذات الله تعالى ، وتشير الى تفرد الله بالكون ، وبالعظمة والجلال ،وأنه ليس كمثله شىء ، وكل من فى الكون فى قبضته وحده . وعلى ذلك فالروح القدس أيا كانت معانيها واقعة تحت تصرف الله ، ولا يمكن أن تكون مساوية لله .

ويقول النصارى الكاثوليك : ان روح الله أو الروح القدس ، اله ثالث قائم بذاته ، مستقل عن غيره ، من آلهة ثلاثة (١) ، وهى أقنوم ، أى شخص قائم بذاته مستغنى عن غيره ، من أقانيم ثلاثة . ويقول الأرثوذكس : ان الروح القدس هو الله نفسه . ذلك لأنهم يقولون : ان خالق العالم اله واحد ، وقد انقلب فى صورة انسان هو يسوع المسيح بن مريم ، ولما قتل الله وصلب فى شخص يسوع ، ارتفع الى السماء . وحال ارتفاعه أخذ لقب الروح القدس . وأيام كان فى صورة الانسان كان يلقب بلقب « الابن » وهو كان يلقب بالآب قبل أن ينزل الى الأرض ، ويتجسد فى صورة يسوع بن مريم العذراء .

والنصارى يترجمون الآية الثانية من الأصحاح الأول من سفر التكوين هكذا : « وكانت الأرض خربة وخالية ، وعلى وجه الغمر ظلمة ، وروح الله يرف على وجه المياه » [تك ١ : ٢] وروح الله ، بالواو . فى حين أن الترجمة اليهودية : « وريح الله » بالياء ، بدل الواو وغرضهم من الترجمة : القول بألوهية الروح القدس أزلا . وهم مخطئون . فان الكلمة العبرانية « رواه » التى ترجموها بالروح تدل فى معناها الحقيقى على الريح والهواء عند اليهود ، وتستعمل مجازا بمعان منها :

١ ـ نسمة (مزمور ١٣٥ ـ ٦٧)

٢ ـ نفخ أو تنفس (صموئيل الاول ٣٠ : ١٢)

٣ ـ الشجاعة أو القوة (يشوع ٢ : ١١ حزقيال ٢ : ٢)

٤ ـ الصفة أو القدرة (أيوب ٣٢ : ٨ العدد ٢٦ : ١٨)

---

(١) فى كتاب شرح التعليم المسيحى لقواعد الايمان الكاثوليكى : «مامعنى قولك تتميز الأقانيم ولا تنفصل ؟ والجواب : أعنى بذلك : أن الآب ليس هو الابن ولا الروح القدس ، ولابن ليس هو الآب ولا الروح القدس . والروح القدس ليس هو الآب ولا الابن . والثلاثة متحدون فى واحد » اهـ

٥ ــ رأى (عدد ١٤ : ٢٤)

٦ ــ الفكر نفسه أو روح الانسان أو نفسه (الجامعة ٣ : ١٩)

٧ ــ جهات العالم (حزقيال ٣٧ : ٩)

يقول سبينوزا : « وهكذا يسهل علينا تفسير كل نصوص الكتاب التى يرد فيها ذكر روح الله . فعبارة « روح الله » أو روح « يهوه (١) » لا تعنى فى بعض النصوص الا ريحا قوية جافة عاتية ، كما نجد فى أشعياء ٤٠ : ٧ « لأن روح الرب هب فيه (٢) » أى ريح مدمرة وكذلك فى سفر التكوين ١ : ٢ « وريح الله ــ أى ريح قوية للغاية ــ يرف على وجه المياه » وكذلك تعنى كلمة « روح » شجاعة فائقة .. الخ (٣) »

وفى الانجيل كما فى التوراة عن روح الله فهى فى الانجيل . تعنى الالهام والشجاعة والقدرة . يقول المسيح عيسى لتلاميذه : « وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلى شهادة لهم وللأمم . فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون ؟ لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به . لأن لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم « (متى ١٠ : ١٨ ــ ٢٠) وقد حكى لوقا هذا القول هكذا : « فضعوا فى قلوبكم أن لا تهتموا من قبل ، لكى تحتجو لأنى أنا أعطيكم فما وحكمة . لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها » (٢١ : ١٤ ــ ١٥) والمسيح لا يعطى فما بدل فم ، ولا يغير لسانا بلسان على المعنى الحقيقى للفم واللسان . وانما يريد أن يقول : ان الله سيلهمكم ما تدافعون به عن آرائكم وفى انجيل يوحنا : « الروح هو الذى يحيى . أما الجسد فلا يفيد شيئا . الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة . ولكن منكم

---

(١) يهوه = الله

(٢) ترجمتها : « لأن نفحة الرب هبت عليه » .

(٣) ص ١٣٨ رسالة فى اللاهوت والسياسة .

قوم لا يؤمنون » (يوحنا ٦ : ٦٣ ـ ٦٤) فقد عبر عن الانجيل بأنه « روح وحياة » كالروح الذى فى داخل الانسان .

وفى الانجيل : أن الروح كما يكون للالهام بالخير ، يكون للالهام بالشر . وفى هذه الحالة يكون الروح وسوسة من الشيطان . فان « قيافا » رئيس كهنة اليهود أشار على اليهود بقتل عيسى عليه السلام . وزعموا : أنه تنبأ بقتله . أى ألهمه الشيطان ووسوس له يقول يوحنا عن هذا الموضع : « قال لهم واحد منهم ، وهو قيافا ، كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة : أنتم لستم تعرفون شيئا .. ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت انسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها ؟ ولم يقل هذا من نفسه . بل اذ كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة .. فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه » (يوحنا ١١ : ٤٩ ـ ٥٣)

* * *

ولأن أفكار الانسان الخير مصدرها من الله القدوس الطاهر ، وأفكار الانسان الشرير مصدرها من الشيطان النجس . نسب عيسى عليه السلام نبى الاسلام ﷺ الى الله ، ليبين أنه ليس شريرا حتى يلهمه الشيطان كما ألهم « قيافا رئيس الكهنة » فقال : « والكلام الذى تسمعونه ليس لى ، بل للآب الذى أرسلنى . بهذا كلمتكم وأنا عندكم . **وأما المعزى الروح القدس** الذى سيرسله الآب باسمى ، فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم ... وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون ... ان كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم . لو كنتم من العالم ، لكان العالم يحب خاصته ، ولكن لأنكم لستم من العالم ، بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم اذكروا الكلام الذى قلته لكم : ليس عبد أعظم من سيده . ان كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم . وان كانوا قد حفظوا كلامى فسيحفظون كلامكم . لكنهم انما يفعلون بكم هذا كله ، من أجل اسمى ، لأنهم لا يعرفون الذى أرسلنى . لو لم أكن

قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية ٠ وأما الآن فليس لهم عـــذر فى خطيتهم ٠ الذى يبغضنى يبغض أبى أيضا ٠ لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيرى ، لم تكن لهم خطية ٠ وأما الآن فقد رأوا وأبغضـونى أنا وأبى ٠ لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم : انهم أبغضونى بلا سبب ٠ **ومتى جاء المعزى** الذى سأرسله أنا اليكم من الآب ، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضا ، لأنكم معى من الابتداء ٠

قد كلمتكم بهذا لكى لاتعثروا ٠ سيخرجونكم من المجامع ، بل تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله ٠ وسيفعلون هــذا بكم ، لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى ٠ لكنى قد كلمتكم بهذا حتى اذا جاءت الساعة تذكرون أنى أنا قلته لكم ٠ ولم أقل لكم من البداية لأنى كنت معكم ٠وأما الآن فأنا ماض الى الذى أرسلنى وليس أحد منكـم يسألنى : أين تمضى ؟ لكن لأنى قلت لكم هذا ، قد ملأ الحزن قلوبكم ٠ لكنى أقول لكم الحق : انه خير لكم أن أنطلق ٠ لأنه ان لم انطـلق لايأتيكم المعزى ٠ ولكن ان ذهبت أرسله اليكم ٠ ومتى جاء، ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة ٠٠٠

ان لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ٠ ولكن لاتستطيعون أن تحتملوا **الآن ٠ وأما متى جاء ذاك روح الحق ، فهو يرشدكم الى جميع الحـق** لأنه لايتكلم من نفسه ، بل كل مايسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية »

[يوحنا ١٤ ، ١٥ ، ١٦]

والمعزى ـ بتشديد الزاى مكسورة هى ترجمة كلمة « باراكليت » بفتح الباء ـ ومعناها : الآتى عوضا عن المسيح ليعزى بنى اسرائيل فى فقدهم الملك والنبوة ٠ وعيسى عليه السلام لم ينطقها باراكليت ٠ وانما نطقها « بيركليت » ـ بكسر الباء ـ وهى بكسر الباء اسم « أحمـد »

ونسبه المسيح الى روح الله حتى لايظن أحد أنه يستمد كلامه من روح الشيطان ٠

و « بيركليت » تترجم فى اليونانية « بيركليتوس » ٠

يقول الشيخ عبد الوهاب النجار ، فى « قصص الأنبياء » : « كان المسيح ـ عيسى ـ يعبر عن « المبشر به » **بلفظ** « النبى » **وبلفظ** « **مسيا** » وبلفظ «فيرقليط» وهو تعريب لفظة «**بيريكليتوس**» اليونانية ، ومعناها: « **الذى له حمد كثير** » ٠

ويقول هذا الشيخ الجليل : انه سأل الدكتور « كارلو نلينو » عن معنى « بيريكليتوس » فقال له : ان معناها : « الذى له حمد كثير » فقال له : هل هذا المعنى يوافق أفعل التفضيل من حمد ؟ فقال له : نعم (١) »

---

(١) ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ قصص الأنبياء للنجار

الفصــل الثــالث

فى

نصوص نبوءات التوراة عن المسيا

أولا : **أصل فكرة المسيا العالمية** ، ترجع الى عهد ابراهيم ـ عليه السلام ـ نحو سنة ٢٠٦٦ قبل ميلاد نبى الاسلام ﷺ بحساب التواريخ عند النصارى . فانه لما دعا قومه الى ترك عبادة الأصنام وأردوا احراقه بالنار ، طلب من الله أن ينجيه من شرهم ، فنجاه وحفظه من الشر . وقال له : ستكون مباركا . وستتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض . ففى سفر التكوين : أن الله قال لابراهيم : « **سر أمامى وكن كاملا** » أى امش بالدعوة الى معرفتى واسلام الوجه الى « فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جدا » [تك ١٧ : ٢ ـ ٣]

وفى سفر التكوين : « ونادى ملاك الرب ابراهيم ثانية من السماء ، وقال : بذاتى أقسمت يقول الرب : انى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك . أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء ، وكالرمل الذى على شاطىء البحر ، ويرث نسلك باب أعدائه ، ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض . من أجل أنك سمعت لقولى » [تك ٢٢ : ١٥ ـ ١٨]

ومعنى البركة : أن يكون من نسله من يهدى الأمم الى معرفة الله عز وجل ، والعمل بشرائعه ، وأن يكون من نسله ملوك على الأمم ، لينفذوا شريعة الله بالحق وبالعدل . وكان لابراهيم ولدان هما اسماعيل من هاجر ، واسحاق من سارة .

وشاعت ارادة الله أن تكون بركة ابراهيم فى الأمم : محصـــورة فى نسل ولديه اسماعيل واسحاق . فقد قال له عن اسحاق : انى سأبارك فى نسله فيكون منه أمم وملوك على الشعوب . وعندئذ طلب من الله تعالى أن يعيش ابنه اسماعيل ـ عليه السلام ـ فى طاعة الله ـ أى يبارك الله فيه ـ فاستجاب الله لطلبه ، ووعده بأن سيكون مباركا ـ أى تتبارك فيه أمم الأرض ـ ففى سـفر التكوين : « ١٨ وقـال ابراهيم لله : ليت اسماعيل يعيش أمامك ١٩ فقال الله ٢٠ وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . هاأنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد ، وأجعله أمة كبيرة (١) » [تك ١٧ : ١٨ ـ ٢٠] وفى سفر التكوين : أن الله قال لابراهيم عليه السلام : « باسحق يدعى لك نسل ، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة ، لأنه نسلك » [تك ٢١ : ١٢ ـ ١٣] وفى سـفر التكوين : أن ملاك الله قال لهاجر عن اسماعيل : « ان الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومى احملى الغلام وشدى يدك به ، لأنى سأجعله أمة عظيمة » [تك ٢١ : ١٧ ـ ١٨]

وقال فريق من علماء اليهود الذين أسـلموا : ان قول التوراة : « كثيرا جدا » هو فى اللغة العبرانية « بماد ماد » وقول التوراة : « أمة كبيرة » هو فى اللغة العبرانية « لجوى جدول » واليهود الذين حرفوا التـوراة فى « بابل » بالعـراق ، حذفوا اسـم « محمد » من التوراة ، ووضعوا بدله ١ ـ بماد ماد ٢ ـ لجوى جدول . وقالوا : نحذف الاسم ونضع بدله كلمتين بحساب الجمل هما « بماد ماد » و « لجـوى جدول » فى سياق الحديث عن بركة اسماعيل . واذا جاء النبى المنتظر من آل اسماعيل للبركة ، نعرفه بحساب الجمل ، اذا كان اسم « محمد » مساويا لحساب حروف « بماد ماد » أو « لجوى جدول » ونعرفه نحن ، ولايعرفه غيرنا .

---

(١) لاحظ أن « كثيرا جدا » تترجم فى بعض التراجم « جدا جدا » و « أمة كبيرة » تترجم « شعب كبير »

ومن هذا النص الذى يدل على بركة اسماعيل عليه السلام ، يتبين مجىء نبى عظيم فى المستقبل ، من نسل اسماعيل عليه السلام ، ليكون معه شريعة الهية تهدى الأمم ، واسمه بحساب الجمل « محمداً » ﷺ وهذا النبى العظيم الذى تبدأ من وجوده بركة اسماعيل فى الأمم ، وتنتهى بمجيئه بركه اسحق فى الأمم ، أطلق عليه اليهود والناس لقب « مسيا » على عادة اليهود فى اطلاق هذا اللقب على ١ ـ النبى ٢ ـ والعالم ٣ ـ والملك . يعنون : أنه مصطفى من الله عز وجل ، لأداء رسالة سامية .

يقول شموئيل بن يهوذا بن أيوب : « الاشارة الى اسمه ﷺ فى التوراة : قال الله تعالى فى الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة مخاطبا لابراهيم الخليل عليه السلام : « واما فى اسماعيل فقد قبلت دعاءك . قد باركت فيه ، وأثمره وأكثره جدا جدا » ذلك قوله : (وليشماعيل شمعتيخا هنى بيراختى أوثو وهفريتى أوثو وخربيتى . بماد ماد) فهذه الكلمة « بماد ماد » اذا عددنا حروفها بالجمل ، وجدناه اثنين وتسعين . وذلك عدد حساب حروف (محمد) ﷺ ، فانه أيضا اثنان وتسعون .. الخ »

ونقل الشيخ رحمت الله الهندى عن الاعلام المنسوب للامام القرطبى . مانصه :

« وقد تفطن بعض النبهاء ممن نشأ على لسان اليهود وقرأ بعض كتبهم . فقال : يخرج من عبارة التوراة اسم محمد ﷺ فى موضعين بالعدد على ما يستعمله اليهود فيما بينهم : الأول : قوله « جدا جدا » بتلك اللغة « بماد ماد » وعدد هذه الحروف : اثنان وتسعون . لأن الباء اثنان ، والميم أربعون ، والألف واحد ، والدال أربعة ، والميم الثانية أربعون ، والألف واحد ، والدال أربعة . وكذلك الميم من محمد أربعون ، والحاء ثمانية ، والميم أربعون ، والدال أربعة . والثانى : قوله « لشعب كبير » بتلك اللغة « لغوى غدول » فاللام عندهم ثلاثون ، والغين ثلاثة

لأنها عندهم فى مقام الجيم ـ والواو ستة ، والياء عشرة ، والغين أيضا ثلاثة ، والدال أربعة ، والواو ستة ، واللام ثلاثون • فمجموع هذه أيضا : اثنان وتسعون

و « عبد السلام » كان من أحبار اليهود ، ثم أسلم فى عهـد « السلطان بايزيد خان » وصنف رسالة صغيرة ، سماها بالرسالة الهادية ، فقال فيها : « ان أكثر أدلة أحبار اليهود بحرف الجمل الكبير ، وهـو حرف « أبجد » ، ثم قال : « واعترضوا على هذا الدليل بأن الباء فى «بمادماد» « ليست من نفس الكلمة ، بل هى أداةوحرف جىءبه للصلة(١) فلو أخرج منه اسم محمد لاحتاج الى باء ثانية ، ويقال : « بماد ماد » قلنا : من المشهور عندهم : اذا اجتمع باءان أحدهما أداة ، والأخرى من نفس الكلمة ، تحذف الأداة ، وتبقى التى هى من نفس الكلمة •

وحساب الجمل ـ وهذا شائع عندهم (٢) » بضم الجيم وتشديد الميم مفتوحة ـ هكذا :

عند اليهود العبرانيين :

ا ب ج د ـ هـ و ز ـ ح ط ى ـ
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠

ك ل م ن ـ س ع ف ص
٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠ ٦٠ ٧٠ ٨٠ ٩٠

ـ ق ر ش ت
١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠

عند اليهود السامريين :

ا ب ج د ـ هـ و ز ـ ح ط ى
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠٠

ك ل م ن ـ س ع ف
٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠

ص ـ ق ر ش ت
٩٠٠ ٥٠٠ ٦٠٠ ٧٠٠ ٨٠٠

---

(١) أى حرف جر مثل الباء فى مررت برجل

(٢) اظهار الحق ج ٢ ص ١٤٧ وانظر بذل المجهود فى افحام اليهود

... ...

ثانيا : وقد أنجب ابراهيم : اسماعيل . وبعده بأربعة عشر عاما : أنجب اسحق . ثم أنجب أولادا آخرين من زوجة تسمى قطورة . واسحق أنجب ١ - عيسو ٢ - ويعقوب - ويسمى اسرائيل - ويعقوب أنجب اثنى عشر ولدا . هم : ١ - رأوبين ٢ - شمعون - ٣ - لاوى ٤ - يهوذا ٥ - زيولون ٦ - يساكر ٧ - دان ٨ - جاد ٩ - أشير ١٠ - نفتالى ١١ - يوسف ١٢ - بنيامين

ونحو سنة ٢٤٠٧ قبل ميلاد نبى الاسلام ﷺ - بحساب تواريخ النصارى - لما حضر يعقوب الموت ، وصى بنيه وباركهم ، وتحدث عن كل ولد . وقال عن بنيه جميعا فى شخص يهوذا ما نصه : -

« لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتى شيلون (١) وله يكون خضوع شعوب » (تكوين ٤٩ : ١٠) والمعنى لا يزول الملك من بنى اسرائيل . ويعمل الناس بشريعة التوراة فى ظل الملوك من بنى اسرائيل ، حتى يأتى نبى الأمان « وبيده الشعوب تقاد (٢) » ولم يزل الملك من بنى اسرائيل الا على يد نبى الاسلام ﷺ ولم ينسخ شريعة التوراة الا هو . والنصارى يقولون : ان المراد بشيلون هو عيسى عليه السلام . وقولهم مردود بأن اليهود كانوا فى قوة وبأس فى زمانه بدليل أنهم حاربوا الرومان بقيادة «تيطوس» عام ٧٠م «وأدريانوس» سنة ١٣٢ م ، وبأن النصارى شيعة من اليهود ، وطائفة منهم ظهرت على

---

(١) فى بعض التراجم « حتى يأتى المسيح » أى المسيا وفى بعضها « الذى له الحكم » وفى بعضها « الذى سيرسل » .

(٢) حسب التوراة السامرية .

الطائفة التى كفرت بعيسى عليه السلام . وبأن عيسى عليه السلام لم يأت بشريعة تخالف شريعة بنى اسرائيل ، بدليل قوله : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض » (متى ٥ : ١٧)

والشاهد فى هذا النص :

ومن هذا النص وضحت فكـرة « المسـيا » العالميـة ، من كلمة « شيلون » يقول مفسرو التوراة « حتى يأتى شيلون : هذه عبارة صعبة . لكن يبدو أن أفضل تفسير هو ذاك الذى يعتبرها نوعا من الحديث عن المسـيا ، اذا تحرك الحـرف الساكن . وهـذا أمر مسموح بـه فى اللغة العبرية . فان الكلمة « شيلون » يمكن أن تترجم « الذى له (١) » واليهود يقولون : ان المسيا أى المسيح المنتظر ، لم يأت الى هذا اليوم ، الذى أؤلف فيه هذا الكتاب .

والنصـارى يفسرون « شيلون » بالمسـيح عيسى عليـه السـلام ، على معنى خضوع الناس له خضوعا روحيا . أى فسروا شيلون بالمسيا ، واعتبروا النص نبوءة عن المسـيا المنتظر لكنهـم يطبقون النبوءة على عيسى . فالنزاع بيننا نحن المسلمين وبينهم ليس فى النص . وانما هـو فى تطبيق النص . هم يقولون ان نص النبوءة يشير الى عيسى وهو المسيا ونحن نقول : ان نص النبوءة يشير الى محمد وهو المسيا .

أما عن اليهود .

فإن كاتب التوراة قد وضع النبوءة تحتمل معنيين ـ على طريقة تحريف الكلم من بعد مواضعه ـ هكذا : ـ

---

(١) ص ٢٠٢ تفسير الكتاب المقدس تاليف جماعة من اللاهوتين برئاسة الدكتور فرنسيس دافدسن ـ بيروت ١٩٦٣ .

١ ــ وضع كلمة عبرية تترجم .

(أ) بالقضيب .

(ب) وبالســــبط .

٢ ــ ووضع كلمة عبرية تترجم :

(أ) باسم قرية شيلون فى أرض كنعان ــ التى هى أرض فلسطين ــ

(ب) وصفة لشخص .

ويكون المعنى :

١ ــ لا يزول الملك من اليهود . ويعمل الناس بشريعة التوراة فى ظل الملوك من اليهود ، حتى يأتى النبى المنتظر . الملقب بلقب المسيا ، أى المسيح المصطفى من الله تعالى .

٢ ــ لا يزول من الحياة سبط يهوذا . ويعمل الناس بشريعة التوراة فى ظل الملوك من سبط يهــوذا حتى يملك السبط نفســه على مدينة « شيلون » وقد ملكها « داود » ــ عليه السلام ــ فى زمانه . فانه من سبط يهوذا وعلى هذا المعنى لايكون النص نبوءة ، لا على عيسى ولا على محمد عليهما السلام

والمعنى الأول هو الصحيح . لأن حزقيال فى سفره ــ وكان بعد داود بستة قرون تقريبا على حسابهم ــ عبر عن « شيلون » بالذى له الحكم فى قوله : « وأنت أيها النجس الشرير رئيس اسرائيــل الذى قد جاء يومه فى زمان اثم النهاية . هكذا قال السيد الرب : انزع العمامة . ارفع التاج . هذه لا تلك . ارفع الوضيع . وضع الرفيع . منقلبا . منقلبا . منقلبا أجعله . هذا أيضا لا يكون ،

حتى يأتى الذى له الحكم فأعطيه اياه » (حزقيال ٢١ : ٢٥ ـ ٢٧) ى ن الذى له الحكم وهـــو المســيا الذى فى مجيئه تنزع عمامة الكهنة من بنى اسرائيل وينزع تاج الملك من على رءوس بنى اسرائيل ، لم يكن قد جاء قبل حزقيال وهو بعد داود بسنين كثيرة . وهذا يدل على أن النص نبوءة عن المسيا وليس عن داود نفسه أو عن سبط يهوذا . ولا صلة له بقرية شيلون على كلام النبى حزقيال . والمعنى الأول هو الصحيح لأن شيلون جاءت فى بعض التراجم « الذى له الحكم » والذى له الحكم يكون شخصا . والمعنى الأول هو الصحيح لأن « شموئيل بن يهوذا بن ايوب » المتوفى سنة ٥٧٠ هـ اليهودى الذى هــداه الله الى الاســلام : فسر « شيلون » بمسيا ـ الذى تفسيره المسيح ـ يقول ما نصه : ـ

« الزامهم نبوة المسيح ﷺ :

نقول لهم : أليس فى التوراة التى فى أيديكم : (لوباسنور شيبط منجهوزا ومحوقق مين دغلاو) تفسيره : « لا يزول الملك من ال يهود ولا راسم من بين ظهرانيهم ، الى أن يأتى المسيح » فلا يقدرون على جحده . فنقول لهم : أما علمتم أنكم أصحاب دولة وملك الى ظهور المسيح ، ثم انقضىملككم ؟ فان لم يكن لكم ملك ، فقد لزمكم من التوراة : أن المسيح قد أرسل (١) »

... ...

ثالثا : ويتحدث موسى عليه السلام وكان نحو سنة ٢١٤١ ، قبل ميــلاد نبى الاسلام ﷺ ـ على حسب تواريخ النصارى ـ عن أوصاف تسعة للنبى المنتظر الذى يلقبونه بلقب المسيــا المنتظر . فيقــول لبنى

---

(١) ص ٢٩ بذل المجهود فى افحام اليهود . وشموئيل هذا كتب عنه عزرا حداد فى « رحلة بنيامين » وكتب عنه سعد بن منصور بن كمونة فى « تنقيح الأبحاث فى الملل ثلاث » .

اسرائيل فى سفر التثنية : « ١٥ يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى له تسمعون ١٧ قال لى الرب : قد أحسنوا فى ما تكلموا ١٨ أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ١٩ ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه ٢٠ وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما ، لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى ، فيموت ذلك النبى ٢١ وان قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبى ، فلا تخف منه » (التثنية ١٨ : ١٥ ـ ٢٢)

المعنى العام :

(أ) فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية يقول الله لبنى اسرائيل : لاتسمعوا لكلام السحرة والعرافين ولا لكلام الأنبياء الكاذبين . ولكن اسمعوا لنبى صادق سوف أرسله اليكم بشريعة تقيم لكم أمر الدين (ب) وفى زمان موسى عليه السلام طلب الله منه أن يحضر بنى اسرائيل ليسمعوا صوته وهو يتكلم مع موسى [خروج ٢٠ : ١٨] ليكون امتحانا لهم ، ومخافة من الله حتى لايخطئوا . ولما اقتربوا من جبل طور سيناء ، رأوا رعدا وبرقا ونارا ودخانا من هيبة الله . ولما رأوا ارتعدوا ووقفوا من بعيد ، وقالوا لموسى : تكلم أنت معنا فنسمع ، ولا يتكلم معنا الله ، لئلا نموت . ثم قالوا لموسى : اذا أراد الله أن يكلمنا بعد ذلك ، فيكلمنا بواسطتك . ونحن نسمع منك نيابة عن الله .

فرد موسى طلبهم هذا الى الله . فقال له : أحسنوا فيما قالوا ، ولسوف أرسل لهم نبيا ، أمينا على الوحى ، مثلك . ومن بين اخوتهم واجعل كلامى فى فمه ، أى يكون نبيا أميا غير قارىء ولا كاتب . والدليل على صدقه : أن يخبر عن غيب ويصدقه الله فيه ، بأن يحدثه كما أنبأ النبى

به . وأى نبى يتواقح ويجترىء على الله ويقول : أنا ذلك النبى وليس هو . فالله ينتقم منه بالقتل .

أوصاف المسيا :

١ ـ نبى « أقيم لهم نبيا » .

٢ ـ من بين اخـــوة اليهـود « من وســط اخوتهم » أى من بنى اسماعيل . لأن لاسماعيل بركة .

٣ ـ مثل موسى « مثلك »

٤ ـ ينسخ شريعة موسى « له تسمعون »

٥ ـ أمى لا يقرأ ولا يكتب « وأجعل كلامى فى فمه »

٦ ـ أمين على الوحى الالهى « يكلمهم بكل ما أوصيه به »

٧ ـ يقضى على ملك اليهود ف ىالعالم « أنا أطالبه » وقد ترجمها بطرس بقوله : « تباد من الشعب » [أعمال ٣ : ٢٣]

٨ ـ لا يقتل « وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما ، لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى ، فيموت ذلك النبى » وفى ترجمة اليسوعيين وفى التوراة السامرية « فليقتل » بـدل كلمة « فيموت » والقتل يدل على أن الله انتقم منه وأهانه وأذله . ونبى الاسلام لم يقتل وقد عصمه الله من الناس .

٩ ـ يتحدث عن أمور غيبية وتحدث فى مستقبل الأيام « فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر .... لخ »

التفسـير :

١ ـ « نبى » ـ صفة النبوة يشترك فيها محمد وعيسى عليهمـا السلام .

٢ ـ « من بين اخوة بنى اسرائيل » ـ وهذا ينطبق على محمد وعلى عيسى عليهما السلام .

فقد عبرت التوراة عن اسماعيل وبنيه بأنهم اخوة لبنى اسرائيل ففى سفر التكوين « وهذه سنو حياة اسماعيل مئة وسبع وثلاثون سنة . وأسلم روحه ومات . وانضم الى قومه . وسكنوا من حويلة الى شـــور التى أمام مصر ، حينما تجىء نحو أشور . أمام جميع اخوته نــزل » (تكوين ٢٥ : ١٧ ــ ١٨) لكن انطباقها على محمد ﷺ هــو الصحيح بدليل : ــ

(أ) أن بركة الأمم فى نسل ابراهيم : تكون فى اسماعيل واسحق . فلو لم يرسل الله نبيا من بنى اسماعيل ، للزم تكذيب التوراة فى نصها على بركة لاسماعيل وهــم لا يقرون بذلك . ففى التوراة أن الله قــال لابراهيم : « باســحق يدعى لك نسل . وابن الجارية أيضا سأجعله أمة ، لأنه نسلك » (تك ٢١ : ١٢ ــ ١٣) وفيها أن الله قال لابراهيم : « وأما اســماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه » [تك ١٧ : ٢٠]

(ب) وحيث أن التوراة نصت على بركة فى آل اسماعيل . فلابد من نص يدل على صفات النبى الآتى منه ، ليعرف اليهود أوصافه ، فيتبعوه ، ويحترسوا من أدعياء النبوة . فاين هو هذا النص ؟

انه حيث لايوجد فى التوراة نصوص ، الا على مجىء نبى واحد ، هو هذا الذى فيه أنه سيكون من اخوة بنى اسرائيل ، فلابد أن يكون هو المراد فى الدلالة على نبى بنى اسماعيل ، للبركة .

(ت) ان شريعة موسى نصت على أنه لن ياتى بعد موسى نبى من بنى اسرائيل ، مشرع مثله . ففى سفر التثنية : « ولم يقم بعد نبى فى اسرائيل مثل موسى » [تث ٣٤ : ١٠] فلو قام نبى فى بنى اسرائيل ، يدعى أنه مثل موسى مشرعا ، للزم

تكذيب التوراة . وعلى ذلك فلابد من انطباق هذا الوصف على نبى الاسلام ﷺ ، لثبوت بركة فى آل اسماعيل عليه السلام .

٣ - مثل موسى - وليس عيسى كموسى . بل المماثل له نبى الاسلام ﷺ . ففى القرآن الكريم : « انا أرسلنا اليكم رسولا ، شاهدا عليكم ، كما أرسلنا الى فرعون رسولا » [المزمل ١٥]

والمثلية حددتها التوراة فى ثلاثة أمور :

١ - فى جميع الآيات والعجائب فى أرض مصر .

٢ - فى كل اليد الشديدة (الحروب) .

٣ - فى كل المخاوف العظيمة التى صنعها موسى أمام أعين جميع اسرائيل (تثنية ٣٤ - ١٠ - ١٢) وعيسى عليه السلام لم يكن محاربا .

٤ - ينسخ شريعة موسى - وعيسى لم ينسخ التوراة ، بدليل قوله . طبقا لرواية متى : « حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لانهم يقولون ولا يفعلون » (متى ٢٣ : ١ - ٣) وقوله « : لا تظنوا أنى جئت لانقض الناموس أو الانبياء ، ما جئت لأنقض بل لاكمل » (متى ٥ : ١٧) أى أصحح ، والناسخ هو نبى الاسلام ﷺ . لقد نسخ أحكاما عملية كانت فى شريعة موسى ، ووضع الاصر والأغلال عن الناس .

٥ - « وأجعل كلامى فى فمه » - أى يكون نبيا أميا غير قارىء ولا كاتب . وفى القرآن الكريم : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك . اذن لارتاب المبطلون « (العنكبوت ٤٣) وفى الانجيل : أن عيسى عليه السلام كا نقارئا وكاتبا يقول لوقا : « ودخل

المجمع حسب عادته يوم السبت ، وقام ليقرأ » (لوقا ٤ : ١٦) ويقول يوحنا : « وأما يسوع فانحنى الى أسفل ، وكان يكتب » (يوحنا ٨ : ٦)

٦ ـ أمين على الوحى ـ وهذه الصفة واضحة فى نبى الاسلام ﷺ . لقد طلب منه الكفار تغييرا وتبديلا ، فأبى . كما قال تعالى : « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين لا يرجون لقائنا : ائت بقرآن غير هذا ، أو بدله . قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسي ، ان أتبع الا ما يوحى الى » (يونس ١٥) ، ولقد كان عيسى عليه السلام أمينا . ولكن أين انجيله ؟

٧ ـ يقضى على ملك اليهود فى أرض فلسطين والعالم . وقد فسر بهذا التفسير بطرس رئيس حوارى عيسى عليه السلام هذه العبارة بقوله : « فان موسى قال للآباء : ان نبيا مثلى سيقيم لكم الرب الهكم من اخواتكمله تسمعون فى كل ما يكلمكم به . ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى تباد من الشعب » (أعمال الرسل : ٢٢ ـ ٢٣) ولم يقض عليهم الا المسلمون فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة ٦٣٦ ميلادية ، وحاربهم النبى محمد ﷺ بنفسه فى غزوات كثيرة ، وقتل منهم الكثيرين .

٨ ـ لا يقتل ـ وهذه صفة واضحة فى القرآن الكريم : « والله يعصمك من الناس » (المائدة ٦٧) وفى الانجيل القتل لعيسى عليه السلام . لكننا لا نعترف بذلك . وعلى ماعندهم لا يكون نبيهم هو المراد .

٩ ـ يتحدث عن أمور تحدث فى المستقبل ـ ولقد تحدث نبى الاسلام عن أن الفرس غلبت الروم ، وأن الروم ستغلب فى سنوات قليلة ، وأن المؤمنين سينتصرون على الفرس والروم . وقد تحقق هذا تماما من بعده .

ذلك هو معنى النص باختصار . وهذا النبى الأمى الذى تحدثت عنه التوراة فى هذا النص ، حتى زمن يحيى عليه السلام ، وهو مولود قبل عيسى عليه السلام بستة أشهر - كما فى الانجيل - لم يأت . فقد أرسل اليهود من مدينة « القدس » وفدا منهم الى يحيى عليه السلام ليسألوه : « ألنبى أنت ؟ فأجاب : لا » (يوحنا ١ : ٢١) وهذا يعنى : أن هذا المنتظر - الملقب بلقب المسيا الرئيس - الى زمن يحيى لم يأت . وفى الانجيل : أنه بعد نزول المائدة من السماء قال اليهود عن عيسى عليه السلام : « ان هذا هو بالحقيقة النبى الآتى الى العالم » (يوحنا ٦ : ١٤) ورد عليهم عيسى بالنفى . رد بدليل عملى رواه يوحنا فى قوله : « وأما يسوع فاذ علم أنهم مزمعون ان يأتوا ويختطفوه ، ليجعلوه ملكا ، انصرف أيضا الى الجبل وحده » (يوحنا ٦ : ١٥) لماذا انصرف الى الجبل ورفض الملك . ومن أوصاف النبى الآتى الى العالم أن يكون ملكا ، يقضى على ملك بنى اسرائيل وله يسمعون ويطيعون ؟ انصرافه دليل على أنه ليس هو النبى الآتى الى العالم .

وصدق الله العظيم فى قوله تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى ، الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل » (الأعراف ١٥٧)

يقول شموئيل بن يهوذا بن أيوب : -

« ذكر الآيات والعلامات الدالة على نبوة سيدنا محمد ﷺ .

انهم لا يقدرون على أن يجحدوا هذه الآية من الجزء الثانى من السفر الخامس من التوراة : « نبيا أقيم لهم من وسط اخوتهم مثلك به فليؤمنوا » وانما أشار بهذا الى أنهم يؤمنون بمحمد ﷺ . فان قالوا : انه قال : « من وسط اخوتهم » وليس فى عادة كتابنا : أنه يعنى بقوله « اخوتهم » الا بنى اسرائيل . قلنا : بلى . لقد جاء فى التوراة

« اخوتهم » لبنى العيص . وذلك فى الجـزء الأول من السفر الخامس . وهو قوله :

أنتم عابرون فى تخم اخوتكم بنى العيص المقيمين فى سيعير . أياكم أن تطمعوا فى شىء من أرضـهم » [تث ٢ : ٤ ـ] فاذا كان بنو العيص اخـوة لبنى اسرائيل ، لأن العيص واسرائيل ، ولـدا اسحاق . فكذلك بنو اسماعيل اخوة لجميع ولد ابراهيم .

وان قالوا : ان هذا القول انما أشير به الى شموئيل النبى عليه السلام ، لأنه قال : « من وسط اخوتهم مثلك » وشموئيل كان مثـل موسى . لأنه من أولاد لاوى ـ يعنون من السبط الذى كان منـه موسى عليه السلام ـ

قلنا لهم : فـان كنتم صـادقين . فأى حاجة بكـم الى أن يوصيكم بشموئيل ، وأنتم تقولون : ان شموئيل لم يأت بزيادة ولا نسخ ؟ أشفق من أن لا تقبلوه . لأنه انما أرسل ليقوى أيديكم على أهـل فلسطين وليردكم الى شرع التوراة وبين صفته ؟ فأنتم أسبق الناس الى الايمـان به . لأنه انما يخاف تكذيبكم لمن ينسخ مذهبكم ويغير أوضاع ديانتكم . فالوصية بالايمان به مما لا يستغنى مثلكم عنه ، ولذلك لم يكن بموسى حاجة الى أن يوصيكم بالايمـان بنبوة أرمياء وأشـعياء وغيرهمـا من الأنبياء » (١)

الشاهد فى النص : ـ

نص التوراة هذا الذى ينطبق على محمد ﷺ قال عنه أهل الكتاب انه يشير الى النبى المنتظر ، وأطلقوا على هـذا النبى المنتظر لقب مسيا . وحيث أنه ينطبق على محمد ﷺ فيكون هو المسيا . يقول ١٠أ٠م .

---

(١) ص ٣٢ ـ ٣٣ بذل المجهود فى افحام اليهود .

هودجكن فى كتابه « المسيح فى جميع الكتب » : « مسيا الموعود » ان سفر التثنية يبلغ الى ذروة المجد . حينما انعكس على موسى بهاء جلال المسيا ، بأن يأتى على مثاله « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك . من اخوتك . مثلى . لـه تسمعون » (تثنيه ١٨ : ١٥) نرى هنـا : ضرورة التجسد لكل وظيفة من وظائف المسيح الثلاث : نبى ، وكاهن ، وملك . لأنه ينبغى لكل خدمة من هذه الخدمات الثلاث ، واحـد من اخوتنا ، بشر مثلنا ، جسدا ، ودما » ا هـ . (١)

... ...

رابعا : « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته . فقال : جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبل فاران ، وأتى من ربوات القدس (٢) وعن يمينه نار شريعة لهم . فأحب الشعب . جميع قديسيه فى يدك ، وهـم جالســون عند قدمـك يتقبلون من أقوالك (٣) » (التثنية ٣٣ : ١ ـ ٣)

المعنى العـام :

(أ) لقد أنزل الله التوراة على موسى فى أرض سيناء فى جبـل الطور (ب) ـ وعلماء بنى اسرائيل فى أرض فلسطين . كان نسـل

---

(١) ص ٧٦ المسيح فى جميـع الكتب .. وسيأتى التفسير بعـد ذلك .

(٢) ترجمت « مع ربوات القدس » ـ « مع جماعات طاهرين » .

(٣) ليس فى توراة موسى أية نبوءات عن عيسى عليه الســلام الا فى هذه البشـارة بالرمـز الى جبـل ساعير وهـو رمز اشارة الى الهارونيين العلماء جميعا . والمسيح يدخل فيهم . لأنـه هـارونى من جهة أمه . وكان عملهم تفسير التوراة . **وأسفار الأنبياء** سلمها اليهـود الى النصارى بعد رفع المسيح ولاتشير نبوءاتها اليه .

هارون عليه السلام منهم ـ وهم العلماء العظام ـ يسكنون حول جبل ساعير ، بجوار « أورشليم » التى هى القدس وعملهم هو تفسير التوراة للناس وقد ظهر منهم نبى عظيم آتاه الله الانجيل فيه هدى ونور ، هو عيسى عليه السلام (ت) ـ وفى مجىء نبى الاسلام ﷺ كان معه جماعات أطهار من أصحابه ، يحملون شريعة الله لليهود المخاطبين بهذه العبارات . فان الله قد أحب الشعب اليهودى ، ولحبه لهم (١) ـ حسب ظاهر النص ـ لم يتركهم سدى : وأنزل الكتب فى حينها ، فيها هدى ونور .

ثم يتحدث الله عن نبى الاسلام خاصة ، المشار اليه بالتلألؤ من فاران . فيقول : جميع الذين رضيت عنهم ، وهم علماء أمتك الذين اخترتهم أزلا لنصرتك ، هم معك يسمعون ويطيعون وهم جالسون أمامك يقتبسون من كلماتك ، ليعلموا الناس فى كل زمان ومكان ما شرعته لهم .

والدليل على ان « فاران » هى وطن لبنى اسماعيل عليه السلام :

قول التوراة عن اسماعيل ونسله : « وكان الله مع الغلام فكبر وسكن فى البرية ، وكان ينمو رامى قوس ، وسكن فى برية فاران ، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر » (تكوين ٢١ : ١٨ ـ ٢١)

ومعنى ربوات : الجماعات من الناس . جاء فى الزبور : « الرب يعضدنى . لا أخاف من **ربوات الشعوب المصطفين على من حولى** » (مزمور ٣ : ٦)

ومعنى القديس : الرجل الصالح أو المرأة الصالحة ، يقول القديس بولس : « لتكتتب أرملة ان لم يكن عمرها أقل من ستين سنة . امرأة رجل واحد . مشهودا لها فى أعمال صالحة . ان تكن قد ربت الأولاد ، أضافت الغرباء . غسلت أرجل القديسين ، ساعدت المتضايقين اتبعت كل عمل صالح » (**الأولى الى تيموثاوس ٥ : ٩ ـ ١٠**)

---

(١) أحب الشعب : ـ على غير ظاهر النص ـ تفسر على المسيا ، أى المسيا هو المحب للشعب .

يقول شموئيل بن يهوذا بن أيوب : ـ

« ذكر الموضع الذى أشير فيه الى : نبوة الكليم ، والمسيح والمصطفى ـ عليهم السلام ـ وهو : قال الله تعالى : (من سيناء تجلى ، واشرق نوره من سيعير ، واطلع من جبال فاران ومعه ربوات المقدسين) . وفى الاشارة الى هذه الأماكن الثلاثة التى كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء ، للعقلاء أن يبحثوا عن تأويله المؤدى الى الأمر باتباع مقالتهم .

فاما الدليل الواضح من التوراة على أن جبل فاران هو جبل مكة : فهو أن اسماعيل لما فارق أباه الخليل عليهما السلام سكن اسماعيل فى برية فاران . ونطقت التوراة بذلك فى قوله : « وأقام فى برية فاران وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر » فقد ثبت من التوراة : أن جبل فاران مسكن لآل اسماعيل . وإذا كانت التوراة قد أشارت فى الآية التى تقدم ذكرها الى نبوة تنزل على جبل فاران ، لزم أن تلك النبوة على آل اسماعيل . لأنهم سكان فاران . وقد علم الناس قاطبة : أن المشار اليه بالنبوة من ولد اسماعيل هو محمد ﷺ ، وأنه بعث من مكة التى كان فيها مقام ابراهيم واسماعيل . فدل ذلك : على أن جبال فاران هى جبال مكة ، وأن التوراة أشارت فى هذه المواضع : الى نبوة المصطفى ﷺ وبشرت به » (١) أ هـ

الشاهد فى النص :

وهذا النص المشير الى نبى فاران ، يقولون : انه اشارة الى المسيا . يقول أصحاب تفسير الكتاب المقدس ما نصه : « فى يدك : الانتقال الى ضمير المخاطب . جعل البعض يعتقدون أن هذه نبوة عن المسيا الآتى » (٢)

ومما يؤكد أن النص نبوءة عن المسيا : أنه فى بعض التراجم

---

(١) ص ٣٥ ـ ٣٦ بذل المجهود فى افحام اليهود .

(٢) ص ٤٥٣ تفسير الكتاب المقدس ـ فرانسيس .

« وجاء مع عشرة آلاف قديس » أى نبى فاران يأتى الى أورشليم بجيش كبير . وهذا هو النص باللغة العبرانية « ويومر يهوه سينائى به وزارح مسعير لامو هو فيع مهر باران وأنامر ببوث قورش ميمينو ايش واث لامو » وترجمته الحرفية : « وقال : ان الرب جاء من سيناء ، ونهض من سعير لهم ،وسطع من جبل فاران . وجاء مع عشرة آلاف قديس ، وخرج من يمينه نار شريعة لهم »

وجاء فى ترجمة لندن سنة ١٨٤٨م هكذا : قال : جاء الرب من سيناء وأشرق من ساعير ، استعلن من جبل فاران . ومعه ألوف الأظهار ، فى يمينه سنة من نار . أحب الشعوب . جميع الأطهار بيده ، والذين يقتربون من رجليه يقبلون من تعليمه » .

***

فانت ترى أن النصوص التى جاءت فى التوراة عن نبى الاسلام ﷺ قال أهل الكتاب عنها : أنها تشير الى نبى يظهر فى آخر الزمان ، ولقبوه بلقب « المسيا » فالمسيا اذن هو نبى الاسلام ﷺ . لكن لماذا أطلقوا عليه لقب مسيا ؟ هذا ما سنوضحه بعون الله فيما بعد .

وقبل التوضيح والبيان : نجيب على هذا السؤال : لماذا جاء فى برنابا اسم محمد ﷺ صريحا ؟ والاجابة على ذلك : ـ

أن عيسى عليه السلام جاء مصدقا للتوراة (١) . مفسرا لآياتها ، وموضحا لمعانيها . لا يزيد على أحكامها حكما ، ولا يلغى من أحكامها حكما . واليهود فى بابل بعد سنة ٥٨٦ ق . م غيروا نصوص التوراة

---

(١) عيسى لم ينسخ التوراة بدليل قوله : « ما جئت لأنقض الناموس » ويقول سبينوزا « ان المسيح لم ينسخ شريعة موسى مطلقا ، لأنه لم يشأ وضع قوانين جديدة للمجتمع ، وكان همه الوحيد اعطاء تعاليم خلقية » (ص ٢٠٧ رسالة فى اللاهوت) ويقول : هوبز « ان المسيح لم يأت بتعاليم جديدة » (ص ٣٤٣ رسالة) .

الصريحة في اسم محمد ﷺ وفى زمن مجيئه ، وفى موطنه ، وفى أوصافه ، ووضعوا نصوصا غامضة على العوام ، وواضحة للخواص . ولما كانت مهمة عيسى عليه السلام هى التفسير والتوضيح وبيان الذى يختلف فيه علماء بنى اسرائيل ، فقد بين للعوام أن :ـ

(أ) (بماد ماد) و (لجوى جدول) كل منهما بحساب الجمل يشير الى اسم محمد ﷺ .

(ب) وأن الابن الوحيد لابراهيم عليه السلام الذى أمره الله بذبحه هو اسماعيل . واستدل بقول التوراة : « ان الله امتحن ابرهيم . فقال له : يا ابراهيم . فقال : هانذا . فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق واذهب الى أرض المريا . وأصعده هناك ، محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك » (تك ٢٢ : ١ ـ ٢) قال لهم عيسى عليه السلام : الابن الوحيد فى هذا النص من هو ؟ قالوا : اسماعيل . قال : اذن يكون هو الذبيح . ولفظ اسحق زائد للتحريف (١) . يقول برنابا : « حينئذ قال التلاميذ : يامعلم . هكذا كتب فى كتاب موسى : أن العهد صنع باسحق . أجاب يسوع متأوها : هذا هو المكتوب . ولكن موسى لم يكتبه ولا يشوع ، بل أحبارنا الذين لايخافون الله . الحق أقول لكم : انكم اذا أعملتم النظر فى كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبتنا (٢) وفقهائنا . لأن الملاك قال : يا ابراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله . ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله ؟ حقا يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله . أجاب ابراهيم : ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله فكلم الله حينئذ ابراهيم قائلا : خذ ابنك بكرك اسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة .

---

(١) فى ترجمة ١٦٢٢ م ترجموا مريا بأرض العبادة ، ومريا يقول السامريون : انه جبل جرزيم فى نابلس ، ويقول العبرانيون : انه موضع هيكل سليمان . والأصح مكة لأنها أرض عبادة من زمن نوح عليه السلام .

(٢) الكتبة = علماء .

فكيف يكون اسحق البكر ، وهو لما ولد كان اسماعيل بن سبع سنين (٣) ؟»
(برنابا ٤٤)

وليس برنابا بدعا من كتبة الأناجيل المعترف بها . فقد ورد لسم نبى الاسلام ﷺ فى الأناجيل المعترف بها ، ورد فى لوقا ويوحنا . وورد فى متى بحساب الجمل فى كلمة « ايلياء » .

ففى انجيل لوقا هكذا : « ٨ وكان فى تلك الكورة رعاة متبدين ، يحرسون حراسات الليل على رعيتهم ٩ واذا ملاك الرب وقف بهم ، ومجد الرب أضاء حولهم ، فخافوا خوفا عظيما ١٠ فقال لهم الملاك : لا تخافوا . فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب ١٣ وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين الله ، وقائلين : ١٤ المجد لله فى الأعالى ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة » (لوقا ٢) وترجمة الآباء اليسوعيين : « وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماويين يسبحون الله ، ويقولون : المجد لله فى العلى . وعلى الأرض السلام ، للناس الذين بهم المسرة » **والسؤال الآن : من هم الناس الذين** بهم المسرة ؟

جاء فى كتاب « الانجيل والصليب » للأستاذ عبد الأحد داود : أن الملائكة تكلموا باللغة السريانية لغة الرعاة . والكلمتان اللتان نطق بهما الرعاة هما : « ايرينى ـ وأيادوكيا » ومعنى ايرينى : الاسلام . ومعنى أيادوكيا : أفعل التفضيل من الحمد ، أى أكثر الحمد ، أو أحمد . والمعنى العام كما يراه هو : « الحمد لله فى الأعالى ، أوشك أن يجىء الاسلام للأرض . يقدمه للناس أحمد » ويقول : لو كان المقصود بكلمة سلام : الأمن وعدم الحرب ، لاستعملت كلمة « شلم » السريانية ، أو « شالوم » العبرانية (١) .

---

(٣) فى التوراة العبرانية ١٤ سنة .

(١) ص ٣٣ ـ ٥٣ الانجيل والصليب . نقلا عن ص ٤٥ ـ ٤٦ المسيحية للدكتور أحمد شلبى .

وكلامه صحيح . فان التاريخ ينبئنا بأن اليهود من بعد عيسى ـ عليه السلام ـ لم يحصل لهم سرور ، أبدا . فلقد أهانهم « تيطوس » و « ادريانوس » وحرما عليهم دخول أورشليم القدس ، ولم يحصل السرور والأمن ، الا فى مجىء نبى الاسلام ﷺ .

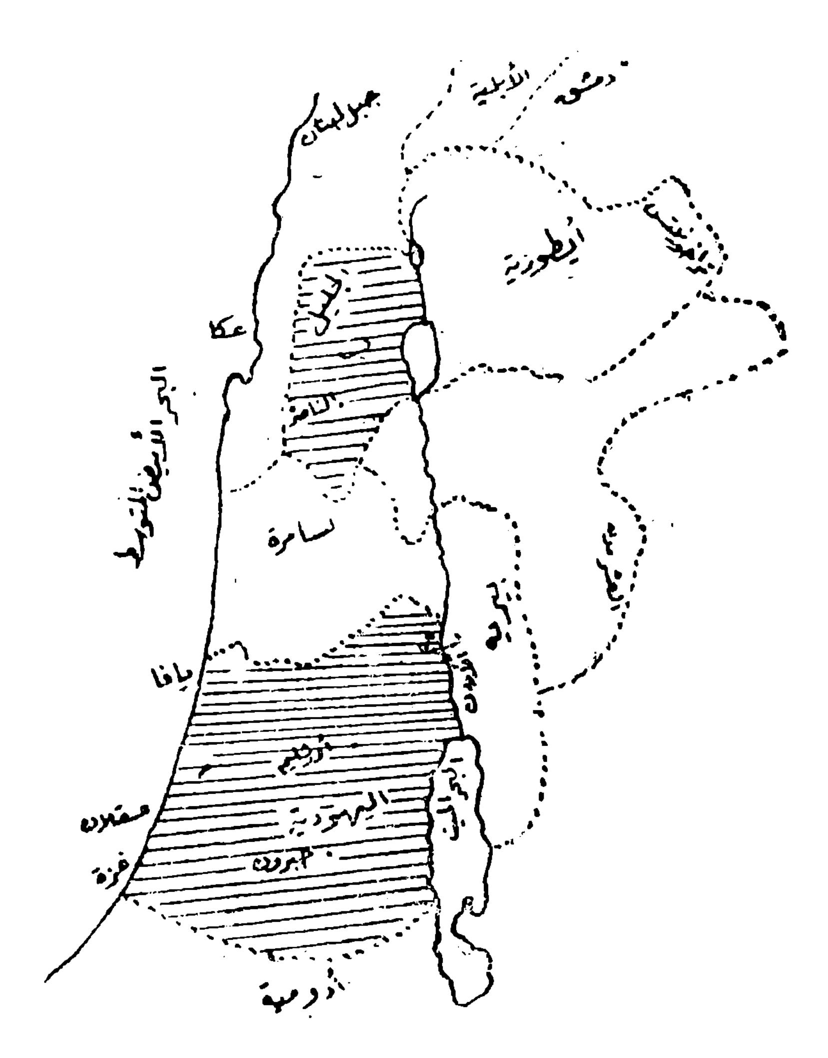
وفى انجيل يوحنا يقول عيسى عليه السلام عن نبى الاسلام ﷺ : » ان كنتم تحبوننى . فاحفظوا وصاياى . وأنا أطلب من الآ فيعطيكم معزيا آخر ، ليمكث معكم الى الأبد ـ وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله لآب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم ـ وقلت لكم لآن قبل أن يكون ، حتى متى كان تؤمنون ـ ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا اليكم ، من الآب ، روح الحق ، الذى من عند الآب ينبثق ، فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضا ، لأنكم معى من الابتداء ـ انه خير لكم أن أنطلق . لأنه ان لم أنطلق لا يأتيكم المعزى » (يوحنا ١٤/١٥/١٦) وكلمة « المعزى » فى هذا النص هى ترجمة كلمة « باركليت » العبرانية أو « باراكليتوس » اليونانية ومعناها : الذى يأتى بعد عيسى عليه السلام ليعزى بنى اسرائيل فى فقدهم الملك والنبوة . والنصارى يقولون : ان المعزى هو الاله الثالث فى ثالوثهم المقدس . ثالوث الآب والابن والروح القدس . وكلمة « بيركليت » العبرانية أو « بيركليتوس » اليونانية ، تترجم فى اللغة العربية « أحمد » ولا يعترض على هذا أحد من علماء اللغات . وغير بعيد أن يكون عيسى عليه السلام قد نطق « بيركليت » أى أحمد . فان حروف المد وتشكيل الكلمات فى اللغة العبرانية كان فى القرن الخامس بعد الميلاد . ويؤكد عدم البعد : أن التثليث لم يصرح به المسيح ، وأن الأوصاف الواردة فى النص عن المعزى باركليت تد لعلى شخص بشرى ، يشهد للمسيح ويعلم كل شىء ، ويذكر بكل ماقاله المسيح لحوارييه .

وفى انجيل متى يقول عيسى عليه السلام : « الحق أقول لكم : لم يقم بين المولودين من النساء ، أعظم من يوحنا المعمدان . ولكن الأصغر

فى ملكوت السموات أعظم منه . ومن أيام يوحنا المعمدان الى الآن ، ملكوت السموات يغصب (١) والغاصبون يختطفونه . لأن جميع الأنبياء والناموس الى يوحنا تنبأوا . وان أردتم أن تقبلوا فهذا هو ايلياء المزمع أن ياتى . من له أذنان للسمع فليسمع » [متى ١١ : ١١ - ١٥] يشير بملكوت السموات الى نبى الاسلام ﷺ - كما سيأتى بيانه - والأصغر هو آخر الأنبياء وهو صاحب الملكوت . ورمز بايلياء الى اسم أحمد صاحب ملكوت السموات ، بحساب الجمل فالألف بواحد ، والياء بعشرة ، واللام بثلاثين ، والياء بعشرة ، والألف بواحد ، والهمزة بواحد . فالمجموع ثلاث وخمسون . والألف من أحمد بواحد ، والحاء بثمانية ، والميم بأربعين ، والدال بأربعة . فالمجموع ثلاث وخمسون . ويشير باغتصاب الملكوت الى الأنبياء الكذبة . والمسيح رمز بايلياء عن أحمد ، لأن ملاخى قال عن أحمد برمز ايلياء فى آخر سفره على لسان الله تعالى : « اذكروا شريعة موسى عبدى التى أمرته بها فى حوريب . على كل اسرائيل الفرائض والأحكام . ها أنذا أرسل اليكم ايلياء النبى قبل مجىء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف » [ملاخى ٤ : ٤ - ٥] والنصارى يقولون بأن ايلياء هو يوحنا المعمدان . وقولهم باطل فان المسيح بين أن « الأصغر » أى آخر الأنبياء أعظم من يوحنا المعمدان والأصغر ليس عيسى فاذن هو من ياتى من بعده . ولقد كان يوحنا مولودا قبل المسيح ، وكان معاصرا له . فلو كان يوحنا هو المراد برمز ايلياء ماكان يقول المسيح انه مزمع أن ياتى . لأن يوحنا كان قد أتى . ولو كان المقصود بايلياء هو النبى يوحنا . فلماذا قال المسيح : « من له أذنان للسمع فليسمع » ولم يقل : من له عينان للرؤيا فليرى ؟

---

(١) صرح الانجيل بأن يوحنا المعمدان مولود قبل عيسى بستة أشهر فكيف يقول عيسى : ان ملكوت السموات يغصب من أيام يوحنا ؟ هذا عجيب . لأن دانيال النبى أخبر عن الملكوت من أيام سبى بابل من قبل المعمدان بقرون . واليهود يغتصبونه لأنفسهم . أى يقولوا : انه سيكون فى اليهود لا فى بنى اسماعيل من أيام سبى بابل .



خريطة تبين أرض اليهودية التي ولد فيها يوحنا المعمدان ويسوع وتبين تقسيم أرض فلسطين بين ولاة وحكام تابعين للروم

الفصل الرابع

فى

سبط لاوى

ان يعقوب عليه السلام قد أنجب اثنى عشر ولدا . ثالثهم اسمه «لاوى» ـ بكسر الواو ـ وينطقه اليهود الآن «ليفى» وكل ولد ، وما تناسل منه يلقب بـ «سبط» . والأسباط فى بنى اسرائيل كالقبائل فى العرب .

ولاوى ابن يعقوب قد أنجب : جرشون وقهات ومرارى . وبنوقهات : عمرام ويصهار وحبرون وعزيئيل . وبنو عمرام : هرون وموسى ومريم (١) . وبنو هرون : ناداب وأبيهو وأليعازار وايثامار . والعازار ولد فينحاس . وفينحاس ولد أبيشوع (٢) .

وبنو موسى : جرشوم وأليعزر . بنو جرشوم . شبوئيل . ابن أليعزر رحبيا . بنو رحبيا : كثيرون جدا (٣) .

وقد أوصى موسى عليه السلام فى التوراة بالنسبة لسبط لاوى مايلى :

١ ـ يعيشون متفرقين فى الأرض . واذا سكنوا بين الأسباط فى

---

(١) على اسمها تسمت مريم م المسيح عيسى عليه السلام وأم المسيح من نسل هارون عليه السلام [الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم] .

(٢) أنظر أخبار الأيام الأول ٦

(٣) أنظر أخبار الأيام الأول ٢٣ « وأما موسى رجل الله ، فدعى بنوه مع سبط لاوى » (١ أخ ٢٣ : ١٤)



خريطة تقسيم فلسطين على الأسباط الاثنى عشر

أرض فلسطين ، لا تكون لهم أرض يمتلكونها . بل كان سبط يخصص جزءا من أرضه ، لمن يريد أن يعيش معه من اللاويين .

٢ ـ سبط لاوى يتخصص فى العلم الدينى . وكل فرد فيهـم يحتفظ بنسخة من التوراة ليعرف ما فيها ، ثم يعلم منهـا بنى اسرائيل الفرائض والأحكام .

٣ ـ ذرية هارون عليه السلام دون سائر سبط لاوى . يكون منهم العلماء العظام الذين يستنبطون الأحكام من التوراة . وتكون الرئاسة

فيهم · ويكون منهم من يقف فى قدس الأقداس (١) ويطلب من الله من أجل بنى اسرائيل ·

هذا بالنسبة للاويين · أما بالنسبة للأسباط الباقية ، فقد وصى موسى عليه السلام اذا امتلكوا أرض فلسطين أن يقتسموها بالقرعة فى ما بينهم · وأن يكون سبط يوسف عليه السلام بناء على وصية يعقوب أبيه ، بسبطين · نظير فضله على اخوته · فلذلك بعد ارتفاع اللاويين أصبح الأسباط اثنى عشر فى توزيع الأرض · وابنا يوسف هما : ١ ـ أفرايم ٢ ـ ومنسى (٢) ·

وقد قسم يشوع بن نون فتى موسى ووصيه ، الأرض على الأسباط وفى عهد داود عليه السلام حسب داود ، أولاد موسى وذريته ، حسبهم من سبط لاوى · لا من بنى هارون · أى انهم حسبوا فى عداد العلماء العاديين مقيمى الشعائر ، لا الأئمة ·

وأما عن أرض سكنى بنى هرون وهم العلماء الأئمة ·

فانه فى عهد يشوع بن نون « تقدم رؤساء آباء اللاويين · الى اليعازار الكاهن والى يشوع بن نون والى رؤساء أسباط بنى اسرائيل ، وكلموهم فى « شيلوه » فى أرض كنعان قائلين : قد أمر الرب على يد موسى أن نعطى مدنا للسكن مع مسارحها لبهائمنا » فقسم لهم يشوع

---

(١) أمرهم الله بصنع خيمة ويضعوا فيها تابوت العهد · والجزء الذى يوضع فيه التابوت يسمى : قدس الأقداس · والجزء الباقى يسمى « القدس » [انظر كتابنا : نقد التوراة ـ أسفار موسى الخمسة ـ السامرية والعبرانية واليونانية] ·

(٢) وبعد موت سليمان عليه السلام ، كون سبطيهوذا وبنيامين مملكة فى أورشليم وسموها مملكة يهوذا ومعهم نفر من اللاويين · والأسباط الباقية كونوا مملكة فى شكيم (نابلس) وسموها مملكة اسرائيل ومعهم أيضا نفر من اللاويين ·

مدنا للسكن مع الأسباط . ولبنى هارون خاصة ثلاث عشرة مدينة . تسع مدن من سبط شمعون وسبط يهوذا ، وأربع مدن من سبط بنيامين . ففى سفر يشوع : « وأعطوا لبنى هارون الكاهن مدينة ملجأ القاتل : حبرون معمسارحها ، ولبنةومسارحهاويتير مسرحها ، وأشتموعومسرحها ، وحولون ومسرحها، ودبيرومسرحها وعينومسرحها ،وبطة (١)ومسرحها ،بيتشمس ومسرحها . تسع مدن من هذين السبطين . ومن سبط بنيامين : جبعون ومسرحها ، وجبع ومسرحها ، عناثوت ومسرحها ، وعلمون ومسرحها . أربع مدن . جميع مدن بنى هارون الكهنة : ثلاث عشرة مدينة ، مع مسارحها » (يشوع ٢١ : ١٣ ـ ١٩)

وحبرون هى مدينة الخليل الآن ، وهى قريبة من أورشليم . وبيت شمس بجوار جبل سعير ، وهى من قرى سبط يهوذا . ففى سفر يشوع : « وامتد التخم من بعلة غربا الى جبل سعير ، وعبر الى جانب جبل يعاريم من الشمال ـ هى كسالون ـ ونزل الى بيت شمس ، وعبر الى تمنة » (يشوع ١٥ : ١٠) وبيت شمس على بعد ستة كيلو مترات غربى القدس (٢) .

وعلى ما قدمنا : فان العلماءالهارونيين من بنى اسرائيل كانوا يعيشون قريبا من أورشليم ، وجبل ساعير . وعنهم كان يصدر الخير الى الناس ، ومنهم كان يصدر الشر أيضا . كما اعترف بذلك ارمياء فى سفره فى قوله « من عند أنبياء أورشليم خرج نفاق فى كل الأرض » (ارمياء ٢٣ : ١٥)

وكل عالم من اللاويين ، هارونيا أو غير هارونى ، كان يلقب بلقب « مسيح » ولقب « مسيح » هو نفسه لقب « مسيا » ففى انجيل

---

(١) فيها ولد عيسى ويحيى ـ عليهما السلام .
(٢) ص ٢٠ ـ ٢٤ القدس الخالدة .

يوحنا : « مسيا الذى تفسيره المسيح » [يو ١ : ٤١] وأصل كلمة المسيح على الحقيقة من المسح بدهن أو بزيت مقدس . وعلى المجاز تطلق على المصطفى من الله لأداء رسالة سامية ١ ــ نبيا ٢ ــ أو عالما ٣ ــ أو ملكا . حتى ولو لم يمسح على الحقيقة بدهن أو بزيت . وكان اللاوى يخدم من سن الخامسة والعشرين الى الخمسين جبرا . ومن الخمسين يساعدون من يخدم تطوعا لاجبرا [عد ٨ : ٢٤ ــ ٢٦] « وكلم الرب هــرون قائلا : خمرا ومسكرا لاتشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم الى خيمة الاجتماع ، لكى لاتموتوا . فرضا دهريا فى أجيالكم . وللتمييز بين المقدس والمحلل وبين النجس والطاهر ، ولتعليم بنى اسرائيل جميع الفرائض التى كلمهم الرب بها بيد موسى » [لاويين ١٠ : ٨ ــ ١١] وقد أمر الله موسى بأن يكون للأئمة من بنى هرون لباس خاص يتميزون به عن بنى اسرائيل . وهذا اللباس هو ١ ــ صدرة ٢ ــ ورداء ٣ ــ وجبة ٣ ــ وقميص مخرم ٤ ــ وعمامة ٥ ــ ومنطقة . **وفى سفر الخروج عن هذا اللباس وعن مسح الكهنة بالدهن المقدس مانصه :** « وتقدم هــرون وبنيه الى باب خيمة الاجتماع وتغسلهم بمــاء وتاخـذ الثياب وتلبس هرون القميص وجبة الرداء ، والرداء ، والصدرة . وتشده بزنار الرداء . وتضع العمامة على راسه ، وتجعل الاكليل المقدس على العمامة . **وتاخذ** دهن المسحة وتسكبه على رأسه وتمسحه . وتقدم بنيه وتلبسهم أقمصة ، وتمنطقهم بمناطق هرون وبنيه ، ويشد لهم قلانس . فيكون لهم كهنوت فريضة أبدية » [خروج ٢٩ : ٤ ــ ٩]

وقد أشار النبى حزقيال الى زوال شريعة موسى ، والى كف يـد علماء بنى اسرائيل عن الدعوة الى الله بشريعة موسى ، فى اليوم الذى يظهر فيه « المسيا الرئيس » الذى له الحكم . **وكنى حزقيال عن ذلك بنزع العمامة التى هى عــلامة الكهنوت عند بنى اسرئيل . فى قولـه :** « وأنت أيها النجس الشرير رئيس اسرائيل الذى قد جاء يومه فى زمان اثم النهاية . هكذا قال السيد الرب : **انزع العمامة** . ارفع التاج . هذه

لاتلك . ارفع الوضيع وضع الرفيع . منقلبا منقلبا منقلبا أجعله . هــــذا أيضا لايكون **حتى يأتى الذى له الحكم فأعطيه اياه** » [حزقيال ٢١ : ٢٥ ـ ٢٧] وهذا له صلة بتنبؤ يعقوب عن مجىء « شيلون » الذى هو المسيا ـ كما سبق بيانه ـ لينهى الملك فى بنى اسرائيل ، وليعلن أنـــه نسخ شريعة موسى . فى قوله : «لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشــترع من بين رجليه ، حتى يأتى شيلون ، ولــه يكون خضـــوع شـعوب » [تك ٤٩ : ١٠]

الفصل الخامس

في

أَصل كلمة مَسِيَّا

المسيا تفسيرها المسيح . وأصلها هكذا :

١ ـ فى اللغة العبرانية « هاماشيح » بمد الهاء والميم مفتوحتين مفخمتين .

٢ ـ وفى اللغة الآرامية « مشيح » ـ والآرامية هى السريانية وجاءت هكذا فى كتب تفسير القرآن الكريم .

٣ ـ وفى اللغة اليونانية « مسيح » .

٤ ـ وفى اللغة العربية تنطق الشين سينا . ولذلك نطقوا الكلمة الآرامية « مشيح » نطقوها مسيا **Messiah** وفى دائرة المعارف اليهودية تحت كلمة مسيا « المسيح بالعبرى « هاماشياح » **Ha-Mashah** وبالآرامى « ماشيحا **Meshih** ومعناها : الممسوح . وتاتى الكلمة بدون الألف واللام كاسم ماشياح »

وفى انجيل يوحنا :

(أ) « مسيا الذى تفسيره : المسيح » (يوحنا ١ : ٤١)
Messiah — which means the christ

(ب) « قالت له المرأة : أنا أعلم أن مسيا الذى يقال له المسيح يأتى ،

فمتى جاء ذلك يخبرنا بكل شىء » [يوحنا ٤ : ٢٥]
« I Know that messiah — that is, christ » (١)

وبعدما بينا أن المسيا تفسيرها المسيح ، نبين الاشتقاق اللغـــوى لكلمة المسيح ـ أى أصل الكلمة على الحقيقية لا على المجاز ـ ان كلمة المسيح هى مشتقة من : ١ ـ المسح بالدهن المقدس ٢ ـ أو صب الزيت على الرأس لمن يعينه الله نبيا أو كاهنا (٢) أو ملكا . ثم أصبحت ـ على المجاز ـ تعنى المعين من الله ، حتى ولو لم يمسح .

١ ـ ففى أسفار موسى الخمسة : أن الذى يمسح يكون مقدسـا . ويكون المسح بدهن مخصوص ، فقد نام يعقوب عليه السلام ذات ليلة فى مدينة « لوز » وهو ذاهب الى العراق ووضع حجرا تحت رأسه ، فرأى حلما عجيبا فى تلك الليلة . ولما أصبح الصباح أخذ هذا « الحجر الذى وضعه تحت رأسه ، وأقامه عمودا ، وصب زيتا على رأسه » (تكوين ٢٨ : ١٨ و٣١ : ١٣)

٢ ـ « وكلم الـرب موسى قائلا : وأنت تأخذ لك أفخر الأطياب ، مرا قاطرا خمس مئة شاقل ، وقرفة عطرة ، نصف ذلك مئتين وخمسين ، وقصب الذريرة مئتين وخمسين ، وسليخة خمس مائة بشاقل القدس . ومن زيت الزيتون هينا وتصنعه دهنا مقدسا للمسحة . عطر عطارة صنعة العطار . دهنا مقدسا للمسحة يكون ، وتمســح به خيمة الاجتماع (٣) وتابوت الشهادة (٤) والمائدة . وكل آنيتها . والمنارة وآنيتها . ومذبح

---

(١) الكتاب المقدس باللغة الانجليزية ـ أنظر المراجع .
(٢) الكهنة تساوى العلماء . فكل عالم دينى عنـد أهل الكتاب يطلقون عليه كاهن .
(٣) حل محلها هيكل سليمان فى آورشليم .
(٤) يسمى تابوت العهد .

البخور . ومذبح المحرقة وكل آنيته . والمرحضة وقاعدتها . وتقدسها . فتكون قدس أقداس كل ما مســـها يكون مقدسا . وتمسح هارون وبنيه وتقدسهم ليكهنوا لى .

وتكلم بنى اسرائيل قائلا : يكون هذا لى دهنا مقدسا ، للمسحة فى أجيالكم . على جسد انسان لا يسكب ، وعلى مقاديره لا تصنعوا مثله ، مقدس هو . ويكون مقدسا عندكم . كل من ركب مثله . أو من جعل منه على أجنبى ، يقطع من شعبه » (خروج ٣٠ : ٣٢ ـ ٣٣) .

والمعنـــــــــــى :

ان موسى عليه الســـلام يجهز من المر والقرفة وقصـــب الذريرة والسليخة وزيت الزيتون يجهـــز من هذه الأنواع وبهذه المقادير دهنا . والذى يمسحه بهذا الدهن يصير مقدسا . ومن الذين يمسحهم بهذا الدهن هارون عليه السلام وبنيه . لأن الكهانة له ولذريته من بعده دون ســائر اليهـــــود .

٢ ـ وهذا الدهن المقدس كان يستعمله الكاهن الأعظم الذى يكون من ذرية هارون عليه السلام فى مسح الملوك والكهنة . فكان اذا ولى ملكا أو استخلف من بعده كاهنا ، يقوم بمسحه بهذا الدهن المقدس . ففى التوراة : أن صموئيل النبى أوحى الله اليه : « غــدا فى مثل الآن أرسل اليك رجلا من أرض بنيامين ، فأمسحه رئيسا لشعبى اسرائيل » (صموئيل الأول ٩ : ١٦) وجاء شاول (طالوت) غدا وقابل صموئيل « فأخذ صموئيل قنينة الدهن ، وصب على رأسه ، وقبله . وقال اليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيسا ؟ » (صموئيل الأول ١٠ : ١) وبهذا صار شاول ملكا على اليهود بعدما مسحه صموئيل .

يقول الدكتور عبد الوهاب محمد المسيرى فى كتابه « موســـوعة

المفاهيم والمصطلحات الصهيونية » تحت عنوان «الماشيح والماشيحانية»
The messiah and messianis مشـــــتقة من الكلمـــــة العبـــرية
« مشح » أى مسح بالزيت المقدس . وكان اليهود على عادة الشـعوب
القديمة يمسحون رأس الملك والكاهن بالزيت قبل تنصيبهما علامة على
أنه قد أصبحت لهما مكانة خاصة . ولم تستخدم كلمة الماشيح فى العهد
القديم بالمعنى الخاص والمحدد الذى أكتسبته فيما بعـد . وانما كانت
كلمة ذات دلالة عامة تشير الى كل الملوك اليهود والأنبياء ـ وقورش
ملك الفرس ـ كما أن هناك اشارات متعددة فى المزامير للشعب اليهودى ،
على أنه شعب من المشحاء المخلصين .

ولكن معنى الكلمة تطور وتحدد فيما بعد (١) فأصبحت تشير الى
ملك من نسل داود (٢) سيأتى بعد ظهور النبى الياهو (اليأس عليه السلام)
ليجمع شتات المنفيين ويعود بهم الى « صهيون » ويحطم أعداء اسرائيل
ويتخذ « أورشليم » عاصمة له ، ويعيد بناء الهيكل ، ويحكم بالشريعة
المكتوبة والشفوية . ثم يبدأ الفردوس الذى سيدوم ألف عام . والسـلام
سيعم العالم عند مجىء الماشيح ، وسيكون فى الأرض رخاء وسعة رزق »

---

(١) سنعلم فيما بعد : أنه تطور من بعـد سبى بابل للبس الحق
بالباطل . ومن ذلك الزمان تأسست الصهيونية . وسبب تأسيسها : أنه
فى التوراة بشارة بنبى من بنى اسماعيل هو محمد ﷺ وقد عـز على
اليهود أن يؤمنوا به . ولما كان ذلك الرفض يغضب الله ، ويسـتحقون
عليه العذاب ، استحبوا الكفر على الايمان . وتآمروا على افساد الناس
أى انهم برفضهم الايمان بمحمد ، علموا انهم مستحقين للنار ، فلذلك أكثروا
من الشر لأن العذاب متحقق منه . وهو على زعمهم أيـام معدودات .
(٢) هذا ادعاء العبرانيين . والسامريون يدعون أنه من سـبط
يوسـف .

الفصـــل السادس

فى

مَسحُ الأنبياءِ والملوكِ والكهنةِ

كان من الألقاب المعظمة عند اليهود ـ الألقاب التى يحملها العظماء ويتفاخرون بحملها ـ لقب « مسيا الذى تفسيره المسيح » وكان الـــذى يحمل لقب المسيا ، تعتبر ذاته مصونة مقدسة ، لا يعتدى عليها أحـــد بسوء ، حتى ولو كان مخطئا • فقد جاء فى التوراة : أن يهوذا المكابى كتب خطابا « الى أرسطو بولس مؤدب بطلماوس الملك الذى من ذرية الكهنة المسحاء » (المكابيين الثانى ١ : ١٠) وجاء فيها أن أحد رجال داود عليه السلام أراد قتل شاول ، فمنعه داود قائلا : « لا تهلكه • فمن ذا الذى يمد يده الى مسيح الرب ويتبرأ » ؟ (صموئيل الأول ٢٦ : ٩) وقد أمر الله فى التوراة أن لا يتعرض أحد بسوء الى أى مسيح كـــان فى قوله : « لا تمسوا مسحائى ، ولا تؤذوا أنبيائى » (أخبار الأيـــام الاول ١٦ : ٢٢)

وأهل الانجيل يقولون : ان الممسوح مكرم عند الله لأن الله هو الذى مسحه • ففى رسالة يوحنا الأولى : « وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس » (يوحنا الأولى ٢ : ٢٠)

وكان من عادة اليهود أن يدهنوا رؤوسهم بالأدهان العطرة ، أيام الأعياد والأفراح • ولذلك صار التدهن علامة على الفرح • وصار تركه علامة على الحزن • ومن ذلك قول نعمى لراعوث : « أغتسلى وتدهنى

وألبسى ثيابك » (راعوث ٣ : ٣) وقول داود عليه السلام لله تعالى : « مسحت بالدهن رأسى » (مزمور ٢٣ : ٥) وقوله أيضا : « تدهنت بزيت طرى » (مزمور ٩٢ : ١٠) وقول الجامعة بن داود : « لتكن ثيابك فى كل حين بيضاء ، ولا يعوز رأسك الدهن » (الجامعة ٩ : ٨) وقد أرسل يوآب رئيس جيش داود ، الى أمرأة وقال لها : « ولا تدهنى بزيت . بل كونى كامرأة لها أيام كثيرة ، وهى تنوح على ميت » (صموئيل الثانى ١٤ : ٢)

وموسى عليه السلام وكان سنة ١٥٧١ ق . م - على حسب تواريخ النصارى - مسح هارون أخيه . والنبى الياس عليه السلام وكان سنة ٩٠٠ قبل الميلاد مسح خلفه فى الدعوة وهو « اليسع عليه السلام » ففى التوراة : أن الله عز وجل أوحى الى الياس أ نيذهب الى برية دمشق ويمسح ملكين ونبيا ففى سفر الملوك الأول « وقال له الرب : اذهب راجعا فى طريقك الى برية دمشق ، وادخل وأمسح حزائيل ملكا على أرام . وأمسح ياهو بن نمشى ملكا على اسرائيل وامسح اليشع ابن شافاط . من آبل محولة ، نبيا عوضا عنك » (الملوك الأول ١٩ : ١٥ - ١٦)

وصموئيل مسح طالوت ملكا على بنى اسرائيل سنة ١٠٥٦ ق . م وداود عليه السلام قد مسح ملكا (١) على بنى اسرائيل ثلاث مرات ، ١ - مسحه صموئيل على أنفراد « فقال صموئيل ليسى : أرسل وات به . لأننا لا نجلس حتى يأتى الى ههنا . فأرسل وأتى به . وكان أشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر ، فقال الرب : قم امسحه لأن

---

(١) اليهود يعتبرون داود عليه السلام ملكا . ولا يعتبرونه نبيا . ونحن المسلمين نعترف بنبوته مع كونه ملكا . وطالوت قيل كان نبيا ، وقيل : كان ملكا (القرطبى فى البقرة) .

هذا هو . فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه فى وسط اخوته ، وحل روح الــرب على داود من ذلك اليـــوم فصـــاعدا » (١ صم ١٦ : ١١ -)

٢ - ومسحه رجال يهوذا فى مدينة حبرون « وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ، ملكا على بيت يهوذا » (صموئيل الثانى ٢ : ٤)

٣ - مسحه شيوخ بنى اسرائيل على كل الأمة « وجاء جميع شيوخ اسرائيل الى الملك الى حبرون . فقطع الملك داود معهم عهدا فى حبرون أمام الرب . ومسحوا داود ملكا على اسرائيل » (صموئيل الثانى ٥ : ٣)

وأبشالوم بن داود قد مسحه نفر من اليهود ملكا « وأبشالوم الذى مسحناه علينا قد مات فى الحرب » (صموئيل الثانى ١٩ : ١٠)

وسليمان عليه السلام قد أمر أبوه داود ، بأن يمسح ملكا لمـــا حضره الموت « قال الملك داود : أدع لى صادوق الكاهن . وناثان النبى . وبناياهوبن يهويا داع . فدخلوا الى أمام الملك . فقال لهم : خـــذوا معكم عبيد سيدكم وأركبوا سليمان ابنى على البغلة التى لى ، وانزلوا به الى جيحون ، وليمسحه هناك صادوق الكاهن وناثان النبى ملكـــا على اسرائيل . واضربوا بالبوق . وقولوا : ليحيى الملك سليمان ... فأخذ صادوق الكاهن قرن الدهن من الخيمة ، ومسح سليمان وضربوه بالبوق . وقال جميع الشعب : ليحيا الملك سليمان » (الملوك الأول ١ : ٣٣ - ٣٩) هذا عن مسح ١ - الانبياء ٢ - والملوك .

أما عن مسح الكهنة العلماء الذين هم من نسل هرون عليه السلام - فقد قلنا من قبل : ان موسى وصى بذلك . وهذا نص آخر : وهو : يقول الله لموسى عليه السلام : « وتلبس هرون الثياب المقدسة ، وتمســحه وتقدسه ، ليكهن لى . وتقدم بنيه وتلبسهم أقمصة ، وتمسحهم كما مسحت أباهم ليكهنوا لى . ويكون ذلك لتصير لهـــم مسحتهم كهنوتا أبديا فى أجيالهم » (خروج ٤٠ : ١٣ - ١٤) وقد مسحهم بالفعل ففى ســـفر

العدد : « هذه أسماء بنى هارون الكهنة الممسوحين الذين ملأ ايديهم فيها للكهانة » (عدد ٣ : ٣)

ومما تقدم يعلم : أن كلمة « مسيح » وردت على الحقيقة ، بصب الزيت أو الدهن حقيقة على المصطفى من الله : نبيا ، أو عالما ، أو ملكا . **ووردت على المجاز** بمعنى المصطفى من الله لأداء رسالة **مقدسة** ، **ولو** لم يمسح حقيقة من أحد .

الفصـــل السابع

فى

زمان ظهور المسيا

يقول اليهود : ان النص الذى يدل على مجىء المسيا ، هو النص الذى يدل على مجىء النبى المماثل لموسى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية • ويقول النصارى بقولهم • واليهود يقولون : ان المســيا لم يأت الى هذا الزمان • والنصارى يقولونَ : انه هو المسيح عيسى بن مريم • وهذا هو النص الذى اتفقت كلمة اليهود والنصارى على أنه هو الذى يدل على المسيا ـ وقد شرحناه فى فصل سابق من هذاالكتاب وفى كتب أخرى •

النص : « يقيم لك الرب الهك نبيا • من وسطك • من أخــوتك • مثلى • له تسمعون ••• قال لى الرب : قد أحسنوا فى ماتكلموا • أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه • فيكلمهم بكل ما أوصيه به • ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم بــه باسمى أنا أطالبه • وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذىيتكلم باسم آلهةأخرى ، فيموت(١) ذلك النبى • وان قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم بــه النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذى لم يتكلم بـــه الرب • بل بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه » (التثنية ١٨ : ١٥ ـ ٢٢)

---

(١) فى ترجمة اليسوعيين والسامريين « فليقتل »

وهذا النص الذى يدل على مجىء المسيا عند أهل الكتاب ـ وهم اليهود والنصارى ـ هو الذى استدل به المسلمون ، والذين أسلموا من أهل الكتاب ، على أن محمدا ﷺ مكتوب عنه فى التوراة . فقد ذكروا هذا النص فى اثبات نبوة محمد ﷺ من كتب أهل الكتاب وشرحوه شرحا وافيا ، وألزموا به الخصوم . **وحيث أن هذا النص الذى استدل بـه المسلمون والذين أسلموا من أهل الكتاب على أن محمد ﷺ مكتوب عنه فى التوراة ، هو الذى يدل عند أهل الكتاب على مجىء المسيا ، فـان المسيا يكون محمدا رسول الله .**

منهم الامام فخر الدين الرازى ، محمد بن عمر بن الحسين المتوفى سنة ٦٠٦ هـ فى تفسيره الكبير فى الربع الثانى من سورة البقرة ، ومنهم الامام الماوردى فى أعلام النبوة ، ومنهم اليهودى الذى أسلم وكتب كتابا فى افحام اليهود ، وهو شموئيل بن يهوذا بن آبون .

وقد تصدى لهـؤلاء الثلاثة سعد بن منصـور بن كمونة الاسرائيلى البغدادى المتوفى سنة ٦٨٣ من الهجرة . فألف فى الرد عليهم وعلى من يقول بقولهم . وفى الرد على النصارى أيضا الذين قالوا : أن هذا النص يشير الى عيسى عليه السـلام . ألف كتابه (تنقيح الأبحاث فى المـلل الثلاث) وقال فيه : اننا فى انتظار نبى عظيم ـ هو المسيا ـ ولكنه سيكون من بنى اسرائيل . ولم يكن هو عيسى عليه السلام . يقول ابن كمونة : « وأما النبى الذى يقيمه الله من أخوة بنى اسرائيل . فالمراد بذلك أنـه يكون منهم (١) » أ هـ

ومعنى ذلك : أن اليهود حرفوا الكلم عن مواضعه بالتأويلات الفاسدة . **بعد تحريف الكلم عن مواضعه . وقصروا النبوة على جنسهم . وادعو أن النبى المنتظر سيكون منهم أنفسهم ، لا من بنى اسماعيل ـ عليه السلام ـ وماذا ينتظر**

---

(١) ص ٩٤ تنقيح الابحاث فى الملل الثلاث .

من اليهود بعد ادعائهم : أن النبى المنتظر ، الملقب بلقب المسيا ، سيكون منهم أنفسهم ، وليس من بنى اسماعيل • مع أن لاسماعيل بركة ؟ مـاذا ينتظر منهم ؟

لاشك أنهم سيطلقون عليه ألقابهم التى يطلقونها على أنفسهم وذلك للمبالغة فى اخفاء حقيقته • كمن يسرق شيئا ، وينكر معالمه على صاحبه ، حتى لا يعرفه بوضوح ، واذا عرف لا يستطيع المطالبة به •

وذلك ماحدث منهم • فانهم بعد الرجوع من بابل بالتوراة الجديدة ـ التى كتبها عزرا ، ونسبها الى موسى عليه السلام ، وفيها نصوص النبوءات واضحةللخواص ، وغامضةعلى العوام ـأشاعوا فىالناس بأنهمينتظروننبيا عظيما ، منقذا لهم من الهوان ، ومخلصا لهم من الذل ، ومحررا لهم من العبودية • وأدعوا أنه سيكون مسيحا عظيما أعظم من أى مسيح كان • وقال السامريون والعبرانيون : أنه « مسيح » وانه « ابن الله » كما هم أبناء الله • وأنه « اله » كما كان موسى « الها لفرعون »وذلك لأنه مماثل لموسى • وللتفرقة بينه وبين أنبيائهـم سماه الســامريون والعبرانيون : « المسيح الرئيس » وسموه أيضا « المسيح » بالألف واللام ، كأنه عـلم فرد ، هو معروف ومشهور • وذلك مثل لفظ «الاسلام» فان كل دين يسمى « اسلام » اذ كلمة اسلام تطلق على ماجـاء بـه نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام •

وتطلق كلمة « الاسلام » ويراد بها دين محمد ﷺ • ومثل لفـظ « النبى » اذ كل رجل يصطفيه الله وينبؤه يلقب بـ «نبى» فكلمة النبى تطلق على نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام •• لكـن اذا قيل « النبى » بالألف واللام ، فأنه يراد به محمد ﷺ لأنه النبى الذى بشرت بمقدمه الرسل • والناس دائما تسأل عنه •

وقد سأل اليهود يوحنـا المعمدان عنـه بقولهم : « ألنبى أنت ؟ » • اى النبى المعهود المعروف ، الذى قال عنه موسى فى التوراة : « يقيم

لك الرب الهك نبيا » وأجاب بقوله : « لست أنا اياه . يأتى بعدى من هو أقوى منى ، الذى لست أهلا أن أنحنى وأحل سيور حذائه » كما روى يوحنا ومرقس ومثل : ما اذا قيل فى مدينة : فلان رئيس عائلة ، وفلان رئيس جماعة ، وفلان رئيس منطقة ، وفلان رئيس نفسه . واذا قلت : الرئيس . فان الذهن ينصرف الى الرئيس الأعلى للمدينة ، الذى هو رئيس كل الرؤساء .

وبعد ما أطلق اليهود عليه ألقابهم ، مبالغة فى اخفاء معالمه . ماذا قالوا . عن يوم قدومه ؟ انهم متأكدون من قدومه ، لأن وعد الله لايتخلف . فماذا قالوا ؟ انهم سموه « آخرة الأيام » استنادا على وصية يعقوب عليه السلام لبنيه وهى : « ودعا يعقوب بنيه ، وقال : اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام » [تك ٤٩ : ١] ثم قال لهم : « لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتى شيلون . وله يكون خضوع شعوب » [تك ٤٩ : ١٠] فالتعبير بآخر الأيام عندهم : هو آخر أيام ملكهم وشريعتهم على الأرض . أى آخر يوم من أيام بركة اسحق . الذى يأتى بعده أول يوم من أيام بركة اسماعيل . وهو يوم يجىء « شيلون » بعد زوال الملك من اليهود ـ كما سبق بيانه ـ

وسموه « يوم الرب » استنادا على ماجاء فى كتاب موسى عن النبى المنتظر : أنه سيهلك اليهود الذين لن يؤمنوا به . فى قوله على لسان الله تعالى : « ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى . أنا أطالبه » [تثنية ١٨ : ١٩] أى اليوم الذى سيحارب فيه لتطهير الأرض من الشرك ـ وقولهم هذا صحيح ـ .

وقد ظن بعض الناس : أن قول أشعياء . وهو « ويكون فى آخر الأيام : أن جبل بيت الرب ، يكون ثابتا فى رأس الجبال ، ويرتفع فوق التلال وتجرى اليه كل الأمم ، وتسير شعوب كثيرة ويقولون : هلم نصعد

« الى جبل الرب الى بيت اله يعقوب ، فيعلمنا من طرقه ، ونسلك فى سبله . لأنه من صهيون تخرج الشريعة ، ومن أورشليم كلمة الرب »
[أش ٢ : ٢ – ٣]

وقول أشعياء وهو : « فيرفع راية للأمم من بعيد ، ويصفر لهم من أقصى الأرض . فاذا هم بالعجلة يأتون سريعا . ليس فيهم رازح ولا عاثر ، لا ينعسون ولا ينامون ، ولا تنحل حزم أحقائهم ، ولا تنقطع سيور أحذيتهم . الذين سهامهم مسنونة ، وجميع قسيهم ممدودة ، حوافر خيلهم تحسب كالصوان ، وبكراتهم كالزوبعة . لهم زمجرة كاللبوة . ويزمجرون كالشبل ، ويهرون ويمسكون الفريسة ويستخلصونها ولا منقذ . يهرون عليهم فى ذلك اليوم كهدير البحر » [أش ٥ : ٢٦ – ٣٠]

ظن البعض أن هذين القولين يدلان على « آخرة الأيام » أو «يوم الرب أى يوم مجىء المسيا فى آخرة الأيام . وقد يتبادر الى الذهن أن « آخرة الأيام » أى أيام الدنيا ، و « يوم الرب » هو يوم القيامة .

وليس الظن بصحيح ، ولا ماقد يتبادر الى الذهن هو صحيح . ذلك لأن قول أشعياءالأول والثانى يشيرانالى رجوعاليهود منسبى بابل . الى أرض فلسطين حيث جبل صهيون الذى تهفو قلوبهم اليه ، وحيث هيكل سليمان الذى يعتقدون أن فيه البركة والسكينة . بدليل قوله فى النص : « لأنه من صهيون تخرج الشريعة ، ومن أورشليم كلمة الرب » وهو يريد أن يقول : انه سيكون يوم تسمو فيه اسرائيل على العالمين وتعلو – بعد الرجوع عن آثامهم – ويعفوا الله عنهم ويسهل لهم العودة الىفلسطين ، وفى هذا اليوم تعود البقية الصالحة منهم الى أرض فلسطين ، ليحيو حياة سعيدة هانئة .

وما قد يتبادر الى الذهن من أن « آخرة الأيام » أو « يوم الرب » هو اشارة الى يوم القيامة . فهذا باطل ، لأن سفر أشعياء غير مقدس

عند السامريين . والتوراة العبرانية ـ التى فيها سفر أشعياء ـ فيهـــا النص على يوم القيامة غامض ، يحتمل اما الجزاء فى الدنيا واما الجزاء فى الآخرة . وعلى ذلك فلا يمكن أن يكون التعبير بآخرة الأيام أو يوم الرب نص بصراحة على يوم القيامة .

وهذا هــو الدليــل على يوم القيــامة من تــوراة موسى نفســها :

يقول الكاتب على لسان الله تعالى : « أليس ذلك مكنوزا عندى ، مختوما عليه فى خزائنى ؟ لى النقمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم . أن يــوم هلاكهم قريب ، والمهيآت لهم مسرعة . لأن الرب يدين شعبه ، وعلى عبيده يشفق . حين يرى أن اليد قد مضت ، ولم يبق محجوز ولا مطلق . يقول أين آلهتهم الصخرة التى ألتجأوا أليها ، التى كانت تأكل كل شحم أنظروا الآن . أنا أنا هو ، وليس أله معى . أنا أميت وأحيى . سحقت وأنى أشفى وليس من يدى مخلص . انى أرفع الى السماء يدى ، وأقول حى أنا الى الأبد » (تثنية ٣٢ : ٣٤ ـ ٤٠)

ولأن اليهود يريدون التضليل فى حقيقة المسيا وفى يــوم ظهوره ، يتصيدون عبارات من أى ســفر مقدس أو ســفر أبو كريفى غير مقدس ، ويطرحونه على موائــد البحث ويتجادلون فيــه ، ليوهموا الناس أن عبارات الأسفار المقدسة أو غيرالمقدســة من الوحى الذى يحســـب لــه ذبائحهم ، وتشرب خمر سكائبهم ؟ لتقم وتساعدكم وتكن عليكم حماية . ألف حساب وحساب . ويشوشون على الناس به ، ماهو الحق فى شأن المسيا وفى يوم ظهوره

يقول مؤلف موسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية : « ويجب أن نتذكر أن الصهيونية قـــد نبتت فى تربة غارقة حتى أذنيهــا ، فى حساب « آخرة الأيام » وحساب متى يجىء الماشيح بالخلاص لصهيون ».

هذا يحدث منهم مع علمهم بأن فى التوراة نصوص صحيحة تشـير

الى يوم ظهوره ، وهى نصوص محكمة لا تحتمل معنيين . يعرفونها ويلقنون معانيها لأبنائهم . ولكن لغيرهم لايقولون .

ومن النصوص التى يعرفونها ويلقنون معانيها لأبنائهم . هذا النص الذى أذكره الآن من سفر دانيال وفيه أنهم أطلقوا على نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم ، لقب « قدوس القدوسين » ولقب « المسيح الرئيس » وحددوا فيه السنة التى سيولد فيها ، بأسلوبهم فى الكتابة ، وطرقهم فى التعبير .

ففى سفر دانيال . قال له جبريل عليه السلام فى مدينة بابل « سبعون أسبوعا قضيت على شعبك ، وعلى مدينتك المقدسة ، لتكميل المعصية ، وتتميم الخطايا ولكفارة الاثم ، وليؤتى بالبر الأبدى ولختم الرؤيا والنبوة ، ولمسح قدوس القدوسين .

فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها ، الى المسيح الرئيس : **سبعة أسابيع واثنان وستون سبوعا** . يعود ويبنى سوق وخليج فى ضيق الأزمنة . وبعد اثنين وستين أسبوعا يقطع المسيح وليس له . وشعب رئيس آت ، يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة . والى النهاية حرب وخرب قضى بها . ويثبت عهدا مع كثيرين فى أسبوع واحد . وفى وسط الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة . وعلى جناح الأرجاس مخرب ، حتى يتم ويصب المقضى على المخرب » (دانيال ٩ : ٢٤ – ٢٧)

وقد فسر عيسى عليه السلام الآتى بالبر الأبدى وبختم الرؤيا والنبوة ، وأنه قدوس القدوسين ، فسره بنبى الاسلام ﷺ فى قوله لتلاميذه : « لكنى أقول لكم الحق . انه خير لكم أن أنطلق . لأنه ان لم أنطلق

لا ياتيكم المعزى (١) • ولكن أن ذهبت أرسله اليكم • ومتى جاء ذاك، يبكت العالم على خطية وعلى بـر وعلى دينونة » (يوحنـا ١٦ : ٧ ـ ٨ يشير بقوله : « وعلى بر » الى كلام دانيال هذا (٢) أى أنه نبى البر وسوف يرفضوه ، وسوف يوبخهم على هذا الرفض •

ونقول أولا وقبل كل شىء ونحن بصدد بيان حساب الأسابيع السبعين : ان الآتى بالبر الأبدى لم يكن قد جاء قبل عيسى عليه السلام ، وانه هو شخص مغاير لشخص عيسى المسيح • وذلك لأنه من الواضح من النصوص : أن عيسى ـ عليه السلام ـ يتحدث عن شخص غيره ، سياتى من بعده •

ومن أى زمن نحسب السبعين أسبوعا ؟ المتبادر الى الذهن أن نحسب من هدم هيكل سليمان على يد تيطوس أو ادريانوس لأن الهدم يدل على اعادة البناء • ولكن العقل يهدينا الى غير هذا • يهدينا الى أن سفر دانيال قد سلمه اليهود الى النصارى فى سنة ٩٠ من الميلاد ، فى مجمع « يمنيه » (٣) أى بعد رفع عيسى الى السماء • فلو كان هذا السفر منشورا فى العالم قبل ذلك التاريخ ، لما سلمه اليهود الى النصارى فى ذلك الزمان •

وعليه فمن المحتمل أنهم حددوا السنين من سنة تسليم السفر فى

---

(١) المعزى بضم الميم وكسر الزاى مشددة تعنى العوض والبديل عن عيسى عليه السلام • وقد وضعها النصارى بدل كلمة « باراكليت » العبرانية • وباركليت وضعت بدل « بيريكليت » التى تعنى « أحمد » وقالوا : ان المسيح نطق باراكليت • ولو كان قد نطق « بيريكليت » لآمنا بنبى الاسلام •

(٢) أنظر تفسير متى هنرى لعبارات يوحنا ١٦ : ٧ ـ ٨

(٣) ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ايمانى للقس الياس مقار

يمنية والأسبوع فى لغتهم يعنى سبع سنين (التكوين ٢٩ : ٧) وقد ولد نبى الاسلام ﷺ فى سنة ٥٧٠ أو ٥٧١ م ولأن اليهود يلبسون الحق بالباطل ، غير بعيد منهم أن يجعلوا النص ملغزا . ولو أنك حسبت ٩٠ + ٤٨٣ = ٥٧٣م ، فالزمن قريب من نبى الاسلام ﷺ وقد بقى من السبعين أسبوعا ، أسبوعا واحدا . هو المشار اليه بقوله : « وفى أسبوع واحد يثبت عهدا مع كثيرين » أى أن المدة كلها سبعون أسبوعا منها أسبوع واحد للعهد وتسيير الجيوش لغزو بلاد الشام . وقوله « وبعد اثنين وستين أسبوعا يقطع المسيح » أى أن عمر نبى الاسلام ﷺ مقدر بأثنين وستين سنة . لأن الأسبوع عندهم يأتى بمعنى السنة أيضا . كما نص عليه أرمياء فى سفره ، ونقله مفسرو النصارى فى تفسير عبارات دانيال عن الأسابيع السبعين . وقوله : « يقطع المسيح وليس له » أى يموت المسيح المنتظر ، وهو النبى ﷺ - وقد لقبوه بألقابهم ليخفوا حقيقته عن الناس - وليس له أولاد من صلبه ، يملكون على مملكته .

وقوله « وشعب رئيسى آت يخرب المدينة » يشير الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فهو خليفه عن رسول الله ، وليس من أولاده بل من صحابته وأتباعه . والمراد بالمدينة «**أورشليم**» (القدس) . وقد كتب «عمر» العهدة العمرية مع «صفرنيوس» وقوله : «يبطل الذبيحة والتقدمة» اشارة الى انتهاء العمل بالشريعة اليهودية . وقوله : « فاعلم وأفهم » يدل على أن الكاتب لبس الحق بالباطل ، فان متى كاتب الانجيل نقلها هكذا على لسان المسيح عيسى عليه السلام وهو يتحدث عن علامات ابن الانسان . ونص عبارته : « فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس ليفهم القارىء » (متى ٢٤ : ١٥) ومما لاشك فيه : أن رجسة خراب دانيال لم تكن قد حدثت قبل عيسى المسيح ، بدليل نه يحدث أتباعه عنها . وقد حدث المسيح عيسى عليه السلام أتباعه عنها لماقال لهم : ان الهيكل سيهدم ، وأورشليم ستخرب . وسيأتى ابن الانسان ليؤسس ملكوت السموات (متى ٢٤ و ٢٥) .

وقد جاء فى كتب النصارى : أن « صفر نيوس » لما رأى جيوش

« عمر بن الخطاب » رضى الله عنه قال : هذه هى رجسة الخراب التى اشار اليها دانيال النبى . وقد بينا هذا فى كتاب « البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل » وفى آخر هذا الكتاب .

* * *

وأنتشرت فكرة « المسيح المنتظر » أو « المسيا العالمية » فى العالم من زمن قديم جدا . نشرها بنواسرائيل فى العالم من قبل أن تحرف التوراة على أنه سيأتى من بنى اسماعيل عليه السلام . ومن بعد تحريف التوراة فى بابل نشروها على أنه سيكون من اليهود . ولقد حمل اليهود هذه فكرة معهم فى كل مكان حلوا فيه زائرين أو مشتتين . وانتقلت هذه الفكرة عنهم ، فكرة المسيح المنتظر أو المسيا العالمية الى جميع أمم الأرض مع التجار الذين يجيئون الى بلاد الشام ، ومع الغزاة الفاتحين الذين كانوا يحتلون « أورشليم » من آن الى آخر .

ولذلك نجد صدى لهذه الفكرة فى آداب الأمم القديمة . فى الآداب الفارسية مثلا . وفى الآداب الهندية والمصرية . (١)

* * *

ومن سبى بابل الى زمن يحيى عليه السلام كان اليهود ينتظرون هذا « المسيح المنتظر » . وقد أرسلوا وفدا من علماء مدينة القدس الى يحيى ليسألوه « من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر ، وأقر أنى لست أنا المسيح » (يوحنا ١ : ١٩ ــ ٢٠) لقد سألوه كما بينا من قبل عن « النبى » كما جاء عنه فى نص التوراة . وسألوه أيضا عن « المسيح » كما هى الفكرة الشائعة فى العالم عن مجىء المسيح الرئيس ، ليكونوا على يقين بدون شك كما كان يسأل الأعراب رسول الله ﷺ : أنت النبى ؟ أنت محمد ؟ أنت خاتم النبين ؟ للتأكد وابعاد الشك . ولقد نفى يوحنا أنه هو المسيح المشهور ، ونفى عن نفسه أنه النبى المعهود . أى لا هو النبى ، ولا هو المسيا . والنبى والمسيا ، لقبان لواحد ، هو محمد ﷺ .

---

(١) أنظر قصة الحضارة ــ اول ديورانت ص ٢٠٢ ج ٣ .

وكذلك كان الأمر مع عيسى عليه السلام • فان امرأة من يهود السامرة « قالت للناس : هلموا أنظروا انسانا قال لى : كل مافعلت • ألعل هذا هو المسيح ؟ » (يوحنا ٤ : ٢٩) وقد لبس النصارى الحق بالباطل • فقالوا : ان الناس قالوا للمرأة : « ان هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم » (يوحنا ٤ : ٤٢) وقالوا : ان عيسى عليه السلام رد على لمرأة بقوله : « أنا الذى أكلمك هو » لما قالت له : « أنا أعلم أن مسيا ، الذى يقال له المسيح يأتى ، فمتى جاء ذاك ، يخبرنا بكل شىء (يوحنا ٤ : ٢٥ ـ ٢٦)

مع أنه فى انجيل مرقس تصريح واضح من عيسى عليه السلام بأنه ليس هو المسيح الرئيس • وذلك لأنه انتهر تلاميذه أن لا يقولوا لأحد بأنه هو المسيح الرئيس • يقول مرقس : « وفى الطريق سأل تلاميذه قائلا لهم : من يقول الناس انى أنا ؟ فأجابوا : يوحنا المعمدان • وآخرون ايلياء وآخرون واحد من الانبياء فقال لهم : وأنتم من تقولون : انى أنا ؟ فأجاب بطرس وقال له : أنت المسيح • فانتهرهم كى لايقولوا لأحد عنه » [مرقس ٨ : ٢٧ ـ ٣٠]

وفى أنجيل يوحنا : « قال قوم من أهل أورشليم : أليس هذا هو الذى يطلبون أن يقتلوه • وها هو يتكلم جهارا ، ولا يقولون له شيئا ؟ ألعل الرؤساء عرفوا يقينا : أن هذا هو المسيح حقا ؟ ولكن هذا نعلم من أين هو • وأما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من أين هو •

فنادى يسوع ـ وهو يعلم فى الهيكل ـ قائلا : تعرفوننى ، وتعرفون من أين أنا • ومن نفسى لم آت • بل الذى أرسلنى هو حق • الذى أنتم لستم تعرفونه • أنا أعرفه لأنى منه وهو أرسلنى • فطلبوا أن يمسكوه • ولم يلق أحد يدا عليه ، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد • فآمن به كثيرون من الجمع • وقالوا : ألعل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من

هذه التى عملها ؟ » (يوحنا ٧ : ٢٥ ـ ٣٠) فقولهم « هذا هو المسيح » وقولهم « وأما المسيح » وقولهم « ألعل المسيح ؟ » يدل على أن مسيحا معهودا معروفا ، كانوا ينتظرونه حتى زمن عيسى عليه السلام ولم يصرح عيسى عليه السلام بأنه هو ـ كما يدعى النصارى أنه هو ـ وسوف نبين بأدلة أكثر مما قدمنا : أن هذا المسيح ليس هو عيسى عليه السلام .

الفصل الثـامن

فى

أَلقَابُ المَسِيَّا

تمهيد :

بينا من قبل : أن اليهود لما أدعو بأن النبى المنتظر ـ وهو محمد رسول الله ـ سيكون منهم ، أطلقوا عليه الألقاب التى يطلقونهـا على أى نبى من أنبيائهـم ، وعلى أى عظيم من عظمائهـم ، ليخفـوا حقيقته عن الناس ٠

وبينا من قبل : أنهم يطلقون على أنفسهم فى التـوراة : لقـب « اله » ولقب « ابن الله » مع اعترافهم بأن الله عز وجل اله واحد ، لاشريك له ، ولا شبيه ولا نظير ٠

ونبين هنا : أن داوود عليـه السـلام له كتـاب سـماوى يسـمى «الزبور» ، ويسميه أهل الكتاب : بـ « سفر المزامير » وهذا السفر قدكتب بعد موت داوود عليه السلام بمئات من السنين ٠ والدليل على ذلك آن داوود كان فى سنة ١٠٥٦ ق ٠ م تقريبـا ، وسبى « نبوخـذ ناصر » ملك « بابل » لليهود العبرانيين كان سنة ٥٨٦ ق ٠ م تقريبا وفى الزبور آيات مكتوبات فى مدينة « بابل » ٠ ومعنى هذا : أن الزبور قد كتب بعد موت داوود ، وأدخل عليه مالم يشهده داوود عليه السلام ٠ ومن ذلك :

« على أنهار بابل ٠ هناك جلسنا ٠ بكينا عندما تذكرنا صهيون ٠٠ على الصفصاف فى وسطها ، علقنا أعوادنا ٠ لأنه سألنا الذين سبونا : كلام ترنيمة ، ومعذبونا سألونا فرحـا قـائلين : رنموا لنا من ترنيمات

صهيون . كيف نرنم للرب فى أرض غريبة ؟ ان نسيتك ياأورشليم تنسى يمينى ... الخ » (مزمور ١٣٧ : ١ ـ ٥)

وقد أوحى الله تعالى الى داوود عليه السلام بأن يشير الى مجىء نبى الاسلام ﷺ ويتحدث عن أمته . فأشار داوود باشـارات واضحة . وتحدث بأحاديث مفصلة . ومن ذلك : قوله عن « أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » (الأنبياء ١٠٥) : مانصه « ٩ الذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض ١٠ . بعد قليـل لا يكون الشرير ، تطلـع فى مكانـه فلا يكون ١١ أما الودعاء فيرثون الأرض ، ويتلذذون فى كثرة السلامة ١٨ الرب عارف أيام الكملة ، وميراثهم الى الأبد يكون ١٩ لا يخزون فى زمن السؤ . وفى أيام الجوع يشبعون ٢٩ الصديقون يرثون الأرض ، ويسكنونها الى الأبد » (مزمور ٣٧)

ومن ذلك : قوله عن مثل الأمة الاسلامية الذى تشير اليه الآيـة الكريمة : « محمد رسول الله ، والذين معه : أشداء على الكفار ، رحماء بينهم . تراهم ركعا سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا . سيماهم فى وجوهم من أثر السجود . ذلك مثلهم فى التوراة » (١) (الفتـح ٢٨) يقول داوود مانصـه : « ليبتهج الأتقيـاء بمجد ، ليرنموا على مضاجعهم . تنويهات الله فى أفواهم ، وسيف ذو حدين فى يدهـم ، ليصنعوا نقمة فى الأمم ، وتاديبات (٢) فى الشعوب » (مزمور ١٤٩)

* * *

وقد صاغ المعانى كاتب الزبور بأسلوب اليهود فى الكتابة ، وطريقتهم

---

(١) الزبور يطلق عليه أسم التوراة مجازا .

(٢) أنظر ترجمة أخرى وشرح فى كتاب : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل ، للشيخ أبى الفضل المالكى المسعودى طبعة مصـر ١٣٢٢ هـ .

فى التعبير وهو يشير الى نبى الاسلام ﷺ • فقد عبر عنه ١ ـ بالملك ، مثلما كان موسى رئيسا مطاعا ٢ ـ وبالمسيح ، مثلما كان موسى وهرون وداوود عليهم السلام ٣ ـ وبالرب ، أى السيد ٤ ـ وبابن الله ، مثلما عبرت التوراة عن جميع اليهود بأنهم أبناء لله ففيها أن موسى قال لهم : « أنتم أولاد للرب الهكم » (تثنية ١٤ : ١)

القـاب المسـيا

اللقب الأول : الملك

أما عن « الملك » ففى الزبور التاسع والأربعين بعد المائة • الذى أشار اليه القرآن الكريم فى مثل الأمة الاسلامية ، وفيه : « تنويهات الله فى أفواهم ، وسيف ذو حدين فى يدهم » وهذا نصه : ـ

« هللويا • غنوا للرب ترنيمة جديدة • تسبيحته فى جماعـة الأتقياء ٢ ليفرح اسرائيل بخالقه ليبتهج بنو صهيون بملكهم ٣ ليسبحوا اسمه برقص • بدف وعود ، ليرنموا له ٤ لأن الرب راض عن شعبه • يجمل الودعاء بالخلاص ٥ ليبتهج الأتقياء بمجد • ليرنموا على مضاجعهم ٦ تنويهات الله فى أفواهم • وسيف ذو حدين فى يدهم ٧ ليصنعوا نقمة فى الأمم وتأديبات فى الشعوب ٨ لأسر ملوكهم بقيود ، وشرفائهم بكبول من حديد ٩ ليجروا بهم الحكم المكتوب • كرامة هذا لجميع أتقيائه • هللويا » (مزمور ١٤٩)

يقول الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الهندى فى شرحه لهـذا الزبور مانصه : « فى هذا الزبور عبر عن المبشر به بالملك ، وعن مطيعيه بالأبـرار ، وذكـر من أوصافهـم افتخارهـم بالمجـد ، وترفيع الله فى حلوقهم ، وكون سيوف ذات فمين فى أياديهم ، وانتقامهم من الأمم ، وتوبيخاتهم للشعوب ، وأسرهم الملوك والأشراف بالقيود والأغلال من

حديد . فأقول : المبشر به محمد ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم ، وتصدق الأوصاف المذكورة فى هذا الزبور ، عليه وعلى أصحابه » (١) أ هـ

اللقب الثانى : المسيح

وأما عن « المسيح » مثل ما كان موسى وهرون وداود عليهم السلام ، ففى الزبور الخامس والأربعين . وهذا نصه : ـ

« ١ فاض قلبى بكلام صالح . متكلم أنا بانشائى للملك . لسانى قلم كاتب ماهر ٢ أنت أبرع جمالا من بنى البشر . انسكبت النعمة عنى شفتيك ، لذلك باركك الله الى الأبد ٣ تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهائك ٤ وبجلالك اقتحم . اركب من أجل الحق والدعة والبر ، فتريك يمينك مخاوف ٥ نبلك المسنونة فى قلب أعداء الملك . شعوب تحتك يسقطون ٦ كرسيك ياألله الى دهر الدهور . قضيب استقامة قضيب ملكك ٧ أحببت البر وأبغضت الاثم ، من أجل ذلك مسحك الله آلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك ، كل ثيابك مر وعود وسليخة ، . من قصور العاج سرتك الأوتار ٩ بنات ملوك بين حظياتك ، جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير .

١٠ أسمعى يابنت وانظرى . وأميلى أذنك . وأنسى شعبك وبيت أبيك ١١ فيشتهى الملك حسنك . لأنه هو سيدك فاسجدى له ١٢ وبنت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهديه ١٣ كلها مجد ابنة الملك فى خدرها . منسوجة بذهب ملابسها ١٤ بملابس مطرزة تحضر الى الملك . فى اثرها عذارى صاحباتها . مقدمات اليك ١٥ يحضرن بفرح وابتهاج ، يدخلن الى قصر الملك ١٦ عوضا عن آبائك يكون بنوك ، تقيمهم رؤساء فى كل الأرض ١٧ أذكر اسمك فى كل دور فدور . من أجل ذلك تحمدك الشعوب الى الدهر والأبد » (مزمور ١٤٥)

---

(١) ص ١٤٤ ج ٢ أظهار الحق المطبعة العلمية بمصر سنة ١٣١٥ هـ

يقول الشيخ أبو الفضل المالكى المسعودى فى التعليق على هذا الزبور : « ليس متقلدا بالسيف من الأنبياء بعد داود سوى سيدنا محمد ﷺ وهو الذى خرت الأمم تحته . وقرنت شرائعه بالهيبة . فاما الجزية وأما السيف . واما تصديقه « نصرت بالرعب » فهو جبار على الكافرين . رحيم بالمؤمنين . وقد شهد له بالنبوة صريحا اذ أخبر أن له ناموسا وشرائع . وقال : ان دينه يظهر على كل دين ، فلم يخرم ما أخبر به » (١)

وقد شرحه الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الهندى فى كتابه « اظهار الحق » شرحا وافيا . وشرحه أيضا الشيخ عبد الرحمن الجزيرى فى كتابه « أدلة اليقين فى الرد على مطاعن المبشرين »

وهذا شرح منى وجيز وبسيط :

١ ـ « **فاض قلبى بكلام صالح** » تصح أن تنطبق على عيسى وعلى نبى الاسلام عليهما السلام لأن كلا منهما فاض قلبه بكلام صالح . وهو الانجيل الحقيقى والقرآن .

٢ ـ « **متكلم أنا بانشائى للملك ، لسانى قلم كاتب ماهر** » فهذه صفة خاصة بنبى الاسلام لأنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب .

٣ ـ **أنت أبرع جمالا من بنى البشر** » هذه صفة خاصة بنبى الاسلام . وعيسى ـ بحسب المكتوب فى كتب النصارى ـ لم يكن جميل الوجه (قال « اكليمندس الاسكندرى » : ان جماله كان فى روحه ، وفى أعماله . أما منظره فكان حقيرا . ووصفه « جوستان مارتير » قائلا : انه كان بلا جمال ولا مجد ولا مهابة . وقال « أوريجانوس » : كان جسمه ضئيلا خاليا من الجمال . وقال « ترتليان » : أما شكله فكان عديم الحسن الجسمانى . وبالحرى بعيدا عن أى مجد جسدى) (٢)

---

(١) ص ١٤١ المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل .

(٢) نقلا عن « حياة المسيح » للدكتور فردريك . و . فارار ص ١٣٩ ـ ١٤٠

٤ ـ انسكبت النعمة على شفتيك » **هذا الوصف** جدير بالقرآن الكريم ففيه قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت الاسلام دينا » (المائدة ٣)

٥ ـ « **تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهائك وبجلالك اقتحم** » عيسى عليه السلام لم يتقلد سيفا ولم يمسك رمحا ، ولم يضرب عنق كافر . بل قال : « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » (مرقس ١٢ : ١٧) أما نبى الاسلام ﷺ فقد تقلد سيفا ، ومسك رمحا وضرب عنق الكافرين .

٦ ـ « **اركب من أجل الحق والدعة والبر** » ونبى الاسلام حارب فعلا من أجل الحق والأمن والسلام .

٧ ـ « **نبلك المسنونة فى قلب أعداء الملك . شعوب تحتك يسقطون** » انتصر نبى الاسلام على أعدائه ، على أعداء الله الملك القهار . ومحا الوثنية من شبه الجزيرة العربية ، وسقط اليهود تحت قدميه ، ووضع أساس القضاء على الفرس والروم . وتم القضاء عليهم بالفعل على يد أتباعه ، ودانوا له .

٨ ـ « **كرسيك يا الله الى دهر الدهور** » معناها : الرسالة التى أعطاها الله تعالى لنبى الاسلام تبقى خالدة الى يوم القيامة . فالكرسى اشارة الى علم الشريعة .

٩ ـ « **قضيب استقامة قضيب ملكك** » الشريعة التى جاء بها نبى الاسلام شريعة عادلة . أما عيسى فما كان معه شريعة منفصلة عن شريعة موسى . لأنه جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة ، غير مهيمن عليها .

١٠ ـ « **أحببت البر . وأبغضت الاثم . من أجل ذلك مسحك الله**

الهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك » نبى الاسلام دعا الى الخير ، ونهى عن الشر ، فلذلك فضله الله على سائر الرسل ، واصطفاه وجعله خاتم النبيين ٠

لاحظ هنا : أنه عبر بقوله : « **مسحك الله الهك بدهن الابتهاج** » على عادة تعبير اليهود فى مسح أنبيائهم ٠ ولم يشر الكاتب أنه سيمسح بدهن مقدس ـ على الحقيقة فى المسح ـ كما مسح صموئيل طالوت ، وكما مسح الياس اليسع ٠ بل عبر تعبيرا مجازيا بمسح معنوى لا حسى وهو « **بدهن الابتهاج** » أى بدهن الفرح والسرور ٠

١١ ـ « **كل ثيابك مر ، وعود وسليخة** » المراد بالمر : المسك ٠ والعود والسليخة نوعان من الطيب ، لهما رائحة ذكية ٠ وهذا اشارة الى أنه صاحب دين يدعو الى الطيبات من الرزق ٠

١٢ ـ « **من قصور العاج سرتك الأوتار** » اشارة الى أن نبى الاسلام سيملك قصورا فخمة ، ويغنم أموالا طائلة ٠

١٣ ـ « **بنات ملوك بين حظياتك** » اشارة الى زواج الرسول ﷺ من السيدة صفية بنت حيى بن أخطب ، فانها بنت سيد بنى النضير وملكهم ٠ والسيدة جويرية بنت الحارث ، وأبوها كان سيد بنى المصطلق وملكهم ٠

١٤ ـ « **جعلت الملكه عن يمينك بذهب أوفير** » (١) أوفير : منطقه غنية بالذهب ، قرب خليج العقبة ، ويسميه اليهود الآن « خليج سليمان »

---

(١) ظن الشيخ عبد الرحمن الجزيرى ، فى « أدلة اليقين » أن الترجمة « ذهب وفير » أى كثير ٠ ولم يفطن الى أن « أوفير » اسم أرض ٠

وهى مستعمرة يهودية فى صحراء سيناء وهذا اشارة الى مايفتحه الله لنبى الاسلام من الممالك ، وما يغنمه المسلمون من الأموال ٠

١٥ ـ « **أسمعى يابنت وانظرى وأميلى أذنك وانسى شعبك وبيت أبيك ، فيشتهى الملك حسنك ، لأنه هو سيدك فاسجدى له** » اشارة الى أن الممالك التى سيدخلها المسلمون فاتحين ، تكون سعيدة بدخولها فى حوزة المسلمين ، وينسون بعد الفتح عادات الآباء وتقاليد المجتمع الضارة ، ويكتفون بشعائر الاسلام وعاداته ٠ ومعنى السجود : الخضوع للأوامر ٠

١٦ ـ « **وبنت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهديه** » تحققت هذه النبوءة فى نبى الاسلام فقد كان الكثيرون من ملوك العالم ، يترضونه ويهدون اليه ٠ ومنهم « النجاشى » ملك الحبشة و « المقوقس » عزيز مصر ٠

١٧ ـ « **كلها مجد ابنة الملك ، فى خدرها ، منسوجة بذهب ملابسها** » اشارة الى مافتحه الله لنبى الاسلام من البلدان ٠

١٨ ـ **بملابس مطرزة تحضر الى الملك ، فى اثرها عذارى صاحباتها ٠ مقدمات اليك ، يحضرن بفرح وابتهاج ، يدخلن الى قصر الملك** » اشارة الى الأمم التى تدخل فى حظيرة الاسلام ، فتقر عينها به ٠

١٩ ـ « **عوضا عن آبائك يكون بنوك ، تقيمهم رؤساء فى كل الأرض** » أتباع نبى الاسلام صاروا حكاما على البلاد ، ومايزال الى الآن أتباع نبى الاسلام رؤساء فى أكثر بقاع الأرض ، بينما العرب قبل الاسلام لم يتعد نفوذهم داخل البلاد ٠

٢ ـ « **أذكر أسمك فى كل دور فدور** » ذكر نبى الاسلام مرفوع

فى أنحاء العالم بين الأحباب والأعداء ، وكلما ارتقى الفكر وتقدم العلم ، يزداد . لأن الله على يديه أخرج الناس من الظلمات الى النور .

٢١ ـ **« من أجل ذلك تحمدك الشعوب الى الدهر والأبـد »** وفى ترجمة الآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٦٨م « لذلك يعترف لك الشعوب الى الدهر والأبد » فالحمد ان لم يكن اشارة خفية على اسمه المبارك ، بدليل اختلاف الترجمة . فهو اشارة واضحة على بقـاء شريعته ودوام مجده الى يوم الدين . مصداقا لقول الله تعالى : « ان الله وملائكته يصلون على النبى . يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » فالوف الألوف منه أمته ، يصلون ويباركون عليه فى الصلوات الخمس ، ودائما وأبدا الى انتهاء الدنيا .

هذا هو معنى الزبور بايجاز . والنصارى يقولون : أن الزبور يشير الى عيسى عليه السلام . مع أن الأوصاف لا تنطبق عليه ـ كما بينـا ـ يقول الآباء اليسوعيون فى تعليقهم على هذا المزمور : « فى هذا المزمور احتفال زفاف الكنيسة الطاهرة الى السيد المسيح . فعبر عن المسـيح بالملك . وعن الكنيسـة بالملكة . والمـراد بهـا : الكنيسـة الجـامعة ، والعذارى : هن الكنائس الخاصة اللائى غدون بالمعمودية (١) قـرائن محبوبات للملك العظيم »

اللقب الثالث : الرب بمعنى السيد :

وأما عن « الرب » بمعنى السـيد . ففى الزبور المئة والعاشر ، وهذا نصه : ـ

---

(١) المعمودية : هى تعميد الأطفال أو الداخلين فى المسيحية برش الماء ، أو التغطيس كما كان يفعل يوحنا المعمدان الذى ولد قبـل عيسى المسيح بستة أشهر . وفى المخطوطات التى ظهرت فى قمران : تبين أن المعمودية ما كان يمارسها المعمدان ولا عيسى عليهما السـلام وانما كان اليهود يمارسون الوضوء (ص ٨٢ مخطوطات البحر الميت وجزيرة قمران)

« ١ قال الرب لربى : اجلس عن يمينى ، حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك ٢ يرسل الرب قضيب عزك (١) من صهيون ، تسلط فى وسط أعدائك ٣ شعبك منتدب فى يوم قوتك ، فى زينة مقدسة . من رحم الفجر ، لك طل حداثتك . ٤ أقسم الرب ولن يندم . أنت كاهن الى الأبد . على رتبة ملكى صادق (٢) ٥ الرب عن يمينك يحطم فى يوم رجزه ملوكا ٦ يدين بين الأمم . ملأ جثثا . أرضا واسعة . سحق رؤوسها ٧ من النهر يشرب فى الطريق . لذلك يرفع الرأس » (مزمور ١١٠)

وفى ترجمة الآباء اليسوعيين : « قال الرب لسيدى .. الخ »

والمعنى العام : يشير داود عليه السلام الى النبى الآتى الى العالم - وهو المسيا - فيقول عنه : ان النبى الآتى الى العالم « سيدى » وقد قال الله لسيدى : اجلس عن يمينى - كناية عن أنه مقرب من الله - أى أنك مقرب لدى ، وسأتولى الدفاع عنك ضد أعدائك . ولسوف أجعلهم من الأسفلين تحت قدميك . وان مملكتك ستكون ، وسوف يمدها الله الى جيل صهيون المبنية عليه « أورشليم » عاصمة مملكة اليهود العبرانيين . الذين ينتمون الى داود - وستكون حاكما قويا على الأعداء . وأصحابك معك رهن اشارتك فى اليوم الذى تطلبهم فيه لمحاربة أعدائك . وسوف يخرجون معك فى منظر مهيب ، يدل على أنهم مختارون من الله ، وأنهم أشداء على الكفار ، رحماء بينهم .

---

(١) حروف الجر فى اللغة العبرانية بمعنى واحد ، تنوب عن بعضها ، فتأتى من بمعنى الى (انظر رسالة فى اللاهوت والسياسة)

(٢) ابراهيم عليه السلام كان قد حارب قوما . ولما رجع الى مكانه خرج « ملكى صادق » ملك « أورشليم » لاستقباله « وملكى صادق ملك شاليم أخرج خبزا وخمرا . وكان كاهنا لله العلى . وباركه . وقال : مبارك أبرام من الله العلى مالك السموات والأرض . ومبارك الله العلى الذى أسلم أعدائك فى يدك فاعطاه عشرا من كل شىء » (تكوين ١٤ : ١٨ - ٢٠)

حلف الله : بأن شريعتك باقية الى الأبد ـ وذلك لأنه يكلم البشر على قدر **عقولهم** (١) ـ وأنك مبارك من ابراهيم عليه السلام كما بارك كاهن « أورشليم » وستغنم مغانم كثيرة ، كما أعطى ابراهيم العشر من الغنائم التى أخذها لـ « ملكى صادق » هبة . الله معك وسوف يحطم فى يوم غضبه على الكفار ملوكا ، وسوف يخزى الأمم التى أهملت الشرائع ، وسوف يهلك الكثيرين على يديك . وفى أى طريق سرت فيه ، ستجد شرابا سائغا ولن تحتاج الى شىء . ولذلك ستكون مرفوع الرأس (وهذا هو المعنى على عادة اليهود فى الكتابة)

***

وقد استشهد بهذا الزبور عيسى عليه السلام . وهو يتحدث عن نبى الاسلام ﷺ . وقد روى هذا الحديث : متى ومرقس ولوقا وبرنابا (٢) هكذا :

لقد كان اليهود من بعد موت سليمان عليه السلام منقسمين الى مملكتين ١ ـ مملكة السامريين ٢ ـ ومملكة العبرانيين . وكان السامريون يقولون بأن « المسيا المنتظر » سيأتى من سبط يوسف عليه السلام ٢ ـ وكان العبرانيون يقولونبأنه سيأتى من سبط يهوذا من نسل داود عليه السلام . فحاج عيسى عليه السلام اليهود العبرانيين بقوله : « **ماذا تظنون فى المسيح ؟ ابن من هو ؟** » أى المسيا المنتظر سيأتى من أى سبط ومن أى نسل ؟ « **قالوا له : ابن داود** » أى أنه سيأتى من نسل داود عليه السلام فقال لهم : لو كان المسيا ابن دواد ، ما كان داود يعبر عنه بأنه سيده . لأن الابن لايكون سيدا لأبيه . ولأن داود يقول : ان المسياسيده فانه لا يكون من نسله ، بل من نسل آخر « **قال لهم : فكيف يدعوه داود**

---

(١) انظر دلالة الحائرين ـ لموسى بن ميمون

(٢) الاناجيل المقدسة عند النصارى ١ ـ متى ٢ ـ مرقس ـ ٣ ـ لوقا ٣ ـ يوحنا . ويوحنا كاتب الانجيل ليس هو يوحنا المعمدان .

بالروح : (١) ربا . قائلا : قال الرب لربى : اجلس عن يمينى ، حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك ؟ فان كان داود يدعوه ربا ، فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة » (متى ٢٢ : ٤١ ـ ٤٦ مرقس ١٢ : ٣٥ ـ ٣٧ لوقا ٢٠ : ٤١ ـ ٤٣)

يقول الدكتور فردريك . و . فارار : « قدم لهم سؤالا واحدا بسيطا مؤسسا على نفس نمطهم فى التفسير ، ومستقى من أحد المزامير (مزمور ١١٠) المعتبر عندهم : أنه مسياوى . فى هذا المزمور ، قد ورد : (قال الرب (جيهوفاه) لربى (أدوناى) : اجلس عن يمينى . فكيف يكون المسيح ابن داود ؟ هل يستطيع ابراهيم أن يدعو اسحق أو يعقوب أو يوسف ، أو أى واحد من ذريته ، قرب أم بعد : ربا له ؟ فان كان هذا نفيا ، فكيف جاز هذا لداود ؟ » (٢)

وقد حكى ذلك برنابا كما حكاه أصحاب الأناجيل المعترف بها فقال : « ٢٠ أجاب يعقوب : يامعلم قل لنا : بمن صنع هذا العهد ٢١ فان اليهود يقولون باسحق ٢٢ ، والاسماعيليون يقولون باسماعيل ؟ ٢٣ أجاب يسوع : ابن من كان داود ؟ ومن أى ذرية ؟ ٢٤ أجاب يعقوب : من اسحق ، لأن أسحق كان أبا يعقوب . ويعقوب أبا يهوذا الذى من ذريته داود ٢٥ فحينئذ قال يسوع : ومتى جاء رسول الله ، فمن نسل من يكون ؟ ٢٦ أجاب التلاميذ : من داود ٢٧ فأجاب يسوع : لا تغشوا أنفسكم ٢٨ لأن داود يدعوه فى الروح ربا قائلا هكذا : « قال الله لربى : أجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك ٢٩ يرسل الرب قضيبك

---

(١) بالروح : أى بظهر الغيب . وقال الرب لربى : فى اللغة العبرانية :

الرب = جيهوفاه . لربى = أدوناى .

(٢) ص ٦٤٧ حياة المسيح .

الذى سيكون ذا سلطان فى وسط أعدائك » ٣٠ فاذا كان رسول الله الذى تسمونه مسيا ابن داود ، فكيف يسميه داود ربا ؟ ٣١ صدقونى لأنى أقول لكم الحق : ان العهد صنع باسماعيل لا بأسحق » (برنابا ٤٣ : ٢٠ - ٢١)

ثم يروى متى أن عيسى عليه السلام بعدما وضح لهم أن المسيح المنتظر - وهو المسيا - لن يكون من آل داود عليه السلام قال لجموع اليهود وتلاميذه : « لا تدعوا سيدى . لأن معلمكم واحد ، المسيح . وأنتم جميعا اخوة . ولا تدعوا لكم أبا على الأرض ، لأن أباكم واحد الذى فى السموات . ولا تدعوا معلمين ، لأن معلمكم واحد : المسيح ، وأكبركم يكون خادما لكم . فمن يرفع نفسه يتضع . ومن يضع نفسه يرتفع » (متى ٢٣ : ٨ - ١٢)

يقصد « المسيح المنتظر » أى لا تكونون مؤسسين لديانة ، فان المؤسس الآتى لديانة هو المسيا الرئيس . ثم قال : « ياأورشليم . ياأورشليم ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها . كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . هوذا بيتكم يترك لكم خرابا . لأنى أقول لكم : انكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا : مبارك الآتى باسم الرب » (١) (متى ٢٣ : ٣٧ - ٣٩)

ومبارك الآتى باسم الرب : عبارة عن نبى الاسلام ﷺ قالها عنه داود عليه السلام فى المزمور المائة والثامن عشر وعيسى عليه السلام يشير بها الى أقتراب مجىء نبى الاسلام ﷺ بعد خراب هيكل سليمان فى أورشليم . وقد تمت النبوة فعلا .

---

(١) تفسيرها الراجح عند النصارى : أن من يتوب ، فكأنه يقول : مبارك الآتى باسم الرب

ثم يروى متى أن عيسى عليه السلام بعدما تنبأ عن خراب الهيكل ، خرج من الهيكل فتقدم تلاميذه لكى يروه أبنية الهيكل فقال لهم سوف لا يترك ههنا حجر على حجر لاينقض فسألوه عن العلامات التى اذا حدثت يعرفون منها المسيا نبى الاسلام ﷺ فأعطاهم هذه العلامات (١) : ـ

١ ـ هدم هيكل سليمان ٢ ـ ظهور أنبياء كذبة ـ ٣ ـ حروب تقوم بين الأمم ـ ٤ ـ حدوث مجاعات وأوبئة وزلازل ٥ ـ اضطهاد الامـــم لتلاميذ عيسى عليه السلام ٦ ـ تحريف الانجيل ٧ ـ انتشار الانجيل فى العالم ـ ٨ ـ رجسة خراب دانيال .

وبين لهم أوصاف نبى الاسلام ﷺ : ـ

١ ـ سيكون ملكا ٢ ـ أتباعه أطهار ٣ ـ محارب منتصر ٤ ـ صاحب شريعة سماوية ٥ ـ فقير ٦ ـ غريب (٢) ٧ ـ مضطهد من الناس . وذلك كله واضح من الأصحاح الرابع والعشرين والخامس والعشرين من انجيل متى . وقد حذر عيسى عليه السلام فى نهاية حديثه من المسحاء الكذبة والأنبياء الكذبة . فقال : « حينئذ ان قال لكم أحد : هوذا المسيح هنا ، أو هناك فلا تصدقوا . لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ، ويعطون آيات عظيمة وعجائب ، حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا . ها أنا قد سبقت وأخبرتكم » (متى ٢٤ : ٢٣ ـ ٢٥)

وهذا هو نص المزمور المئة والثامن عشر :

« احمدوا الرب لأنه صالح . لأن الى الأبد رحمته . ليقل اسرائيل : ان الى الأبد رحمته . ليقل بيت هرون : ان الى الأبد رحمته . ليقـــل متقو الرب : ان الى الأبد رحمته .

---

(١) أنظر شرح العلامات والأوصاف فى فصل « ابن الانسان » من كتاب : البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل .

(٢) أى من اسماعيل ، لأن لاسماعيل بركـة ، وارث ديانة فى ابراهيم .

من الضيق دعوت الرب فأجابنى من الرحب • الرب لى فـــلا أخاف • ماذا يصنع بى الانسان ؟ الرب لى بين معينى ، وأنا ســـأرى بأعدائى • الاحتماء بالرب خير من التوكل على انسان • الاحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء • كل الأمـم أحاطوا بى : باسـم الرب أبيدهم • أحاطوا بى واكتنفونى • **باسـم الرب أبيدهـم** • أحاطوا بى مثـل النحـل ، انطفأوا كنـار الشـوك ، باسـم الرب أبيدهـم • دحرتنى دحورا لأسقط • أما الرب فعضـدنى • قوتى وترنمى الرب ، وقد صار لى خلاصا • صوت ترنم وخلاص فى خيام الصديقين • يمين الرب صانعة ببأس • يمين الرب مرتفعة • يمين الرب صـانعة ببأس • لا أموت بل أحيا وأحدث بأعمـال الرب • **تأديبـا أدبنى الـرب ، والى الموت لم يسلمنى** •

افتحوا لى أبواب البر • أدخل فيها وأحمد الرب • هذا الباب للرب • الصديقون يدخلون فيه • أحمدك لأنك استجبت لى وصرت لى خلاصا • **الحجر الذى رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية • من قبل الرب كان هذا • وهو عجيب فى أعيننا** •

هذا هو اليوم الذى صنعه الرب • نبتهج ونفرح فيه • آه يـــارب خلص • آه يارب أنقذ • **مبارك الآتى باسـم الرب** • باركناكـم من بيت الرب • الرب هو الله وقد أنار لنا • **أوثقـوا الذبيحة بربط الى قــرون** المذبح • الهى أنت فأحمدك ، الهى فأرفعك • احمدوا الرب لأنه صالح ، لأن الى الأبد رحمته » [مز ١١٨]

وقد اتفق اليهود والنصارى على أن هذا المزمور ، نبوءة عن المسيا • وفى هذا المزمور :

١ – أن المسيا ينتصر ولا يقتل بيد أعدائه • لقوله : « باسم الـــرب

أبيدهم » ولقوله : « والى الموت لم يسلمنى » ٢ ـ وأنه اذا جاء ينهى العمل بالشريعة اليهودية . لقوله : « أوثقوا الذبيحة بربط الى قرون المذبح » كناية عن انتهاء العمل بالطقوس والشعائر على يد اللاويين والهارونيين من بنى اسرائيل .

ويقول النصارى : ان هذا المزمور يشير الى عيسى عليه السلام ، ويقولون : انه هو المسيا . مع أن عيسى عليه السلام لم يحارب ولم ينتصر ، ولم يغير شريعة موسى ومكتوب فى الانجيل : أنه قتل بيد اليهود أعدائه . والأشد فى الرد عليهم ـ مع ذلك ـ أن عيسى عليه السلام طبقه على نبى الاسلام ﷺ فى موضعين :

الموضع الأول : فى مثل « الكرامين الأردياء » وهو مثل ضربه المسيح ، لانتقال الشريعة من بنى اسرائيل الى بنى اسماعيل ، لأن لاسماعيل بركة منصوص عليها فى سفر التكوين . وبين فيه : أن هاجر جارية ابراهيم عليه السلام التى تحتقرون نسلها وترفضون أن تخضعوا لنبى من نسلها . سيكون لنسلها شأن يذكر . وعبر عنها بالحجر ـ **الذى رفضه البناؤون ، كما عبر عنها داود بالحجر الذى رفضه البناؤون .**

قال المسيح : « اسمعوا مثلا آخر . كان انسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة ، وبنى برجا وسلمه الى كرامين وسافر . ولما قرب وقت الأثمار ، أرسل عبيده الى الكرامين ليأخذ أثماره . فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا . ثم أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين . ففعلوا بهم كذلك . فأخيرا أرسل اليهم ابنه قائلا : يهابون ابنى (١) . وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم : هذا هو الوارث . هلموا نقتله ونأخذ ميراثه . فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه . فمتى جاء صاحب الكرم . ماذا يفعل

---

(١) وضع الابن فى النص تحريف . ولم يرد الابن فى النص الذى ذكره برنابا .

باولئك الكرامين ؟ قالوا له : أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا ويسلم الكرم الى كرامين آخرين يعطونه الاثمار فى أوقاتها . قال لهم يسوع : **اما قرأتم قط فى الكتب : « الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا . وهو عجيب فى أعيننا »** لذلك أقول لكم : ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه .

ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله ، عرفوا أنه تكلم عليهم . واذ كانوا يطلبون أن يمسكوه ، خافوا من الجموع . لأنه كان عندهم مثل نبى » [مت ٢١ : ٣٣ ـ ٤٦]

هذا هو نص كلام عيسى عليه السلام فى انتقال ملكوت السموات الى أمة تعمل اثماره . فهل الانتقال من اليهود الى اليهود ، أم الانتقال من اليهود الى أمة أخرى غير يهودية ؟ يقول المسيح لعظماء اليهود : **« ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل اثماره »** وقوله يدل على انتقال الملكوت الى أمة أخرى . ولا يريد النصارى لأن عيسى من اليهود والنصارى طائفة من اليهود . وانما يريد بنى اسماعيل لأن الله قد بارك فى نسله . والبركة ملك ونبوة . ففى التوراة يقول الله لابراهيم : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا ، اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة » [تك ١٧ : ٢٠]

والموضع الثانى : فى خطاب المسيح للفريسيين لما سألهم : **« ماذا تظنون فى المسيح ؟ ابن من هو ؟ قالوا له : ابن داود » ورد عليهم بأن المسيح الرئيس لايكون من نسل داود بدليلين :**

الدليل الأول : أن داود عبر عنه بسيده . وحيث أن الابن لايكون سيدا لأبيه ، فان داود يشير بسيده الى نبى من غير ذريته . وهذا النبى الذى ليس من ذرية داود ، هو نبى الاسلام . لأن لاسماعيل بركة .

والدليل الثانى : أن المسيح عقب خطابه للفريسيين ، قال للجموع وللتلاميذ : اعملوا بشريعة موسى حتى يأتى المسيح المنتظر ، ثم وبخ علماء اليهود على نفاقهم وريائهم ، ثم تنبأ عن خراب أورشليم عاصمة الملك ومقر الشريعة تمهيدا لمجىء المسيا ، **ثم قال عن المسيا : « مبارك الآتى باسم الرب » وهى العبارة التى قالها عنه داود فى المزمور المئة والثامن عشر** • ثم بدأ يشرح لهم وهو جالس على جبل الزيتون كيفية مجىء المسيح ـ الذى هو المسيا ـ والعلامات التى تسبق مجيئه ، والأهوال المصاحبة ليوم ظهوره • ويقول : « متى رأيتم هذه الأشياء صائرة فاعلموا : أن ملكوت الله قريب » [لو ٢١ : ٣١] فهل يحق للنصارى مع تصريحات عيسى هذه أن يقولوا : ان المسيا هو يسوع المسيح ؟ وهل يحق لليهود أن يقولوا : ان المسيا لم يأت بعد ؟

اللقب الرابع لقب ابن الله :

٤ ـ وأما عن « ابن الله » مثل ما يعبرون عن أنفسهم بأنهم أبناء الله ففى الزبور الثانى وهذا نصه : ـ

« ١ لماذا ارتجت الأمم ، وتفكر الشعوب فى الباطل ٢ قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا • على الرب ، وعلى مسيحه • قائلين ٣ لنقطع قيودهما ، ولنطرح عنا ربطهما •

٤ ـ الساكن فى السموات يضحك • الرب يستهزىء بهم ٥ حينئذ يتكلم **عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه ٦ أما انا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى•**

٧ انى أخبر من جهة قضاء الرب • قال لى : أنت ابنى • انا اليوم **ولدتك ٨ أسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصى الأرض ملكا لك** ٩ تحطمهم بقضيب من حديد • مثل اناء خزاف تكسرهم ١٠ فالآن ياأيها الملوك تعقلوا • تأدبوا ياقضاة الأرض ١١ اعبدوا الرب بخوف ، واهتفوا

برعدة ١٢ قبلوا الابن (١) لئلا يغضب ، فتبيدوا من الطريق ، لأنه عن قليل يتقد غضبه • طوبى لجميع المتكلين عليه » (مزمور ٢)

لاحــظ :

أولا : ان النصارى يقولون : ان داود عليه الســـلام يشير بهــذا الزبور الى عيسى عليه السلام ففى الرسالة الى العبرانيين يقول بولس : « ٥ لأنه لمن من الملائكة قال قط : أنت ابنى • أنا اليوم ولدتك ؟ ٨ وأما عن الابن : كرسيك ياألله الى دهر الدهور • قضيب استقامة قضيب ملكك ٩ أحببت البر وأبغضت الاثم • من أجــل ذلك مســحك الله الهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك » **يريد أن يقول : ان المزمور الثانى والمزمور** الخامس والأربعين يشيران الى عيسى عليه السلام •

ويقول المسلمون بأن المزمورين يشــيران الى محمد ﷺ • يقــول الامام القرافى ، شهاب الدين أحمد بن ادريس المالكى : « قال داود عليه السلام فى المزامير أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك • سلنى أعطيك الشعوب ميراثك وسلطانك الى أقصى الأرض ، ترعاهم بقضيب من حديد ومثــل آنية الفخار تسحقهم • ومحمد عليه السلام هو الذى ورث وبلغ سلطانه أقطار الأرض وحاط الأمم وسامهم بسيفه ، ولم يتفق هذا لداوود ، ولا أحد من بعده ، فيكون هو المبشر به • وسمى ابنا • على العادة القديمة فى تسمية المطيع والنبى ابنا • كما قال فى التوراة فى اسرائيل عليه السلام ابنى بكرى » (١)

ثانيا : ان أصل أقنوم الابن عند النصارى من هذا المزمور •

---

(١) يقول الدكتــور فردريك « أن الترجمــة القديمة » : أعبدوا بطهارة الابن •

(١) الأجوبة الفاخرة ـ مطبعة الموسوعات بمصر ص ٢٤٨ على هامش الفارق بين المخلوق والخالق

= يقول الدكتور هانى رزق فى تعليقه على نبوءة داود فى المزمور الثانى : « القول القائل قال لى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك يشير الى أن يسوع المسيح هو ابن الله الآب ، وأن ولادته من الآب هو منذ الأزل . اذ أن اليوم فى هذا القول هو الأزل » (١)

والمعنى العام : يشير داود عليه السلام بظهر الغيب الى أن الأمم والشعوب . سوف يرفضان الاسلام أول ظهوره . وأن الملوك والرؤساء سيتآمرون على رفض شريعة الله . وقتل مسيحه ـ المسيا ـ النبى الذى وعد الله به . ولكن الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون . ولسوف يحقق وعده بأرسال مسيحه ـ المسيا الملك ـ وسوف يجعله ملكا على جبل صهيون . ثم يقول داود عليه السلام : اننى أخبر بما قضى الله وقدر أزلا وهو أن الله للمسيح المنتظر : أنت أبنى أى قريب منى ، محبب الى . أنا اليوم قدرت وجودك من قبل أن تخلق ونبهت الناس على بعثتك . وسوف ترث الأمم ، ويمتد ملكك الى الأراضى البعيدة ، اذا طلبت منى ، وسوف تحطم الأعداء بقضيب من حديد . ولن تقوم للأعداء بعد ذلك قائمة ، كأناء الخزف الذى يكسر ، ولا يمكن أن يلتئم . ثم يقدم داود عليه السلام النصيحة للملوك والقضاة : أن يتعقلوا ويتأدبوا ويعبدوا الله خائفين من عقابه . وأن يعبدوا الله حسب الشريعة الآتية مع المسيا الابن ، لئلا يسير اليهم الجيوش من أتباعه فتهلكهم . وأخيرا يقول داوود عليه السلام : طوبى لجميع المتكلين على الله

ولما جاء عيسى عليه السلام خاطب اليهود بما يألفون ويعتقدون ، حسبما يقول الله تعالى فى القرآن الكريم : « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ، ليبين لهم » قال لهم عيسى عليه السلام : « الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية . والذى لا يؤمن بالابن ، لن يرى حياة ، بل يمكث

---

(١) يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته ص ٩٤

عليه غضب الله » (يوحنا ٣ : ٣٦) ولو كان عيسى عليه السلام هو ذلك الابن المشار اليه فى كلام داود ، لكان يقول : « الذى يؤمن بى . والذى لا يؤمن بى » لأنه هو الذى يحدثهم . ولكنه أشار الى غيره ، وزاد الأمر ايضاحا بقوله : « الحق الحق أقول لكم : أن من يسمع كلامى ، ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ، ولا يأتى الى دينونة . بل قد انتقل من الموت الى الحياة . الحق الحق أقول لكم : انه تأتى ساعة ـ وهى الآن ـ حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون . لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته . كذلك أعطى الابن أيضا أن تكون له حياة فى ذاته ، وأعطاه سلطانا أن يدين أيضا ، لأنه ابن الانسان » (يوحنا : ٢٤ ـ ٢٧) .

يريد أن يقول : اننى أرسلت من الله اليكم . ومن يؤمن بالذى أقوله ، فقد أحيا نفسه . وانه ليأتى الزمن الذى سيبعث فيه الابن . وقد أقترب هذا الزمن . والذين هم وقتئذ كالأموات بسبب الجهل ، سوف يحيون بنور الايمان . وأن الله قد أعطى هذا الابن من قدرته ، مايكون به محاربا منتصرا وسوف يهلك الأشرار ويبقى الأخيار . وهذا الابن من جنس البشر ، مخلوق مثلهم من لحم ودم ، من أب وأم .

ثم بين عيسى عليه السلام أن من يؤمن به من اليهود يكون تلميذا حقيقيا له . ويعرف الحق . وهذا التلميذ الذى يعرف الحق ، سيجعله الحق حرا . لماذا ؟ لأن اليهود واقعين تحت أحتلال الرومان بسبب خطاياهم . وواقعين تحت نفاق الكهنة وريائهم . واذا جاء الابن وآمنوا به . سوف يكونون أحرارا ، لأنه سيهلك الرومان ولن تكون شريعته فى طبقة دون طبقة . فالجميع تلاميذ الرب يكونون ، كما عبر أشعياء بهذا التعبير فى سفره . ولأن ملكه باق الى الأبد « قال يسوع لليهود الذين آمنوا به : انكم أن ثبتم فى كلامى ، فبالحقيقه تكونون تلاميذى ،

وتعرفون الحق ، والحق يحرركم . اجابوه : اننا ذرية ابراهيم . ولم نستعبد لأحد قط . كيف تقول أنت : انكم تصيرون أحرارا ؟

أجابهم يسوع : الحق الحق أقول لكم : ان كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية . والعبد لا يبقى فى البيت الى الابد . أما الابن فيبقى الى الابد فان حرركم الابن ، فبالحقيقه تكونون أحرارا » (يوحنا ٨ : ٣١ - ٣٦)

ولكى يلبس كتاب الأناجيل الحق بالباطل ، كتبوا فى الانجيل : أن المراد بالابن هو عيسى عليه السلام ومن ذلك ما حشروه حشرا فى انجيل يوحنا . وهو « أجاب نثنائيل . وقال له : يامعلم . أنت ابن الله . أنت ملك اسرائيل » (يوحنا ١ : ٤٩) وعيسى لم يكن ملكا ، كما كان داود ملكا .

وبعد هذا اللبس جاء علماؤهم ليحرفوا الكلم عن مواضعه بالتأويلات الفاسدة . يقول متى هنرى فى تفسير « أجاب نثنائيل ... الخ » مانصه : « ونال نثنائيل بهذا ايمانا وطيدا بيسوع المسيح . يعبر عنه هذا الاعتراف النبيل : « يامعلم أنت **ابن الله . أنت ملك اسرائيل** » أى بالايجاز أنت المسيا الحقيقى » (١)

أى أن المفسرين للانجيل يجعلون ابن الله لقبا من ألقاب المسيا ، ثم يطبقونه على عيسى عليه السلام . أما أنه لقب ، فهو لقب . وأما أنه على عيسى ، فلا . لأنه من بنى اسرائيل ، ولأن الأوصاف **لاتنطبق** عليه .

وكثيرون من علماء المسلمين الذين استدلوا بنبوءة « ابن الله »

---

(١) تفسير أنجيل يوحنا ج ١ لمتى هنرى .

هذه على نبوة محمد ﷺ ومنهم الامام القرافى فى « الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة من الملة الكافرة »

استدلوا بها بعدما بينوا أن الاحتجاج على أهل الكتاب واجب من النصوص التى يسلمون بقدسيتها بغض النظر عن اعتقاد الخصم فيها وبينوا أن التوراة تدل على أن الله اله واحد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . وما ورد عن لفظ البنوة لله ، فهو على معنى القرب والمحبة (١)

اللقب الخامس : لقب اله :

وبعد ما بينا من الزبور . كيف أنهم تحدثوا عن نبى الاسلام ﷺ بالملك ، وبالمسيح ، وبالرب ، وبابن الله ، ننتقل الى سفر آخر لنظهر منه لقبا آخر وضعوه على نبى الاسلام ﷺ وهو لقب « اله » كما كان موسى عليه السلام الها لفرعون . أى سيدا ورئيسا .

ففى سفر أشعياء وهو من الأسفار التى تنقاضت فيها المعانى كثيرا والدليل على ذلك : قول أشعياء : « والآن قال الرب جابلى من البطن عبدا له لارجاع يعقوب اليه ، فينضم اليه اسرائيل فأتمجد فى عينى الرب والهى يصير قوتى » (أشعياء ٤٩ : ٥) وهذا القول فى الترجمة الانجليزية : « ولو لم ينضم اسرائيل أتمجد » الأول : اثبات المجد لله بأنضمام بنى اسرائيل ، والثانى : اثبات المجد لله ولو لم ينضم بنو اسرائيل .

وفى سفر أشعياء عن المسيا بلقب اله فى الأصحاح التاسع ما نصه : « ٢ الشعب السالك فى الظلمة أبصر نورا عظيما . الجالسون فى أرض

---

(١) الأجوبة الفاخرة ـ خلاصة الترجيح للدين الصحيح ـ الفصل فى الملل والأهواء والنحل ـ اظهار الحق .

ظلال الموت أشرق عليهم نور ٣ أكثرت الأمة عظمت لها الفرح · يفرحون أمامك ، كالفرح فى الحصاد · كالذين يبتهجون عندما يقتسمون غنيمة ٤ لأن نير ثقله ، وعصا كتفه وقضيب مسخره ، كسرتهن · كما فى يوم مديان ٥ لأن كل سلاح المتسلح فى الوغى ، وكل رداء مدحرج فى الدماء يكـون للحريق ماكلا للنار ٦ لأنه يولد لنا ولد ، ونعطى أبنا ، وتكون الرياسة على كتفه ، ويدعى أسمه عجيبا مشيرا الها قـديرا ، ابا أبديـا رئيس السلام ٧ لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داود ، وعلى مملكته ، ليثبتها ويعضدها بالحق والبر ، من الآن الى الأبد »

وفى هذا النص من ألقاب المسيا : لقب ابن ، ولقب اله ، ولقب ابن داود · وهذا اذا قلنا : ان اشعياء لايشير بكلامه الى رجوع اليهود من سبى بابل ·

يقول الشيخ أبو الفضل المالكى المسعودى مانصه : « قال اشـعياء النبى ينص على خاتم النبوة : ولد لنا غـلام يكون عجبـا ، ومشيرا ، والشامة على كتفه · أركون السلم · اله جبار · سلطانه سلطان السلامة ، وهو ابن عالمة (١) يجلس على كرسى داود »

وقال بعض العلماء : الأركون هو العظيم بلغة الانجيل · والأراكنة : المعظمون · وسماه : الها · على نحو قول التوراة : ان الله تعالى جعـل موسى الها لفرعون ، أى حاكما عليه ، متصرفا فيه · وقول داود للعظماء : انكم آلهة · فقد شهد أشعياء بصحة أمـره ، ووصفه بأخص علاماتـه وأوضحها · وهى الشامة التى على كتفه ، ولم تكن لسليمان ولا للمسيح ،

---

(١) المؤلف أخذ نصين ، وصاغهما فى نص واحد · والنص الثانى فى أشعياء ٧ : ١٤

ووصفه بالجلوس على كرسى داود ٠ يريد أنه سيرث بنى اسرائيل ونبوتهم وملكهم ورئاستهم (١) » أ هـ

اللقب السادس : لقب ابن الانسان :

ويوجد لقب آخر للمسيا فى سفر دانيال ، وهو لقب « ابن الانسان » وسفر دانيال من الأسفار العجيبة الشأن ، فهو فى التوراة العبرانية ينتهى عند الآية ١٢ من الاصحاح ١٢ وفى التوراة اليونانية يزاد فيه ثلاثة أصحاحات وبعض آيات ٠ والاصحاح الثامن يتحدث عن الافسادة الأولى مع العلو لبنى اسرائيل فى الأرض ٠ التى ورد ذكرها فى سورة الاسراء من القرآن الكريم ٠ وتمت فى معركة يونية سنة سبع وستين وتسعمائة وألف من الميلاد ٠ والأصحاح الثانى عشر ، يتحدث عن الافسادة الثانية مع العلو لبنى اسرائيل ، حسبما جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب ، لتفسدن فى الأرض مرتين ، ولتعلن علوا كبيرا » (٢)

ويتحدث دانيال عن ابن الانسان فيقول ٠ ان ممالك أربعة تنشأ على الأرض : ١ ــ مملكة الكلدانيين ٢ ــ ومملكة فارس ٣ ــ ومملكة اليونان ٤ ــ ومملكة الرومان ٠ وبعد الرومان يأتى المسيا المنتظر فيقيم مملكته ، وتظل الى الأبد يقول دانيال : « كنت أرى فى رؤى الليل ، واذا مع سحب السماء مثل **ابن الانسان** أتى وجاء الى القديم الأيام ، فقربوه قدامه ، فأعطى سلطانا ومجدا ، **وملكوتا** ، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة ٠ سلطانه سلطان أبدى مالن يزول ، وملكوته مالا ينقرض» (دانيال ٧ : ١٣ ــ ١٤) ٠ وقال المسيح عيسى عليه السلام لبنى اسرائيل

---

(١) المنتخب الجليل ص ١٤٣ ٠

(٢) أنظر ج ١ ص ٧٥ اظهار الحق لرحمت الله الهندى ٠

« توبوا فقد اقترب ملكوت السموات » وسنتحدث عن ذلك فى فصل « ملكوت المسيا » .

اللقب السابع : لقب المعزى :

وللمسيا لقب آخر ، لم يرد فى كتاب موسى ، وانما ورد فى أسفار الانبياء التى سلمها اليهود الى النصارى فى مجمع « يمنيه » سنة تسعين من الميلاد . وهو لقب « المعزى » فى اللغة العربية وبالعبرى « مناهيم » أى البديل والعوض . ذلك أن عيسى عليه السلام وعد اليهود بنبى ، من بعده أسمه « أحمد » وهو فى العبرانية « بيركليت » وفى اليونانية وهى اللغة التى ترجمت عنها الاناجيل الحديثة « بيريكليتوس » وفى الأزمان الأولى حذف النصارى « **بيريكليت** » ووضعوا بدلها « باراكليت » ثم انهم الآن حذفوا « باراكليت » ووضعوا بدلها كلمة « المعزى » وقالوا : لقد جاء فى سفر أشعياء : أن الله قال لليهود : « كانسان تعزيه أمه . هكذا أعزيكم أنا . وفى أورشليم تعزون ، وتفرح ، قلوبكم ، وتزهو عظامكم كالعشب ، وتعرف يد الرب عند عبيده ويحنق على أعدائه » (أشعياء ٦٦ : ١٣ ـ ١٤) وقالوا : ان المسيح عيسى عليه السلام قد اقتبس كلام أشعياء فقال : « **أن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى . وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ، ليمكث معكم الى الأبد ، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله ، لأنه لا يراه ولا يعرفه ، وأما أنتم فتعرفونه ، لأنه ماكث معكم ويكون فيكم** » (يوحنا ١٤ : ١٥ ـ ١٧) .

وكان لفظ « المعزى » ضمن أبحاث المؤتمر اليهودى المسيحى مع « البابا بانوا الثانى عشر » سنة ١٤٠٠ ميلادية ، على أنه من أسماء المسيا (١) . ويقول متى هنرى : « كان أحد أسماء المسيا بين اليهود

---

(١) أنظر دائرة المعارف اليهودية .

مناهيم « أى » المعزى « وكان اليهود يسمون يـوم المسـيا ، سنوات التغزية » (١)

وأحيانا لا يقول النصارى : « المعزى » فقط ، بل يقولون : « المعزى الروح القدس » وأحيانا يقولون : « الروح القدس » يعنون بها المعزى . ولقب المعزى أو المعزى الروح القدس أو الروح القدس . يشير الى واحد يأتى من بعد عيسى عليه السلام .

والأصل فى كلمة « الروح » على الحقيقة : الريح والهواء . وعلى المجاز : تعنى كل شىء مستمد من الله . احتراسا من الذى تنزله الشياطين فيطلق على الانجيل الحقيقى روح الله ، أى أنزله الله من لدنه ، ويطلق على القرآن الكريم روح الله . ويطلق على عيسى عليه السلام روح الله . أى أتى بقدرته ويطلق على نبى الاسلام ﷺ روح الله أو الروح القدس . لأنه يستمد وحيه من الله القدوس الطاهر ، لا من الشيطان الرجيم . وروحه من الله وهذا على سبيل التشريف والتكريم مثل بيت الله وناقة الله والقدس والقدوس بمعنى واحد ، أى الله الملك القدوس .

والنصارى يزعمون بأن الروح القدس المعزى هو الأقنوم الثـالث فى الثالوث المقدس . وذلك ليصرفوا نبوءة المسيح عليه السلام عن نبى الاســـلام ﷺ الى غيره . يقول متى هنـرى فى تفسـيره لعبــــارة يوحنا : « ان نفس كلمة يعزى فى الأصل اليونانى ، تعنى يعظ أو ينصح » ثم يقول : « لم تستخدم كلمة بارقليط الا فى احاديث المسيح هنا ، وفى الرسالة الأولى ليوحنا ، حيث ترجمت بكلمة شفيع . وترى بعض الكنائس الاحتفاظ بالأصل اليونانى بارقليط » ا . هـ

ويقول الأنبا أثناسيوس : « أن لفظ بارقليط اذا حرف نطقه قليلا

---

(١) تفسير يوحنا ج ٣ ص ٣٠٨ .

يصير بيريكليت . ومعناه : الحمد أو الشكر ، وهو قريب من لفظ « أحمد » (١) أ . هـ

اللقب الثامن : كلمة الرب :

وللمسيا لقب آخر ورد فى الانجيل وهو « الكلمة » يقول متى هنرى : « التفسير الكلدانى كثيرا ما دعا المسيا (ممرا) » « أى كلمة الرب » (٢) . قال ذلك فى تفسيره لأول عبارة فى انجيل يوحنا وهى « فى البدء كان الكلمة » وعلى هذا التفسير الكلدانى تحدث المسيح عيسى عليه السلام عن أن أول خلق الله ، خلق فكر لاخلق جسم : هو محمد رسول الله . أى أن الله قدر وجوده أزلا لما أراد خلق العالم . وعن هذا المعنى قالوا فى الكتب : ان آدم لما انتصب وجد مكتوبا على باب الجنة لا اله الا الله ومحمد رسول الله . وقد أورد هذا برنابا حكاية عن عيسى عليه السلام وأورده المحدثون وأورده أهل التصوف نقلا عن أهل الكتاب الذين أسلموا .

اللقب التاسع : البر الأبدى :

ومن ألقاب المسيا « البر الأبدى » وقد لقبه بذلك اللقب : دانيال النبى فى قوله : ان جبريل عليه السلام قال له فى رؤيا الليل وهو فى مدينة بابل : « تأمل الكلام وافهم الرؤيا : سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة ، لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الاثم . **وليؤتى بالبر الأبدى ، ولختم الرؤيا والنبوة ، ولمسح قدوس القديسين » (دانيال ٩ : ٢٣ ــ ٢٤) وقال عيسى عليه السلام لبنى اسرائيل : « أقول**

---

(١) ص ١١٩ دراسات فى الكتاب المقدس أنجيل يوحنا ــ الانبا أثناسيوس .

(٢) الجزء الاول من تفسير يوحنا ص ٨ .

لكم الحق : انه خير لكم أن أنطلق لأنه أن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى . ولكن ان ذهبت أرسله اليكم . ومتى جاء ذاك ، يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة . أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى وأما على بر ، فلأنى ذاهب الى أبى ولا تزوننى أيضا . وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين » (يوحنا ١٦ : ٧ ـ ١١)

لقد وضح دانيال : أن نبى البر سيأتى بعد سبعين أسبوعا . ووضح عيسى عليه السلام أن نبى البر ماأتى قبله . وانما هو آت من بعده . وبيان ذلك : ـ

١ ـ الأسبوع فى لغة اليهود يساوى سبع سنين . فالسبعون أسبوعا أربعمائة وتسعون سنة .

٢ ـ كان من الحق حساب المدة من حين هدم الهيكل على يد نبوخذ ناصر سنة ٥٨٦ ق م ولكن الحق ضاع لأسباب :

السبب الأول : أن دانيال كان فى بابل بعد سبى نبوخذ ناصر والسبب الثانى : أن دانيال لم يكتب سفره فى حياته . والسبب الثالث : أن سفر دانيال قد سلمه اليهود الى النصارى فى سنة تسعين بعد الميلاد فى مجمع « يمنية » أى بعد مجىء عيسى عليه السلام وتبشيره عن نبى الاسلام ﷺ .

٣ ـ وحيث ان تسليم سفر دانيال للنصارى فى سنة ٩٠ ميلادية . فأنه ليس بممتنع فى العقل حساب المدة من وقت التسليم للسفر ، اذ لو كان السفر مشتهرا فى العالم ومعروفا ، فما معنى تسليم اليهود له بعد رفع المسيح ؟

٤ ـ ولقد هدم « أدريانوس » أورشليم فى سنة ١٣٢ من بعد الميلاد

ولو زيد على هذه السنة ٤٩٠ سنة هى مدة السبعين أسبوعا فان الجملة تكون ٦٢٢ سنة وهى قريبة من زمان ظهور محمد ﷺ .

٥ ـ وقال عيسى عليه السلام : ان المعزى الاتى سيبكت العالم ويخزيهم ويفحمهم على أمور ثلاثة : ـ

(أ) على خطية ـ لأنهم رفضوا الايمان بما جاء به عيسى عليه السلام . وقد وبخ نبى الاسلام ﷺ على رفض اليهود لنبوة عيسى ومقالاتهم فيه .

(ب) على بر ـ لأنهم يعلمون من الكتب أنه نبى البر الذى ينتظرونه . ولما جاء لم يؤمنوا به . وقد وبخ نبى الاسلام ﷺ على ذلك فى قوله على لسان الله تعالى : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » وفى قوله « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا » ويهدف من ذلك : الى أن الناس يبرأون من الاثم لدى ايمانهم به ، ويقبلون كأبرار فى نظر الله .

وقد أشار عيسى عليه السلام بقوله : « فلأنى ذاهب الى أبى ولا تروننى أيضا » الى أنه لن يأتى ثانية بعد رفعه الى السماء . ويفهم من ذلك : أن البر ليس هو . لأنه اذا كان بعد الرفع لن ينزل ، فان غيره هوالذىسيكون ، لتوبيخ العالم على الأمور الثلاثة .

والدليل على أن البر مقصود به ماجاء فى كلام دانيال : أقوال المفسرين من النصارى . يقول متى هنرى : « ذلك البر الأبدى الذى كان يجب أن يأتى به المسيا : دانيال ٩ : ٢٤ » (١) فقد ربط هذا المفسر بين البر وبين المسيا ، وقال ان ذلك فى الأصحاح التاسع من سفر دانيال .

---

(١) ص ٢٠ ج ٤ تفسير يوحنا لمتى هنرى .

(حـ) وعلى دينونة ـ اتفاق المفسرين من النصارى على أن المراد برئيس هذا العالم الذى دين هو الشيطان . يقول متى هنرى : « أنه أبليس رئيس هذا العالم قد دين . قد تبين بأنه مضل عظيم ، ومدمر عظيم ، ولذلك دين » . وقد أخزى نبى الاسلام ﷺ الشيطان ، وحذر أتباعه منه فى قوله على لسان الله تعالى : « ألم أعهد اليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان . أنه لكم عدو مبين ؟ وأن أعبدونى هذا صراط مستقيم . ولقد أضل منكم جبلا كثيرا . أفلم تكونوا تعقلون ؟ » (يسن ٦٠ ـ ٦٢)

اللقب العاشر : ابن داود :

ومن ألقاب المسيا لقب « ابن داود » وقد تحدثنا عنه من قبل . وسيأتى حديث آخر فى « مسيا داود »

الفصل التاسع

فى

مَلكوتُ المَسِيَّا

ملكوت السموات هو ملكوت المسيا • وملكوت السموات هـو تعبير ورد فى التوراة وفى الانجيل على حكم الله فى الأرض ، تمييزا لجماعة المؤمنين بالله والعاملين بشريعته ، عن جماعة الكافرين الذين لا يؤمنون بالله ، ويحكمون أنفسهم بقوانين قد تعارفوا فيما بينهم على الحكم بها • فلو أن جماعة من البشر حكموا أنفسهم بقوانين بشرية قد تعارفوا فيما بينهم على الحكم بها ، فانـه لايطلق على مملكتهم ملكوت السموات ، لأنهم لا يأخذون قوانينهم من اله السموات • أما الذين يأخذون قوانينهم من اله السموات ويؤمنون بانـه رب العالمين ، فهـم الذين يطلق على مملكتهم ملكوت السموات •

وقد تحدث اليهود فى أسفار الأنبياء عن الزمن الذى سيظهر فيه المسيا ويتأسس ملكوته • وأوضح حديث فى سفر دانيال • فقد بين أنـه سيظهر فيقضى على دولة الروم التى كانت تحتل أرض فلسطين فى ذاك الزمان • يقول دانيال ما نصه :

« ١ فى السنة الأولى لبيلشاصر ملك بابل ، رأى دانيال حلما ، ورؤى رأسه على فراشه حينئذ كتب الحلم وأخبر برأس الكلام ٢ أجاب دانيال وقال : كنت أرى فى رؤياى ليلا واذا بأربع رياح السماء هجمت على البحر الكبير ٣ وصعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة • هذا مخالف

ذاك ٤ الأول كالأسد • وله جناحا نسر • وكنت أنظر حتى انتتف جناحاه ، وانتصب عن الأرض وأوقف على رجلين كانسان ، وأعطى قلب انسان ٥ واذا بحيوان آخر ثان شبيه بالدب ، فارتفع على جنب واحد وفى فمه ثلاث أضلع بين أسنانه • فقالوا له هكذا : قم كل لحما كثيرا ٦ وبعد هذا ، كنت أرى واذا بآخر مثل النمر • وله على ظهره أربعة أجنحة طائر ، وكان للحيوان أربعة رؤوس وأعطى سلطانا ٧ بعد هذا كنت فى رؤى الليل واذا بحيوان رابع هائل وقوى وشديد جدا ، وله أسنان من حديد كبيرة ، أكل وداس الباقى برجليه ، وكان مخالفا لكل الحيوانات الذين قبله • وله عشرة قرون ٨ كنت متأملا بالقرون واذا بقرن آخر صغير طلع بينها وقلعت ثلاثة من القرون الأولى من قدامه ، واذا بعيون كعيون الانسان فى هذا القرن ، وفم متكلم بعظائم ٩ كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام • لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقى وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة ١٠ نهر نار جرى وخرج من قدامه • ألوف ألوف تخدمه ، وربوات ربوات وقوف قدامه • فجلس الدين ، وفتحت الأسفار ١١ كنت أنظر حينئذ من أجل صوت الكلمات العظيمة التى تكلم بها القرن • كنت أرى الى أن قتل الحيوان وهلك جسمه ، ودفع لوقيد النار ١٢ أما باقى الحيوانات فنزع عنهم سلطانهم ، ولكن أعطوا طول حياة ووقت ١٣ كنت أرى فى رؤى الليل واذا مع سحب السماء ، مثل ابن انسان أتى وجاء الى القديم الأيام فقربوه قدامه ١٤ فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا • لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول ، وملكوته ما لا ينقرض » (دانيال ٧ : ١ ـ ١٤)

... ...

يقول الآباء اليسوعيون (الكاثوليك) فى التعليق على هذا الكلام :

« ٢ ـ المراد بالبحر هنا : العالم • والرياح الأربع رمز الى الفتن

التى تثيرها فيه الممالك الأربع التى يشير اليها النبى ٣ ـ يرمز بالحيوان الى السلطان الأرضى . فالحيوانات الأربعة تشير الى الممالك الأربعة الممثلة بتمثال الذهب المذكور فى الفصل الثانى (١) الا أن هنا كلام على المملكة الرابعة أطول مما هناك ٤ ـ أشار باقتلاع جناحى النسر الى انكسار الكلدانيين أمام الفرس ، وانتزاع الفرس القوة الحيوانية أى قوة السلطان من مملكة بابل . ثم ذكر أنه بعد ذلك حل فيها قلب انسان أى استبدل ذلك السلطان بسلطان آخر ، يحكم بالرفق والانسانية ٥ ـ الدب من البهائم ذات البطش ، الا أنه ليس فى قوة الأسد ، وهكذا كانت مملكة مادای وفارس بالنسبة الى الكلدانيين من قبل ٦ ـ هذا الحيوان هو مملكة اليونانيين التى انقسمت بعد موت الاسكندر الكبير الى أربع ممالك .

٧ ـ هذا الحيوان الرابع هو المملكة الرومانية » ا . هـ

... ...

وفى أسفار التلمود يتجلى اهتمام الربانيين بفكرة المسيا هـذه ، فتتحول على أيديهم الى عقيدة شاملة فى أعقاب الصدام الدموى بين عصاتهم والسلطات الرومانية ، ويشغلون أنفسهم باجراء الحسابات التى تنبىء عن موعد قدومه ، كما يزداد تطلعهم الى مجىء ذلك المخلص من نسل داود ، لكى يتبوأ عرش الملك وترتفع به اسرائيل الى سدة السلطنة على العالم بعد انحدار المملكة الرابعة رومة ، التى أخضعت فلسطين .

(أنظر فصاحيم ٥٤ أ ص ٢٦٥ والسنهدرين ٩٤ أ ص ٦٣٣ والفصل

---

(١) لما كان هذا هو نفسه مافى الأصحاح الثانى على حد قولهم اكتفينا به (انظر دانيال ٢ : ٣١ ـ ٤٦)

الحادى عشر من سفر سنهدرين ٩٠ أ ص ٦٠١ ـ ٦٠٢ و ٩٣ ب ص ٦٢٧ وسفر مجيلـلا ١٧ ب ، وسنهدرين ٩٧ أ ص ٦٥٤ و ٩٨ ب ص ٦٦٧ وسنهدرين ١٠٠ أ ص ٦٧٩ وسنهدرين ١١٠ ب ص ٧٥٩ وتعانيت ٥ أ ص ١٦) .

....

ولا يخطر على البال : أن العبادة فى كلام دانيال « لتتبعد له كل الشعوب » عبادة حقيقية ، بل معناها : الخضوع للشريعة كما جاء فى التوراة . قال جدليا لليهود : « اسكنوا الأرض وتعبدوا لملك بابل » (الملوك الثانى ٢٥ : ٢٤) أى اخضعوا لأوامره .

وملكوت ابن الانسان فى كلام دانيال : ملكوت أرضى يؤسسه صاحبه بسيفه ورمحه ، ويحكم من بعده أتباعه على الناس .

يقول دانيال لبيلشاصر : « أنت أيها الملك فالله العلى أعطى أباك نبوخذ نصر ملكوتا وعظمة وجلالا وبهاء . وللعظمة التى أعطاه اياها كانت ترتعد وتفزع قدامه جميع الشعوب والأمم والألسنة . فأيا شاء قتل وأيا شاء استحيا ، وأيا شاء رفع وأيا شاء وضع » (دانيال ٥ : ١٨ ـ ١٩ ـ) .

وجاء يحيى عليه السلام ونادى فى اليهود قائلا : « توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » (متى ٣ : ٢) وجاء عيسى عليه السلام وقد كان معاصرا ليحيى . وقال : « توبوا فقد اقترب ملكوت السموات » (متى ٤ : ١٧)

وعلى ذلك فملكوت السموات حتما يكون ملكوتا أرضيا كما يقول اليهود ، لاروحيا كما يقول النصارى ، وحتما يتأسس بعد عيسى عليه

السلام ولكن النصارى قالوا : ان ملكوت السموات هو ملكوت المسيا المنتظر ، وهو ملكوت عيسى عليه السلام . وأنه بدأ فى زمنه ، وتأسس بعد خمسين يوما من صعوده الى السماء ، تأسس على قلوب الذين آمنوا به بالولاء الروحى . يقول الدكتور فردريك . و . فارار ، معلقا على لقب ابن الانسان فى عبارات دانيال : « هذا هو اللقب الذى يثير أقل عداوة ، وفى الوقت ذاته يفهم أنه يطلق على المسيا . قارن دانيال ٧ : ١٣ ويوحنا ٧ : ٣٤ (١) »

ولكننا نعلم من التاريخ : أن اليهود دخلوا تحت سلطان الولاء لبابل سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ، ثم للفرس سنة ٥٣٦ ق . م ثم لليونان سنة ٣٣٣ ق . م ثم للرومان سنه ٦٣ قبل الميلاد ، ثم انتصر المسلمون على الرومان ، واحتلوا بلاد اليهود سنة ٦٣٦ ميلادية . فمن هو أحق بملكوت السموات ؟ أهو الذى قضى على الرومان وأسس ملكوته . أم الذى قال : « أعطوا ما لقيصر لقيصر » ؟

وقد ضرب عيسى عليه السلام أمثلة لملكوت السموات ، منها مثل جاء ذكره فى القرآن الكريم ، وهو مثل حبة الخردل . ونصه : « وقال بماذا نشبه ملكوت الله ؟ أو بأى مثل نمثله ؟ مثل حبة خردل متى زرعت فى الأرض فهى أصغر جميع البذور التى على الأرض ، ولكن متى زرعت تطلع وتصير أكبر جميع البقول ، وتصنع أغصانا كبيرة ، حتى تستطيع طيور السماء أن تتآوى تحت ظلها » (مرقس ٤ : ٣٠ ـ ٣٢) ويرويه متى هكذا : « قدم لهم مثلا آخر . قائلا : يشبه ملكوت السموات حبة خردل ، أخذها انسان وزرعها فى حقله ، وهى أصغر جميع البذور ،

---

(١) ص ٢٩٢ حياة المسيح ـ فى يوحنا ٦ : ٢٧ يقول المسيح « اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحياة الابدية الذى يعطيكم ابن الانسان » .

ولكن متى نمت فهى أكبر البقول ، وتصير شجرة حتى أن طيور السماء تأتى وتتآوى فى أغصانها » (متى ١٣ : ٣١ ـ ٣٢)

وقد وصى تلاميذه بالدعوة الى ملكوت السموات • ففى انجيل متى : « وأوصاهم قائلا : الى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة ، وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين : انه قد اقترب ملكوت السموات •• ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا الى الأخرى • فانى الحق أقول لكم : لا تكلمون مدن اسرائيل حتى يأتى ابن الانسان » (متى ١٠ : ٥ ـ ٢٣) كناية عن سرعة مجيئه واقتراب زمنه •

والنصارى يقولون بأن ابن الانسان هو المسيا ، وأنه المسيح عيسى عليه السلام ، يقول متى هنرى : « كان عليهم أن يكرزوا بأن ملكوت ابن الانسان المسيا ، قد اقترب (٢) » ويقولون فى الملكوت : ـ

١ ـ انه روحى بمعنى أن من يؤمن بالمسيح عيسى وبدعوته ، فهوتحت سلطان الولاء الأدبى للمسيح ، والمسيح على ذلك يملك على قلوب الناس ويسيطر على وجدانهم •

٢ ـ وزمنه من بدء مجىء عيسى عليه السلام الى هذه الأرض ، ولكن تلاميذه لم يعرفوا أنه كان صاحب الملكوت ، الا بعد خمسين يوما من صعوده الى السماء • وبذلك تأسس الملكوت فى يوم الخمسين •

٣ ـ وفى آخر الزمان فى نهاية الدنيا يأتى عيسى عليه السلام ثانية لتكميل الملكوت •

---

(١) يكرزوا = يبشروا •
(٢) ص ١٦٥ ـ ١٦٦ ج ٢ تفسير متى •

٤ ـ واذا أتى المسيح فى آخر الزمان ينزل نزولا روحيا ٠
ويرتبون الحوادث على النحو الآتى :

(أ) القيامة الأولى : ومعناها : أن الأبرار الذين استشهدوا من أجل الايمان بعيسى عليه السلام والذين ماتوا على صلاح وتقوى ، سوف تظهر أرواحهم فى المؤمنين بعيسى عليه السلام ، المؤمنون الذين لم يموتوا بعد فى آخر الزمان ، وذلك ليجعلوهم أهل غيرة وقداسة كالشهداء ٠ وفى الوقت الذى تقوى فيه الغيرة وتشتد ٠ يبدأ ملك المسيح مع شعبه ملكا روحيا ٠ كولاء التلاميذ لمعلمهم ٠

(ب) الموت الثانى : وفى الوقت الذى تظهر فيه أرواح الشهداء لتقوية المؤمنين يفنى جميع الأشرار بالنفس والجسد (١) ٠

علامات ابن الانسان الذى هو المسيا

والواضح من الأناجيل الأربعة : ان ابن الانسان فى نبوءة دانيال التى اقتبسها المسيح للدلالة على نبى الاسلام ﷺ هو شخص غير عيسى المسيح ٠ قد نبه عيسى المسيح على مجيئه للاستيلاء على مدينة أورشليم ٠ وذكر علاماته وأوصافه ٠ وذلك فى الأصحاح الخامس والعشرين. والسادس والعشرين من انجيل متى ، والثالث عشر من مرقس ، والحادى والعشرين من لوقا ٠

يقول لوقا (٢) : ـ

---

(١) أنظر تفسير الكنز الجليل فى متى ٣ : ١ و ٤ : ١٧ وفى سفر الرؤية ٢٠ : ٥ و ١٠ : ٦ ٠

(٢) أنظر تفاسير النصارى فى هذا النص ولاحظ العبارات التشبيهية على أنها عبارات مبالغ فيها مثل « وعلى الأرض كرب أمم بحيرة » ٠٠ الخ ، والنصارى مضطربون فى تفسير هذه العبارات اضطرابا كبيرا =

« واذ كان قوم يقولون عن الهيكل : انه مزين بحجارة حسنة وتحف . قال : هذه التى ترونها ستاتى أيام لا يترك فيها حجر على حجر لا ينقض . فسألوه قائلين : يا معلم متى يكون هذا ؟ وما هى العلامة عندما يصير هذا ؟

فقال : انظروا لا تضلوا . فان كثيرين سيأتون باسمى قائلين : انى أنا هو ، والزمان قد قرب . فلا تذهبوا وراءهم . فاذا سمعتم بحروب وقلاقل فلا تجزعوا . لأنه لابد أن يكون هذا أولا . ولكن لا يكون المنتهى سريعا .

ثم قال لهم : تقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة . وتكون زلازل عظيمة فى أماكن ومجاعات وأوبئة . وتكون مخاوف وعلامات عظيمة من السماء . وقبل هذا كله يلقون أيديهم عليكم ، ويطردونكم ويسلمونكم الى مجامع وسجون . وتساقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمى فيؤول ذلك لكم شهادة ، فضعوا فى قلوبكم : أن لا تهتموا من قبل . لكى تحتجوا . لأنى أنا أعطيكم فما وحكمة ، لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها . وسوف تسلمون من الوالدين والأخوة والأقرباء والأصدقاء . ويقتلون منكم . وتكونون مبغضين من الجميع من أجل أسمى . ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك . بصبركم اقتنوا أنفسكم .

ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش ، فحينئذ أعلموا : أنه قد

= وبعضهم يقول : انها تشير الى يوم القيامة . وهذا أضعف الآراء وأركها . لأن الذى سيحاسب الناس يوم القيامة هو الله وحده ، وليس ابن الانسان ولأن العبارات تبين أن تأسيس الملكوت قريب . هذا الملكوت الذى أشار اليه دانيال بعد المملكة الرابعة . ولأن الأمثال التى ضربها المسيح نفسه عن مجىء الملكوت تشير الى غيره كما بينا من قبل فى مثل الكرامين الأردياء فى فصل القاب المسيا .

اقترب خرابها . حينئذ ليهرب الذين فى اليهودية الى الجبال ، والذين فى وسطها ، فليفروا خارجا والذين فى الكور فلايدخلوها ، لأن هذه أيام أنتقام ، ليتم ماهو مكتوب . وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام ، لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض ، وسخط على هذا الشعب . ويقعون بفم السيف ، ويسبون الى جميع الأمم . وتكون أورشليم مدوسة من الأمم ، حتى تكمل أزمنة الأمم .

وتكون علامات فى الشمس والقمر والنجوم . وعلى الأرض كرب أمم بحيرة . البحر والأمواج تضج ، والناس يغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتى على المسكونة . لأن قوات السموات تتزعزع . وحينئذ يبصرون ابن الانسان آتيا فى سحابة بقوة ومجد كثير . ومتى ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم ، لأن نجاتكم تقترب .

وقال لهم مثلا : أنظروا الى شجرة التين ، وكل الأشجار . متى أفرخت تنظرون وتعلمون من أنفسكم : أن الصيف قد قرب . **هكذا انتم ايضا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة ، فاعلموا : أن ملكوت الله قريب .** الحق أقول لكم : انه لا يمضى هذا الجيل حتى يكون الكل . السماء ، والأرض تزولان . ولكن كلامى لا يزول . فاحتزوا لأنفسكم ، لئلا تثقل قلوبكم فى خمار وسكر ، وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة ، لأنه كالفخ يأتى على جميع الجالسين على وجه كل الأرض . اسهروا اذا وتضرعوا فى كل حين ، لكى تحسبوا أهلا للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون ، وتقفوا قدام ابن الانسان » (لوقا ٢١ : ٥ ـ ٣٦)

البيـــان

من هذا النص يتبين أن ملكوت المسيا هو ملكوت أرضى . وابن الانسان صاحب الملكوت هـــو شــخص غير شخص عيسى المسيح وذلك واضح

من قوله لأتباعه : « وتقفوا قدام ابن الانسان » وابن الانسان صاحب الملكوت سيهلك الشعب اليهودى هلاكا رديا ٠ وأتباع عيسى المخلصين ؛ سيرفعون لابن الانسان رؤوسهم اذا جاء وسينضمون اليه ٠ ومجىء الملكوت لابد منه ، لأنه لو فرض زوال السماء والأرض ، فان كلام عيسى عن مجىء الكوت لا ينقض ٠

وأما عن العلامات فكما هو واضح من كلام لوقا :

١ ـ هدم هيكل سليمان ٠

٢ ـ ظهور مسحاء كذبة وأنبياء كذبة من بعد عيسى الى ظهور محمد عليهما السلام ٠

٣ ـ قيام حروب بين الأمم ، وقيام أمة على أمة ، ومملكة على مملكة وبعد عيسى عليه السلام ، غلبت الروم فى أدنى الأرض من الفرس ـ وقام الروم بعضهم على بعض ٠

٤ ـ حدوث زلازل وحدوث مجاعات وأوبئة ٠

٥ ـ اضطهاد الأمم لأتباع المسيح عيسى عليه السلام ٠

٦ ـ قيام النصارى بعضهم على بعض ٠ وقد حدث اضطهاد الكاثوليك نصارى الروم ، للأرثوذكس نصارى الشرق ٠

٧ ـ احاطة جيش ابن الانسان بأورشليم القدس لخرابها ٠

وذلك كله قد حدث قبل الاسلام ٠ وفى ظهور الاسلام ٠ أما ادعاء النصارى بأن الملكوت قد تأسس فى اليوم الخمسين لصعود المسيح الى السماء ، فادعاء باطل ٠ لأن العلامات المذكورة قبل تأسيس الملكوت ، ما حدثت منها علامة واحدة قبل رفع المسيح الى السماء ٠ وقد فصلنا القول فى هذا فى « البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل »

الفصل العاشر

فى

المسيا المتألم

من الأوصاف التى ذكرتها التوراة ـ أعنى أسفار الأنبياء ـ عن المسيا المنتظر ، وصفه بالتألم من اعراض الناس عن دعوته ، وصدهم عن سبيل الله من آمن . وها الوصف ورد كثيرا جدا حتى شاع بين الناس فكرة « المسيا المتألم » ثم اختلفوا : هل الفكرة فى الأصل يهودية أم نصرانية ؟

يرى البعض أنها يهودية . والبعض يرى أنها نصرانية وعنهم انتقلت الى اليهود . واختلافهم لا طائل تحته ، لأن النصوص التى تدل على تألم المسيا ، أقدم فى الزمن من ميلاد عيسى عليه السلام . وكل صاحب دعوة يتوقع الأذى من الناس ، ويتألم من اعراضهم عن دعوته . وتلك سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا . الا أن نقول بقدم النصوص ، وقد فهمها النصارى ، ولم يفهمها اليهود . وهذا بعيد جدا فى التصور . أو نقول بأن اسفار الأنبياء قد سلمها اليهود الى النصارى فى سنة ٩٠ م بهذا التعديل .

وعلى سبيل المثال نذكر هذه النصوص عن المسيا المتالم :

النص الأول :

جاء فى الزبور الثانى والعشرين عن المسيا المتالم هكذا « ٧ كل الذين يروننى يستهزئون بى . يفغرون الشفاه ، وينغضون الرأس ، قائلين ٨ اتكل على الرب ، فلينجه . لينقذه ، لأنه سر به ٩ لأنك أنت

جذبتنى من البطن • جعلتنى مطمئنا على ثديى أمى ١٠ عليك ألقيت من الرحم • من بطن أمى أنت الهى ١١ لا تتباعد عنى ، لأن الضيق قريب • لأنه لا معين ١٢ أحاطت بى ثيران كثيرة • أقوياء باشان اكتنفتنى ١٣ فغروا على أفواههم كأسد مفترس مزمجر ١٤ كالماء انسكبت • انفصلت كل عظامى • صار قلبى كالشمع • قد ذاب فى وسط أمعائى ١٥ يبست مثل شقفة قوتى ولصق لسانى بحنكى ، والى تراب الموت تضعنى ١٦ لأنه قد أحاطت بى كلاب كثيرة ، جماعة من الأشرار اكتنفتنى • ثقبوا يدى ورجلى ١٧ أحصى كل عظامى • وهم ينظرون ويتفرسون فى ١٨ يقسمون ثيابى بينهم ، وعلى لباسى يقترعون

١٩ أما أنت يا رب فلا تبعد • يا قوتى أسرع نصرتى ٢٠ أنقذ من السيف نفسى • من يد الكلب وحيدتى ٢١ خلصني من فم الأسد، ومن قرون بقر الوحش أستجب لى ٢٢ أخبر باسمك اخوتى • وفى وسط الجماعة أسبحك ٢٣ يا خائفى الرب سبحوه ، مجدوه يا معشر ذرية يعقوب • واخشوه يا زرع اسرائيل جميعا ٢٤ لأنه لم يحتقر ، ولم يرذل مسكنة المسكين ، ولم يحجب وجهه عنه ، بل عند صراخه اليه أستمع ٢٥ من قبلك تسبيحى فى الجماعة العظيمة • أوفى بنذروى قدام خائفيه ٢٦ يأكل الودعاء ويشبعون • يسبح الرب طالبوه • تحيا قلوبكم الى الأبد ٢٧ تذكر وترجع الى الرب كل أقاصى الأرض ، وتسجد قدامك كل قبائل الأمم ٢٨ لأن للرب الملك وهو المتسلط على الأمم ٢٩ أكل وسجد كل سمينى الأرض • قدامه يجثو كل من ينحدر الى التراب ، ومن لم يحيى نفسه ٣٠ الذرية تتعبد له ، يخبر عن الرب الجيل الآتى ٣١ يأتون ويخبرون ببره شعبا سيولد ، بأنه قد فعل » (مزمور ٢٢)

هذه الآيات كناية عن ألم النبى الآتى ، وتآمر الناس عليه لابطال دعوته • ولكن الله تعالى يأبى الا أن يتم نوره ويظهر النبى وينصره

وتأتى أمتــــه لتكون خير أمــة أخرجت للنـــاس لقــوله : « يأتـــون ويخبرون ببره شعبا سيولد ، بأنه قد فعل »

لكن من هو هذا النبى الآتى ؟ عيسى عليه السلام أم محمد ﷺ ؟ يقول النصارى بأنه عيسى عليه السلام . والحق أنه لنبى الاسلام ﷺ . فقد بدأ دعوته ، وحاربه قومه ، واضطروه للهجــرة الى المدينة المنورة « يثرب » وحاربوه أيضا وهو فى «يثرب» مع اليهود وقبائل من العرب ، حتى أنه كما جاء فى القرآن الكريم : « هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » وكما جاء عنه فى هذا الزبور : « أحاطت بى ثيران » وكانت مؤامرتهم عليه وعلى أصحابه بالسيف كما فى المزمور « أنقــذ من السيف نفسى » ولما دعا الله تعالى أن ينصره ، نصره كما جاء فى المزمور « عند صراخه اليه استمع » ثم أصبح ملكا وخضعت له كـــل الشعوب ،ومنهم شعب بنى اسرائيل كما فى هذا المزمور « الذرية تتعبد له » أى تخضع كما جاء فى التوراة « لا تخافوا من عبيد الكدانيين ، اسكنوا الأرض وتعبدوا لملك بابل ، فيكون لكم خير » (الملوك الثانى ٢٥ : ٢٤) فتعبدوا بمعنى اخضعوا

النص الثانى :

وجـــاء فى سفر أشعياء، فى الأصحاح الحادى والعشرين هكذا : « ١٣ وحى من جهة بلاد العــرب فى الوعر فى بـــلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين ١٤ هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء ، وافوا الهارب بخبزه ١٥ فانهم من أمام السيوف قد هربوا . من أمـــام السيف المسلول ، ومن أمام القوس المشدودة ، ومن أمام شدة الحرب ١٦ فانه هكذا قال لى السيد الرب : فى مدة سنة كسنة الأجير ، يفنى كل مجد قيدار ١٧ وبقية عدد قسى أبطال بنى قيدار تقل ، لأن الرب الــه اسرائيل قد تكلم »

قوله « هاتوا ماء لملاقاة العطشان » ـ « وافوا الهارب بخبزه » ـ « من أمام السيوف .... الخ » **يدل على الآلام للمسيا ومن معه .**

والمراد بالهارب من بلاد العرب : هجرة نبى الاسلام ﷺ والذين معه من مكة الى المدينة ، والعبارات : « من أمام السيوف ... الخ » تشير الى الآلام التى لقيها النبى والذين معه فى « مكة » حتى اضطروا الى الهجرة . وقوله « وفى مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار » « يشير الى هجرة النبى ﷺ الى المدينة وبها تكامل أمره وقد حدثت غزوة بدر الكبرى بعد مدة وجيزة من هجرته . وانتصر المسلمون على الكفار ، وفنى مجد قيدار الذين نسوا دين أبيهم اسماعيل وجدهم ابراهيم . وكانوا يشيدون بعبادة الأصنام . ويثنون عليها .

وفى القرآن الكريم : « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا . ثانى اثنين . اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه : لاتحزن . ان الله معنا » و « قيدار » من أولاد اسماعيل عليه السلام ونبى الاسلام ﷺ من نسله . وقد جاء التوراة عن بنى اسماعيل : « وهذه أسماء بنى اسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم : نبايوت بكر اسماعيل ، وقيدار وأدبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسا وحدار وتيما ويطور ونافيش وقدمة » (تكوين ٢٥ : ١٣ ـ ١٥)

واليسوعيون يردون تفسيرنا لعبارات أشعياء بقولهم : « قد تمت هذه النبوة من زمن الدولة الأشورية بشهادة ماسطره سرجون ، وسنحاريب على الآثار ، من أنهما قهرا قبائل العرب » وفاتهم أن أشعياء كان يتكلم عن الأحداث الآتية بعد محنة السبى البابلى . أما سرجون وسنحاريب فكانا قبل السبى البابلى ، كما هو واضح من أسفار الملوك وسفر أشعياء نفسه .

النص الثالث :

وعيسى عليه السلام لم يفته هذا الوصف عن المسيا الآتى . فتحدث

عن نبى الاسلام ﷺ وبين من أوصافه : أنه سيكون متألما . ومن ذلك قوله بالتعبيرات المجازية التشبيهية فى الأصحاح الخامس والعشرين من انجيل متى : « ٣١ ومتى جاء ابن الانسان فى مجده ، وجميع الملائكة (١) القديسين معه ٣٢ فحينئذ يجلس على كرسى مجده فيجتمع أمامه جميع الشعوب ، فيميز بعضهم من بعض ، كما يميز الراعى الخراف من الجداء ٣٣ فيقيم الخراف عن يمينه ، والجداء عن اليسار ٣٤ ثم يقول الملك للذين عن يمينه : تعالوا يا مباركى أبى : رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم ٣٥ لأنى جعت فأطعمتمونى ، عطشت فلسقيتمونى ، كنت غريبا فأويتمونى ٣٦ عريانا فكسوتمونى ، مريضا فسقيتمونى . محبوسا فأتيتم الى ٣٧ فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين : يارب متى رأيناك جائعا فأطعمناك . أو عطشانا فسقيناك ٣٨ ومتى رأيناك غريبا فآويناك . أو عريانا فكسوناك ٣٩ ومتى رأيناك

---

(١) المراد بالملائكة : الاتباع الأطهار الشبيهيين بالملائكة . وقد قلنا من قبل : ان من عادة اليهود : المبالغة فى التعبير ، والنصارى مثلهم . فمثلا هم يسمون تلاميذ المسيح عيسى عليه السلام رسلا . ويترجمون « بل لأصحح » بل لأكمل . وهنا يسمون الأتباع ملائكة . ففى سفر الرؤيا « وحدثت حرب فى السماء ميخائيل وملائكته ، حاربوا التنين وحارب التنين وملائكته ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك فى السماء . فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو ابليس والشيطان الذى يضل العالم . كله طرح الى الأرض ، وطرحت معه ملائكته » (رؤيا ١٢ : ٧ ـ ٩) والتوراة اليونانية (السبعينية) ترجمت عبارة موسى عليه السلام عن النبى الآتى من فاران « وأتى من ربوات القدس » ترجمت القدس بالملائكة يقول أصحاب تفسير الكتاب المقدس : « أتى من ربوات القدس : تترجم السبعينية كلمة « القدس » الى ملائكة . وهذا غالبا هو المعنى الحقيقى . لأنه جاء فى سفر الأعمال : « أخذتم الناموس بترتيب ملائكة » (٧ : ٥٣) أى بترتيب أتباع من البشر » (تفسير ـ فرنسيس ص ٤٥٣) والذى تنبه لها من المسلمين كما نعلم هو صاحب المنتخب الجليل فى ص ١١٦ فقد ذكر : ان كلمة القدس بمعنى الملائكة .

مريضا أو محبوسا فاتينا اليك ٤٠ فيجيب الملك ويقول لهم : الحق أقول لكم : بما أنكم فعلتموه بأحد اخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم .

٤١ ـ ثم يقول أيضا للذين عن اليسار : اذهبوا عنى يا ملاعين ، الى النار الأبدية المعدة لابليس وملائكته ٤٢ . لأنى جعت فلم تطعمونى . عطشت فلم تسقونى ٤٣ كنت غريبا فلم تأوونى ، عريانا فلم تكسونى . مريضا ومحبوسا فلم تزورونى ٤٤ حينئذ يجيبونه هم أيضا قائلين : يارب متى رأيناك جائعا أو عطشانا أو غريبا أو عريانا أو مريضا أو محبوسا ، ولم نخدمك ٤٥ فيجيبهم قائلا : الحق أقول لكم : بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر ، فبى لم تفعلوا ٤٦ فيمضى هؤلاء الى عذاب أبدى . والأبرار الى حياة أبدية »

... ...

ولما صاغ النصارى عقائدهم على شبه عقائد الوثنيين . وفى عقائدهم القتل للتكفير عن الخطايا ، كما وضحنا فى كتابنا « أقانيم النصارى » فالوا بقتل عيسى عليه السلام وصلبه ، وقيامته حيا من القبر بعد ثلاثة أيام ، ليرتفع الى السماء منتصرا على الموت . فبقتله وصلبه يصير متألما ، وبارتفاعه يصير منتصرا وبذلك يوهمون الناس بأنه هو المسيا المتألم . يقول الدكتور لورانس براون :

« فى العهد القديم منذ عصر أشعياء . وفى الكتابات اليهودية الأخرى قبل مجىء المسيح ، نضجت فى عقول القوم فكرة عن ملك مسيا ينبغى أن يجىء حتما ، ليتسلط تسلطا كاملا على اسرائيل . والكلمة العبرية « مسيا » أى الممسوح ظهرت فى اليونانية اما بلفظة **(Messias)** أو بترجمة ممسوح الى مثيلتها فى اليونانية وهى المسيح **(Christos)** وقد تمثل المسيا قبل عصر ربنا فائزا منصورا .

على أنه كان فى العهد القديم أيضا فى كتابات أشعياء الثانى : فكرة عن عبد الرب الذى كان مزمعا أن يجىء ، وينال الظفر بآلامه نيابة عن

الآخرين ، وحينما رؤى يسوع المسيا متألما على الصليب وممسكا صولجان النصر فى القيامة ، صار قرن الفكرتين معا : فكرة المسيا المتالم ، وفكرة العبد المتالم . وانا لنجد فى بعض الكتابات اليهودية غير المسيحية : الاصطلاح « المسيا المتألم (١) » أ هـ

يقصد بكتابات أشعياء الثانى من أول الأصحاح رقم ٤٠ الى آخر الأصحاح ٥٥ فى سفر أشعياء الموجود الآن فى جميع نسخ التوراة العبرانية وترجمتها . ذلك أنهم يقولون بثلاثة أسفار ، كل سفر يسمى : سفر أشعياء . الأول من ١ ـ ٣٥ ومن ٣٦ ـ ٣٩ ملحق تاريخى أضيف اليه ، والثالث من ٥٦ ـ ٦٦ ثم وحدوا الكل فى سفر واحد سموه سفر أشعياء » (٢)

والدكتور « فردريك . و . فارار » ينقل عن كتاب « زوهار » وهو كتاب يهودى ويقول : « لا ندرى شيئا عن أصل أو تاريخ الفكرة الحديثة الواردة فى كتاب زوهار ، والتى تقول بانتظار مسيا يتألم (٣) وبعض النصارى يقولون : ان الفكرة مسيحية فى الأصل وعنهم انتقلت الى اليهود . يقول الدكتور لورانس براون : « ولكننا نعتقد أن كل هذه التلميحات ظهرت بعد العصر المسيحى ، وأن الفكرة تلقنها اليهود عن المسيحيين » (٤) وغرضهم من هذا القول : أن ينفوا عن أنفسهم قول الناس عنهم بانهم قالوا بقتل عيسى عليه السلام وصلبه وقيامته من الأموات ، تاكيدا لهذه الفكرة .

---

(١) ص ٧٩ شرح سفر أعمال الرسل ـ والعبد المتالم (انظر أشعياء ٥٣ : ٢ ـ ١٢)

(٢) النوراة عرض وتحليل ص ٨٤ .

(٣) ص ٢٨٠ حياة المسيح

(٤) ص ٧٩ شرح سفر أعمال الرسل .

والحق : أن عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب ، بشهادة الأوائل من النصارى أنفسهم كما فى انجيل برنابا • وليس هو المسيا المتألم • بل المسيا المتألم هو نبى الاسلام ﷺ • وهو متألم من اعراض النـــاس عن دعوته •

ففى القرآن الكريم ذكر الله تعالى آيات تدل على آلام للنبى ﷺ فى سبيل الدعوة الاسلامية ، وعلى أنه كان يحزن لعدم ايمان الكافرين ومن هذه الآيات : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » (الكهف ٦) « لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » (الشعراء ٣)

والقرآن الكريم يذكر أيضا آيات تدل على آلام لأتباع النبى ﷺ ومن هذه الآيات « هذا بيان للناس ، وهدى وموعظة للمتقين • ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين • ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله • وتلك الأيام نداولهـــا بين النـــاس ، وليعلم الله الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء • والله لا يحب الظالمين • وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين • أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعـــلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين • ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه ، فقد رأيتموه وأنتم تنظرون • وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل • أفان مات أو قتل ، انقلبتم على أعقابكم • ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين • وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا • ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها • وسنجزى الشاكرين » (آل عمران ــ ١٤٥)

الفصل الحادى عشر

فى

المسيا النبى والكاهن والملك

يقول اليهود والنصارى : ان المسيا المنتظر ستجتمع فيه صفات ثلاثة : ـ

١ ـ نبى ٢ ـ وكاهن (عالم دينى) ٣ ـ وملك . نبى مثل ما كان موسى عليه السلام ، وكاهن مثل ما كان هرون عليه السلام ، وملك مثل ما كان داود عليه السلام . ويقولون : لم يكن فى بنى اسرائيل نبى اجتمعت فيه هذه الصفات الثلاثة الا موسى عليه السلام لأنه النبى صاحب الشريعة ولأنه من بنى لاوى ، ولانه ترأس على اليهود ، وحرر بنى اسرائيل من فرعون .

وهذه وجهة نظر اليهود فى الصفات الثلاثة : ـ

١ ـ يقول ابن كمونة فى تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث » عن النبى :

« النبى من يؤدى اخبارا عن الله تعالى من غير أن يكون بينه وبينه واسطة ، هى غير انسان آخر . كملك من الملائكة ، أو نفس من النفوس السماوية أو عقل من العقول (١) . وقد تطلق نفظة « النبى » وكذا لفظة « الرسول » على معنى هو أخص من ذلك . وهو أنه المخاطب من جهة

---

(١) انظر كتاب : المطالب العالية من العلم الالهى ـ تاليف الامام فخر الدين الرازى . المتوفى سنة ٦٠٦ هـ

الله تعالى لاصلاح نوع البشر . وهذا انما يصدق على نبى مبعوث بشريعة عامة . وما كل نبى كذلك ، بل من الأنبياء من بعث للاخبار بنزول عقاب على أمة مخصوصة أو شخص معين ، أو أنه بعث ليخبر بأمر يتجدد فى المستقبل أو وقع فى الماضى ، أو بغير ذلك . كما يحكى عن كثير من أنبياء بنى اسرائيل بعد موسى ـ عليه وعليهم السلام ـ فانهم كانوا على شريعة موسى ، ولم يبعثوا بشريعة تخصهم . بل بعثوا فى قضيا مخصوصة تختص بأهل زمانهم أو ببعضهم (١) » أ هـ

ويقول « ابن كمونة » عن شروط المعجزة مانصه :

« ومما يدل على صدق المدعين للنبوات : المعجزات

. **والمعجز على موجب اللغة : هو ما عجز البشر عنه** ، ولم يتمكنوا منه ، اما لفقد قدرة ، أو علم ، أو آلة . **والمعجز فى مصطلح جمهور** أهل الشرائع : هو الدال على صدق النبى فى دعواه النبوة . فيشترطون فى كونه دالا على النبوة شروطا كثيرة منها : أن يعجز البشر عنها وعما يقاربها . ومنها : أن تكون فى زمن يدعى (فيه) النبوة . ومنها : أن تكون من فعل الله أو بأمره وتمكينه . فهذه شروط خمسة (١) . وانما شرطنا أن لا يقدر العباد عليها ، لأن ما يقدرون عليه يشترك فيه الصادق والكاذب فيصح أن يقارن دعوى كل واحد منهما . فلا يميز الصادق منهما وكذا لو قدر على ما يقاربها . فانه قد يندر صاحب علم أو حرفة يفوق فيهما أهل زمانه وغيرهم . ولا يدل ذلك على نبوة ، لو فرضنا أنه تحدى

---

(١) ص ٣ ـ ٤ تنقيح الأبحاث

(١) الشروط الخمسة هى : ١ ـ أن لايقدر العباد عليها ولايقدرون على ما يقاربها ٢ ـ وأن تكون ناقضة للعادة ٣ ـ كونها فى زمان التكليف ٤ ـ كونها فى حال دعوى النبوة ٥ ـ كونها من فعل الله أو باذنه . ويبدو أن فى كلام ابن كمونه حذف لشرطين من صنع الناسخ لكتابة .

به . وانما يكون ذلك دليلا على النبوة ، لو بلغ فى ذلك المبلغ الذى يقع معه بالجزم بأن ما فعله ليس فى مقدور نوع البشر الاتيان به أو بمقاربه .

وانما شرطنا أن يكون ناقضا للعادة ، لأنه انما يدل على صدق الدعوى اذ كان لولا صدقها لما ظهر . ولا يمكن أن يقال : لولا صدق هذا النبى لما طلعت الشمس اليوم ، لأنها طلعت اليوم لما له طلعت أمس . وانما شرطناكونه زمان تكليف لما ورد أنهعند أشراطالساعة تنتقض العادات. فيكون لانتقاضها سبب هو غير صدق الدعوى . وانما شرطنا أن تكون فى حال دعوى النبوة ، لأن صدق الدعوى صفة للدعوى ، ولا يجوز حصول الصفة دون حصول الموصوف . وانما شرطنا أن تكون من فعل الله أو باذنه لأنه لا يدل تصديق الدعوى على صدقها ، الا اذا كان المصدق أو الآمر بالتصديق أو الممكن منه حكيما . ولا فرق عند العقلاء بين أن يعطى الانسان خاتمه لمن يجعله علامة ودلالة على أنه رسوله . وبين أن يمكنه من أخذه وهو يعلم أنه يدعى أنه رسوله ولهذا استوى فعل التصديق والتمكين منه فى الدلالة على الصدق (١) » أ هـ

ونبى الاسلام ﷺ على تعريف النبوة عندهم ، وعلى شروطها الخمسة ، هو نبى صادق مرسل من الله تعالى لاصلاح نوع البشر ، كما أرسل موسى عليه السلام . ومعجزته الخالدة أبد الدهر هى القرآن الكريم ، وهو كتاب . معجز فى ألفاظه ومعانيه ، ومعجز للعرب وللأمم لقوله تعالى : « أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ؟ » ولم يأت نبى بمعجزة تضارع معجزة القرآن ، لأمية الرسول . فهى معجزة فريدة ، أما معجزة عيسى عليه السلام على سبيل المثال ، فلم تكن معجزة فريدة . بل كل ما صنعه ، صنعه أنبياء من قبله فى بنى اسرائيل

---

(١) ص ٨ تنقيح الأبحاث

فلقد أحيا حزقيال (١) الذى هو ذو الكفل عليـه السـلام آلاف الموتى (حزقيال ٣٧ : ٣ ـ ١٠) والياس عليه السلام أحيا ميتا (الملوك الأول ١٧ : ٢٢) واليسـع عليه السلام أحيا ميتين ، واحد فى حياته ، وآخر بعد موته (الملوك الثانى ٤ : ٢٧ و ١٣ : ٢٠ ـ ٢١) واليسع عليه السلام طهر رجلا من برصه ، ، ودعا على غلامه أن يكون أبرص ، فصـار أبرص (الملوك الثانى ٥ : ١٤ و ٢٧)

٢ ـ والكاهن عندهم . هو من يكون من آل هارون عليه السـلام كما سبق بيانه ، وعمله أن يدخل قدس الأقداس وينوب عن الشعب فى الطلب الى الله ، ويتقبل صدقات اليهود وتبرعاتهم ، ويدعو الله لهـم بالبركة فى الأعمال وصلاح الأحوال . ولا يخطر على البال : أن الكهانة عندهم بمعنى السحر والشعوذة . فانـه مكتوب فى توراة موسى عليـه السلام : « لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار ، ولا من يعـرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقى رقية ولا من يسـأل جانا أو تابعة ولا من يستشير الموتى . لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب » (تثنية ١٨ : ١٠ ـ ١٢) . وسفر اللاويين يتحدث عن واجبات الكهنة حديثا مفصلا . ويذكر أن موسى علم هارون أخيه ماذا يفعل هو وأولاده بعد تقبل صدقات اليهود وتبرعاتهم ففى سفر اللاويين : « ثم رفع هارون يده نحو الشعب وباركهم . ودخل موسى وهارون الى خيمة الاجتماع ، ثم خرجا وباركا الشعب » (لاويين ٩ : ٢٢ ـ ٢٣)

وهذه الصفة صفة نيابة الكاهن عن الشعب أمام الله ، وتقبل صدقات اليهود والدعاء لهم بالبركة كما كان موسى وهارون عليهمـا السـلام . هذه الصفة تنطبق على نبى الاسلام ﷺ أولا : لأنه ألغى ناموس موسى

---

(١) يقول اليهود ان حزقيال هو ذو الكفل انظر : نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق .

عليه السلام ونسخ شرائعه . ووضع الاصر والأغلال عن الناس . ومن حقه أن يشرع تشريعا مستقلا ، وقد اعترف بولس بهذا الحق فى قوله : « لأنه أن تغير الكهنوت ، فبالضرورة يصير تغير للناموس » (عبرانيين ٧ : ١٢) ثانيا : ورد فى القرآن الكريم : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم . والله سميع عليم » (التوبة ١٠٣) والمعنى : أن الرسول ﷺ يأخذ من الأغنياء صدقة ، تدل على صحة ايمانهم وصدق باطنهم مع ظاهره . وهذه الصدقة تكون مطهرة لقلوبهم ، ومزكية لنفوسهم « وصل عليهم » معناها : اعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم . ومعنى « ان صلاتك سكن لهم » : يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم . وأن الله قد تاب عليهم » (١)

٣ ــ والملك عندهم . لابد وأن يكون من وسط اخوتهم لقوله فى التوراة : « متى أتيت الى الأرض التى يعطيك الرب الهك وامتلكتها وسكنت فيها . فان قلت : أجعل على ملكا . كجميع الأمم الذين حولى . فانك تجعل عليك ملكا الذى يختاره الرب الهك . من وسط اخوتك تجعل عليك ملكا . لا يحل لك أن تجعل عليك رجلا أجنبيا ليس هو أخاك ». « تثنية ١٧ : ١٤ ــ ١٥) وعبارة « من وسط اخوتك » كما تنطبق على نسل اسحق عليه السلام ، تنطبق أيضا على نسل اسماعيل عليه السلام فقد عبرت التوراة عنهم بأنهم اخوة لبنى اسحق . ففى التوراة عن لسماعيل : « وأمام جميع اخوته يسكن » (التكوين ١٦ : ١٢) وعلى ذلك . فلو قلنا بأن نبى الاسلام ﷺ يكون ملكا على بنى اسرائيل ، لايجرؤ أحد أن يرد هذا القول أو يجحده .

وعلى هذه الصفات الثلاثة وهى ١ ــ النبى ٢ ــ والكاهن ٣ ــ والملك ، تجد الآتى : ــ

---

(١) تفسير الكشاف للامام الزمخشرى ص ٥٦ ج ٢ طبعة الحلبى ١٩٤٨ .

١ ـ أطلق لقب « مسيا » على موسى عليه السلام باعتباره ١ ـ نبيا ٢ ـ وكاهنا ٣ ـ وملكا . والمماثل له فقط هو نبى الاسلام .

٢ ـ أطلق لقب مسيا على هارون عليه السلام باعتباره ١ ـ نبيا ٢ ـ وكاهنا .

٣ ـ أطلق لقب مسيا على داود عليه السلام باعتباره ١ ـ نبيا ٢ ـ وملكا . عند المسلمين . وعند اليهود على اعتبار أنه ملك فقط .

٤ ـ أطلق لقب مسيا على طالوت باعتباره ١ ـ ملكا .

٥ ـ أطلق لقب مسيا على زكريا ـ والد يحيى ـ عليهما السلام باعتباره ١ ـ نبيا ٢ ـ وكاهنا . عند المسلمين . وعند اليهود والنصارى على اعتبار **أنه كاهن فقط** .

٦ ـ أطلق لقب مسيا على يحيى عليه السلام باعتباره عند المسلمين ١ ـ نبى ٢ ـ وكاهن . وهو عند اليهود كاهن ومماثل لنبى . وعند النصارى نبى **بل أعظم من نبى وكاهن**

٧ ـ أطلق لقب مسيا على عيسى عليه السلام باعتباره ١ ـ مماثل لنبى عند اليهود ٢ ـ وكاهن عند اليهود لأنه من هرون وليس من داود . وباعتباره نبيا عند النصارى لا كاهن . لأن الكهانة فى هارون . والنصارى بزعمون أنه من داود وبزعمهم أبعدوه عن الكهانة .

٨ ـ أطلق اليهود لقب مسيا على « كورش » الفارسى باعتباره ملكا فقط . يقول أشعياء : « هكذا يقول الرب لمسيحه ، لكورش الذى أمسكت بيمينه » (أشعياء ٤٥ : ١)

الفصل الثانى عشر

فى

معنى المسيح عيسى بن مريم

لقد وضح مما تقدم : ان الاوصاف الثلاثة وهى ١ ـ النبى ٢ ـ الكاهن ٣ ـ والملك لم تجتمع فى عيسى عليه السلام كلها • وانما اجتمعت فيه صفتين اثنتين فقط ـ على خلاف ـ وهما النبوة والكهانة • فقد استحق لقب « مسيح » فى نظر اليهود باعتبار أنه من ذرية هارون عليه السلام فان ابن كمونة فى تنقيح الأبحاث شهد بأن عيسى من هرون ، وكذلك شهد السامرى صاحب التاريخ مما تقدم عن الآباء • واستحق لقب مسيح فى نظر النصارى باعتبار النبوة • ولم يكن ملكا حتى يقال انه مسيح لكونه كان ملكا • والهارونى فى نظر الكل كاهن يستحق لقب مسيح •

وقد شهد القرآن الكريم له بالنبوة والوجاهة فى الدنيا والآخرة وأنه من المقربين الى الله • فاستحق على صفة النبوة لقب « مسيح » أيضا كما فى عرف لغتهم • وشهد القرآن بأنه من نسل هرون •

وعلى ذلك فالمسيح عيسى مثل المسيح الياس ، والمسيح اليسع ، والمسيح زكريا ، والمسيح يحيى ـ عليهم السلام ـ لكن ليس هو « المسيح » المعهود المعروف المنتظر الملقب بلقب المسيا الرئيس • لأن الأوصاف الثلاثة لم تجتمع كلها فيه •

وعلى ما قدمنا فى شأن عيسى عليه السلام وأنه يدعى مسيحا على صفة النبوة ، وعلى أنه من نسل هرون عليه السلام ، نجد فى القرآن الكريم آيات تتحدث عنه بلقب المسيح . قال الله تعالى .

« اذ قالت الملائكة : يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وجيها فى الدنيا والآخرة ، ومن المقربين ، ويكلم الناس فى المهد وكهلا ، ومن الصالحين » (آل عمران ٤٥ ـ ٤٦) وقال الله تعالى : « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم ، وروح منه . فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثة . انتهوا خيرا لكم . انما الله اله واحد . سبحانه أن يكون له ولد . له ما فى السموات وما فى الأرض ، وكفى بالله وكيلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ، ولا الملائكة المقربون » (النساء ١٧١ ـ ١٧٢)

ونجد مفسرى القرآن الكريم يفسرون لقب « المسيح » هذا بما يليق بمنصب النبوة والعلم ، لا بمنصب الملك . يقول الامام الزمخشرى : « المسيح لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله : مشيحا بالعبرانية (١) ومعناه : المبارك . كقوله : « وجعلنى مباركا أينما كنت (٢) » وينقل الامام القرطبى نقلا عن ابراهيم النجعى وابن فارس وابن الاعرابى » والمسيح لقب عيسى ومعناه الصديق (٣) »

ويزيد المفسرون هذا الأمر ايضاحا ، فيقولون : ان « المسيح عيسى بن مريم » هو بحسب ما اشتهر به فى المستقبل ، وعرف به بين الناس .

---

(١) قلنا سابقا همشيح هى العبرانية اما مشيح فآرامية .
(٢) ص ٣٢٣ جـ ١ الكشاف
(٣) ص ٨٨ ـ ٨٩ ج ٤ الجامع لاحكام القرآن طبعة دار الكتب بمصر .

لأن الاسم الحقيقى هو « عيسى (١) » وأما « المسيح » فلقب أطلق عليه ، كما أطلق على غيره . وأما « ابن مريم » فكنية وصفة يقول الامام الزمخشرى فى تفسير آية آل عمران : « فان قلت : لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، وهذه ثلاثة أشياء ، الاسم منها عيسى . وأما المسيح والابن فلقب وصفة ؟ قلت : الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره . فكأنه قيل : الذى يعرف به ويتميز عمن سواه : مجموع هذه الثلاثة (٢) »

ولم يأت فى القرآن الكريم لفظ « المسيح » علما خاصا بعيسى عليه السلام لا يتعداه الى غيره ـ بل نجده دائما مضافا الى « عيسى » أو الى « ابن مريم » ـ كما أتى لفظ « النبى » علما خاصا على نبى الاسلام ﷺ مثل : « يا أيها النبى » وكما أتى فى الانجيل لفظ « المسيح » علما خاصا على النبى الذى وعد به موسى وهو نبى الاسلام ﷺ . ففى انجيل يوحنا . قال اليهود : « ألعل المسيح متى جاء ... الخ » وذكر « المسيح » بدون اضافة فى الآية الأخيرة وهى التى فيها « لن يستنكف المسيح » بدون اضافة . هو اشارة الى أنه هو المتحدث عنه فى الآية السابقة ، التى فيها « المسيح عيسى بن مريم » وذلك من ايجاز القرآن الكريم لدلالة الأول عليه . فى سياق كلام متصل .

وهذا يدل على أن عيسى عليه السلام ليس هو المسيح المعهود . الملك المعين من الله نبيا مثل موسى عليه السلام المعروف فى العالم بلقب المسيا ، والذى قال عنه دانيال النبى : (المسيح الرئيس) بل عيسى

---

(١) الاسم العبرى : يشوع ـ والاسم اليونانى : ايسا . وينطق فى حالة الرفع : ايسوس والقرآن ذكر الاسم اليونانى . لأن الاناجيل الحالية مترجمة عن اليونانية (انظر ص ٥٦٦ حياة المسيح لفردريك)

(٢) الكشاف ج ١ ص ٣٤٣ .

« مسيح » نبى كسائر الأنبياء المسحاء عندهم ، الذين قال الله عنهم فى التوراة : « لا تمسوا مسحائى ولا تؤذوا أنبيائى » (١ أ خ ١٦ : ٢٢)

وقوله تعـالى : « ان الله يبشرك بكلمة منـه : اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » معناه : ستحملين بولد من غير بشر . لأن الله اذا قال لشىء كن فيكون . وهذا الذى سيكون منك بكلمة : كن . سيكون لقبه واسمه وكنيته فى المستقبل ، الذى يشتهر به بين الناس فى جميع أنحاء العالم الى يوم القيامة سيكون لقبه واسمه وكنيته : « المسيح عيسى بن مريم » وأنه سيكون بعد ولادته بمدة وجيها فى الدنيا ، لأنه سيكون فى نظر الناس نبيا عظيما ، وسيكون فى الآخرة أيضا وجيها ، لأنه لم يزد ولم ينقص من شرع الله شيئا . وسيكون من المقربين ، لأمانته ونزاهته ، وسيكلم الناس صغيرا وكبيرا ، وسيكون صالحا . وكل هذه الأوصـاف الطيبة عنه ليست حال الولادة . بل منها ما حدث بعد مدة من الزمان . ومريم رضى الله عنها لما أتت به الى قومها ، تحمله واستنكروا منهـا حالها الذى يـدل على ريبة . أشـارت اليه أن يتحدثوا معـه فتحدث و « قال : انى عبد الله . آتانى الكتاب ، وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدتى ولـم يجعلنى جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعـث حيا » فقوله : انه أوتى الكتاب وأنه نبى .. الخ هذه الأوصاف التى كانت له مستقبلا . لا ساعة الكلام ، يدل على أن المقصود بتعبير البشارة هو ما سيكون فى المستقبل وذلك اشارة الى تحقق وقوعه . يقول الامـام الزمخشرى : « واختلفوا فى نبوته فقيل : أعطيها فى طفولته وأكمـل الله عقله واستنباه طفلا نظرا فى ظاهر الآية . وقيل : معناه ان ذلك سبق فى قضائه ، أو جعل الآتى لا محالة كانه قد وجد (١) » ويضعف الامام

---

(١) أنظر الكشاف فى مريم ٢٩ ـ ٣٣ .

القرطبى الرأى الأول ويصحح الرأى الثانى . فيقول : « حكم لى بايتاء الكتاب والنبوة فى الأزل ، وان لم يكن الكتاب منزلا فى الحال . وهذا أصح » ويؤكد رأيه بقوله : « لم ينقل أنه دام نطقه ولا أنه كان يصلى . وهو ابن يوم أو شهر ، ولو كان يدوم نطقه وتسبيحه ووعظه وصلاته فى صغره من وقت الولادة ، لكان مثله ممن لا ينكتم . وهذا كله مما يدل على فساد القول الأول ويصرح بجهالة قائله »

ونجد الدارسين المتضلعين فى علم الأديان يقررون ما قرره القرآن الكريم فى شأن عيسى عليه السلام يقررون أن عيسى عليه السلام كان مسيحا نبيا عالما ، وليس هو المسيح الملك المماثل لموسى عليه السلام .

١ ـ يقول الامام الشهرستانى عن اليهود : « وهم بأسرهم أجمعوا على أن فى التوراة بشارة بواحد بعد موسى ... وذكر المشيحا وآثاره ظاهر فى الأسفار (١) » وحيث أن نصوص النبوءات التى فى كتاب موسى لاتشير الا الى واحد فانه يكون هو النبى محمد ﷺ .

٢ ـ ويقول الشيخ عبد الوهاب النجار فى كتابه « قصص الأنبياء » : « كان المسيح يعبر عن المبشر به بلفظ النبى ، وبلفظ مسيا » (٢)

٣ ـ ويقول العلامة محمد مجدى مرجان (٣) : « حاول كتاب الأناجيل أن يلقوا فى روع الناس أن عيسى هو المسيح المنتظر ، المسيح الجديد الذى أتى ليخلصهم من عبودية روما ، ويعيد اليهم مجدهم الضائع ، وتهافت كتاب الأناجيل على استدعاء آيات العهد القديم ،

---

(١) ص ٢٠٠ الملل والنحل .
(٢) قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ـ ص ٣٩٧
(٣) مسيحى معاصر قد أسلم وألف كتابين هما : ١ ـ الله واحد أم ثالوث ؟ ٢ ـ المسيح اله أم انسان ؟

واستنطاق (١) أنبيائه قسرا ، وتحويل الروايات والكلمات التى تحدثت عن المسيح المنتظـر ، ليكون المقصود بهـا عيسى ، وتعديل الأوصاف والأشكال التى قيلت عن المسيح لتصدق على عيسى ليوضع فى قالـب المسيح المخلص (٢) »

وأضيف الى كلام محمد مجدي مرجان : أن اليهود لم يفتهم حـال صياغة الأنجيل لتدل على المسيا ، أن يضعوا اشارات يعلموا منها أنـه ليس هو عيسى عليه السلام .

من ذلك مـا كتبـوه فى انجيـل متى أن « يهـو ياقيم » مـلك العبرانيين هو من نسل داود من سبط يهوذا . وكتبوا : أن عيسى عليه السلام من نسل يهوياقيم هذا . لماذا كتبوا أنه من يهوياقيم ؟ ليعرفوا أنه ليس هو المسيا الملك . لأن يهويا قيم لما أحرق الصحيفة التى كتبها باروخ من فم ارمياء النبى عاقبه الله بعدم ملوك من نسله على بنى اسرائيل . ولقد نزل الوحى على ارمياء هكذا : « ٢٩ وقل ليهوياقيم ملك يهوذا : هكذا قال الرب : أنت قد أحرقت ذلك الدرج قائلا : لماذا كتبت فيـه قائلا : مجيئا يجىء ملك بابل ، ويهلك هذه الأرض ، ويلاشى منهـا الانسان والحيوان ؟ ٣٠ لذلك قال الـرب عن يهوياقيم ملك يهـوذا : لا يكون له جالس على كرسى داود » (ارميا ٣٦) فعلى زعم النصـارى أن عيسى من نسل يهوياقيم لايحق له الجلوس كملك على بنى اسرائيل واذا انتفت عنه صفة الملك . فانه لايكون هو المسيا الرئيس .

٤ ـ وينقل الدكتور أحمد شلبى عن (برى) ما نصـه : « بنى عيسى تعاليمه على الثقافات اليهودية القديمة والمعاصرة . والجديـد

---

(١) يقصد عبارات من كتب الأنبياء مثل أشعياء وغيره
(٢) المسيح اله أم انسان ؟ ص ٣٠ ـ ٣١ .

الذى جاء به : هو أنه كان يتكلم كانسان فى يده نفوذ أكثر من أن يقنع بأن يكون مفسرا وشارحا ، واستطاع بفصاحته أن يجذب لـه كثيرا من أتباعه الذين هم فى الأصل يهود ، ينتظرون المسيح . وهم منحوه هذا اللقب (١) »

٥ ـ وينقل الدكتور فردريك . و . فارار . عن أرنست رينـان قوله عن عيسى عليه السلام : « وأنه أعلن أن يـأتى مسيا بعـده (٢) »

٦ ـ وينقل القس الدكتور فهيم عزيز عن علماء الغرب « ان كثيرين من علماء الغرب ينكرون أن يسوع كان يتصرف ويتكلم كمسيح اليهود ، المسيا الذى كان ينتظره العهد القديم (٣) »

ولننظر فى الأناجيل . وسوف نرى فيها بوضوح : أن عيسى عليه السلام لم يعترف أبدا بأنه هو المسيا ، ولم يسمح لأحد أن يقول عنه ذلك قط . وانجيل مرقس فيه شواهد كثيرة على هذا . فهو يذكر أن عيسى عليه السلام أخرس الأرواح النجسة ، ثـم أوصاها أن لا تتكلم عنـه « وأوصاهم كثيرا أن لا يظهروه » (مرقس ١ : ٢٥ ر ٣/٣٤ : ١١ و ١٢) ويذكر معجزات عظيمة عملها عيسى عليه السلام ، ثم يذكر أنه نبه على اخفاء اسمه « أنظر . لا تقل لأحد شيئا » (مرقس ١ : ٥/٤٤ : ٧/٤٣ . ٨/٣٦ : ٢٦) ويذكر أن بطرس « قال له : أنت المسيح . فانتهرهم كى لا يقولوا لأحد عنه » (مرقس ٨ : ٢٩ ـ ٣٠) ويذكر بعد النزول من على الجبل « وأوصاهم أن لا يحدثوا أحدا بمـا أبصروا » (مرقس ٩ : ٩) ولم يتوقف الأمر الى حد الأمر بعدم اعلانه للناس . بل لقـد

---

(١) المسيحية ـ شلبى ص ٥٨ .

(٢) حياة المسيح ص ٨٣١ .

(٣) ص ١٦٠ ملكوت الله .

اتسمت كثيرا من أعماله العظمى بالسرية ، فهو يذكر أن عيسى عليه السلام ذهب فى رحلات سرية بعيدة عن الناس « وهو يريد أن لا يعلم أحد » (مرقس ٧ : ٢٤/٩ : ٣٠) وتحدث لليهود عن ملكوت السموات بأمثال . وكان على انفراد يوضح لتلاميذه كل شىء (مرقس ٤ : ١٠ - ١٢) وتحدث عن مجىء المسيا بعده فى (مرقس ١٣ : ٣ - ٣٧) لكن النصارى يفسرون ذلك بالمجىءالثانى للمسيح ، فى آخر الزمان مجيئا روحيا .

وفى انجيل يوحنا : نجد أن عيسى عليه السلام بصراحة ينفى كونه ملكا فيقول : « مملكتى ليست من هذا العالم » (يوحنا ١٨ : ٣٦) وتلاميذه لم يعرفوا أنه كان ملكا (يوحنا ١٢ : ١٥ - ١٦) وقد هرب من الذين أرادوا أن يجعلوه ملكا (يوحنا ٦ : ١٥) وفى اللحظات الأخيرة من حياته كما يقول لوقا . مثل للمحاكمة أمام الوالى الرومانى بيلاطس - كما يقولون - وكانت التهمة الموجهة اليه من اليهود : « اننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا : انه هو مسيح ملك . فسأله بيلاطس قائلا : أنت ملك اليهود ؟ فأجابه . وقال : أنت تقول . فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع : انى لا أجد علة فى هذا الانسان « (لوقا ٢٣ : ٢ - ٤) فقول عيسى عليه السلام « أنت تقول » معناه : أن ذلك قول منك أنت ، لا قول منى . أنت تقول . أما أنا فلم أقل . وتبرئة بيلاطس له من دعوى « مسيح ملك » دليل على أن عيسى عليه السلام أقنعه بانه ليس مسيحا ملكا ، وانما هو « مسيح نبى » أو « مسيح كاهن »

وفى انجيل يوحنا : أن اليهود من « أورشليم » قد أرسلوا وفدا من علمائهم الى يحيى عليه السلام ليسألوه لما ذاع أنه نبى : هل أنت المسيا ؟ وأجاب بالنفى . ونص المكتوب : « وهذه هى شهادة يوحنا

حين ارسل اليهود من أورشيم كهنة ولاويين ليسألوه : من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر وأقر أنى لست أنا المسيح فسالوه اذن ماذا ؟ ايلياء أنت ؟ فقال : لست أنا . النبى أنت ؟ فأجاب : لا » [يو ١ : ١٩ ـ ٢١]

وحكى برنابا فى انجيله أن وفد العلمـاء كان موجهـا الى عيسى عليه السلام . يقول برنابا :

« فان رؤساء الكهنة تشاوروا فيما بينهم ليتسقطوه بكلامه ، لذلك أرسلوا اللاويين وبعض الكتبة يسالونه قائلين : من أنت ؟ فاعترف يسوع وقال « الحق أنى لست مسيا » فقالوا : أأنت ايلياء أو ارمياء أو أحد الأنبياء القدماء ؟ أجاب يسوع : كلا . حينئذ قالوا : من أنت ؟ قل لنشهد للذين أرسلونا . فقال حينئذ يسوع : أنا صوت صارخ فى اليهودية كلها يصرخ : أعدو طريق رسول الرب ، كما هو مكتوب فى أشعياء . قالوا : اذا لم تكن المسيح ولا ايلياء أو نبيا ما ، فلماذا تبشر بتعليم جديد ، وتجعل نفسك أعظم شانا من مسيا ؟ أجاب يسوع : ان الآيات التى يفعلها الله على يـدى ، تظهر أنى اتكلم بمـا يريد الله ، ولسـت احسب نفسى نظير الذى تقولون عنه . لأنى لست أهلا أن أحل رباطات جرموق ، أو سيور حذاء رسـول الله الذى تسـمونه مسـيا ، الذى خلق قبلى ، وسياتى بعدى ، وسياتى بكلام الحق ، ولايكون لدينه نهاية . فانصرف اللاويون والكتبة بالخيبة ، وقصوا كل شىء على رؤسـاء الكهنة الذين قالوا : ان الشيطان على ظهره ، وهو يتلو كل شىء عليه » [٤٢ : ٣ ـ

وحكى يوحنا فى انجيله محاورة بين عيسى عليه السلام وبين عالم كبير من علماء بنى اسرائيل ، يسمى « نيقوديموس » فى ملكوت الله ، الذى هو ملكوت المسيا . وقد وردت هذه المحاورة فى انجيل برنابا على هذا النحو :

تمهيد : لما كان عيسى ذات يوم فى هيكل سليمان دنا منه أحد فرقة الكتبة ، وهو أحد الذين يخطبون فى الشعب وأحد المعلمين الكبار على حد شهادة عيسى عنه « معلم اسرائيل » [يو ٣ : ١٠] واسمه نيقود يموس [بر ١٩٢ : ٧] وقال له يا معلم لقد خطبت فى هذا الشعب مرارا عديدة ، وفى خاطرى آية من الكتاب أشكل على فهمها ، ونطق بالآية فازال عنه اشكالها ثم خاطبه عيسى قائلا :

النص : « قل لى أيها الأخ وأنت الفقيه المتضلع من الشريعة : بأى ضرب موعد مسيا لأبينا ابراهيم ؟ أباسحق أم باسماعيل ؟ أجاب الكاتب : يامعلم أخشى أن أخبرك عن هذا بسبب عقاب الموت حينئذ قال يسوع : انى آسف أيها الأخ أنى أتيت لآكل خبزا فى بيتك لأنك تحب هذه الحياة الحاضرة أكثر من الله خالقك ، ولهذا السبب تخشى أن تخسر حياتك ، ولكن لاتخشى أن تخسر الايمان والحياة الأبدية التى تضيع متى تكلم اللسان عكس مايعرف القلب من شريعة الله . حينئذ بكى الكاتب الصالح وقال : يامعلم لو عرفت كيف أثمر لكنت قد بشرت مرارا كثيرة بما أعرضت عن ذكره لئلا يحصل شغب فى الشعب . أجاب يسوع : يجب عليك أن لاتحترم الشعب ولا العالم كله ولا الأطهار كلهم ، ولا الملائكة كلهم اذا أغضبوا الله ، فخير أن يهلك العالم كله من أن تغضب الله خالقك ، ولاتحفظه فى الخطيئة ، لأن الخطيئة تهلك ولا تحفظ ، أما الله فقدير على خلق عوالم عدد رمال البحر بل أكثر . حينئذ قال الكاتب : عفوا يامعلم لأنى قد أخطأت قال يسوع : الله يغفر لك لأنك اليه قد أخطأت . فقال من ثم الكاتب : لقد رأيت كتيبا قديما مكتوبا بيد موسى ويشوع (الذى أوقف الشمس كما قد فعلت) خادمى ونبيى الله . وهو كتاب موسى الحقيقى . ففيه مكتوب أن اسماعيل هو أب لمسيا ، واسحق أب لرسول مسيا . وفى هذا الكتاب ان موسى قال : أيها الرب اله اسرائيل القدير الرحيم ، اظهر لعبدك فى سناء

مجدك فأراه الله من ثم رسوله على ذراعى اسماعيل ، واسماعيل على ذراعى ابراهيم ، ووقف على مقربة من اسماعيل اسحق ، وكان على ذراعيه طفل يشير بأصبعه الى رسول الله قائلا : هذا هو الذى لأجله خلق الله كل شىء فصرخ من ثم موسى بفرح : يا اسماعيل ان فى ذراعيك العالم كله والجنة . اذكرنى أنا عبد الله لأجد نعمة فى نظر الله بسبب ابنك الذى لأجله صنع الله كل شىء .

لا يوجد فى ذلك الكتاب أن الله يأكل لحم المواشى أو الغنم ، لايوجد فى ذلك الكتاب أن الله قد حصر رحمته فى اسرائيل فقط ، بل ان الله يرحم كل انسان يطلب الله خالقه بالحق . لم أتمكن من قراءة هذا الكتاب كله ، لأن رئيس الكهنة الذى كنت فى مكتبته نهانى قائلا : ان اسماعيليا قد كتبه . فقال حينئذ يسوع : انظر أن لاتعود أبدا فتحجز الحق لأنه بالايمان بمسيا سيعطى الله الخلاص للبشر ولن يخلص أحد بدونه » [بر ١٩٠ / ١٩١ / ١٩٢ : ١ ــ ٥]

الفصل الثالث عشر

فى

المسِيَّا فى نظر السَّامِريِّين والعِبرانيِّين

بعد ما وضحنا فى الفصول السابقة من هذا الكتاب ، وفى كتاب «البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل » أن « المسيا » هو محمد نبى الاسلام ﷺ على عادة اليهود فى النطق والتعبير . فان « العبرة بالمقاصد والمعانى ، لا بالألفاظ والمبانى (١) » كما يقول علماء الأصول . بعدما وضحنا هذا نذكر فى هذا الفصل ، طرفا مما كتبه اليهود عن المسيا فى كتبهم ، ليتبين للناس منه ، اعتقادهم فى المسيا وكيفية مجيئه .

المسيا فى نظر اليهود السامريين

فى كتاب التاريخ مما تقدم عن الآباء ينقل المؤلف ـ وهو يهودى سامرى ـ عن السلف من اليهود السامريين ، أنهم كانوا على علم بمجىء محمد ﷺ من قبل مجيئه . وقد صورنا اعترافه هذا فى كتاب البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل .

واعترافه هذا عن السلف كتبه بخط عبرانى سامرى قديم . ومع هذا فالسامريون اليوم الذين لايعلمون الكتاب الا أمانى يقول عنهم « عزرا حداد » فى تعليقاته على كتاب « رحلة بنيامين » مانصه : « والسامريون مثل سائر اليهود يؤمنون بيوم القيامة ، وبوجود الملائكة ، وظهور المسيح فى آخر الأيام . لكنهم يزعمون أنه سيكون من آل يوسف ، على حين يعتقد اليهود أنه من آل داوود .

---

(١) خلاصة الترجيح للدين الصحيح ـ الطيبى الدمشقى

مفتوحا وخرج منه كلب فلما رآوه جاؤا وراءه الى الباب وما علم
بهم وركبوا وبقى القتل فى المدينة واقاموا يوما كاملا يقتلوا فى
السوق السفلانى قبل يعلم الفوقانى لانها كانت مبنية مدينة فوق
مدينة ومن قدر يهرب فى البحر ومن استسلم لهم سلم وانفتحت
المدينة وسكنوا فيها فلما فتحوها حلّت هيبتهم على سائر الاماكن
هولاء بنى اسمعيل احاطوا كل الاماكن ورتب الجزية اربعة دراهم ومخلاة
شعير من سوى خراج الارض ومحمد ما اساء الى احد من اصحاب
الشرائع وسمعت من لفظ الحكيم وهو نقل عن كاتبه المنقول منه
العلامة فاضل الوجود الشيخ نفيس الدين ابى الفرج بن كثار ان
جاء فى نقل السلف عن محمد وهو [illegible]
[illegible]
واقام محمد فى المملكة عشر سنين وكل العالم طائعين له ومنه
انتقلت مملكته الى اقاربه بنى امية على ما اوصاهم لهم يزيدوا ولا
ينقصوا ولا اسوأ الى احد قط وقام منهم تسعة عشر ملكا اولهم
محمد عاش ثلاثة وستين سنة ثلاثة واربعين سنة لم يتعرض الى
شىء وعشر سنين الحروب وعشر سنين نبى وملك ومنذ ملكه
الاسلام الى مروان الاخر من بنى امية مائة وواحدة وثلثون سنة

1. مفتوحا cod. مفتوح — 3. السوق cod. الشوق —
7. الارض Finis narrationis e codice C. petitae. — 12. Ab
hinc sequitur primum hujus chronici additamentum, quod
in codicibus A. C. legitur. — 14. ملكا codd. ملك.

صورة من صفحة كتاب « التاريخ ومما تقدم عن الآباء » يتبين
منها أن محمدا ﷺ مذكور فى كتب اليهود السامريين .

وباعتقاد السامرية : أن هذا المسيح المنتظر ، سيموت عندما يبلغ العشرين بعد المائة من عمره ، وبعد دفنه تقوم القيامة ويحل يوم الدين (١) »

المسيا فى نظر اليهود العبرانيين

أولا : المسيا فى التلمود

١ ـ فى التلمود (٢) فى سفر فصاحيم ٥٤ ا ص ٢٦٥ فى مشنا خارجى (باريتا) فى هذا المشنا يعلن خلق سبعة أشياء قبل خلق العالم : ١ ـ التوراة (٣) ٢ ـ والتوبة ٣ ـ وجنة عدن ٤ ـ وجهنم ٥ ـ وعرش المجد ٦ ـ والهيكل ٧ ـ واسم المسيا . والسند الوارد فى هذا السفر يرجع الى المزمور الثانى والسبعين ١٧ « يكون اسمه الى الدهر . قدام الشمس يمتد اسمه ، ويتباركون به . كل أمم الأرض يطوبونه »

٢ ـ فى التلمود ، فى سنهدرين ٩٤ ا ص ٦٣٣ الربانى يوحنان بن زكاى يوصى تلميذه وهو على فراش الموت باعداد عرش لحزقيا ابن داود ، الذى أصبح على وشك المجىء (٤) .

---

(١) ص ١٨٩ ـ ١٩ رحلة بنيامين ـ طبعة بغداد ١٩٢٥ م

(٢) التلمود طبعة سونسيو سنة ١٩٦١ م

(٣) لاحظ أن فكر اليهود عن خلق التوراة قبل العالم قد دخل فى الاسلام ، وفكر اليهود عن خلق المسيا قبل العالم قد دخل فى الاسلام .

(٤) جاء فى كتاب « الكنز المرصود فى قواعد التلمود » ص ٢٩ ومابعدها مانصه : « أخذ الربيون والحاخامات تعاليمهم ومبادئهم عن الفريسيين ، الذين كانوا متسلطين على الشعب أيام المسيح (وكانوا) يحضونه على اتباع ظواهر شريعة موسى ، ويحفظون لأنفسهم تفسير =

٣ ـ فى التلمود فى الفصل الحادى عشر من سفر سنهدرين ٩٠ ا ص ٦٠١ ـ ٦٠٢ المشنا التالى نصه : « كل إسرائيل لها نصيب فى العالم الآتى . أما هؤلاء فلا نصيب لهم فيه : من يزعم أن القيامة [البعث] ليست عقيدةتوراتية ، وان التوراةليستمنزلة بالوحىالالهى ،والأبيقورى. وأضاف الربى عقيبا : ومن يقرأ الكتب المحرفة » ونص هذا المشنا وهو « كل اسرائيل لها نصيب فى العالم الآتى» اذا كان المراد بالعالم الآتى هو عصر المسيا ، لا يوم القيامة . فان المراد بكل اسرائيل لها نصيب فى العالم الآتى هو أن عصر المسيا ، موقوف على بنى اسرائيل فى زعمهم . وفى هذا الفصل يتناقش الربانيون حول عبارات وردت فى سفر دانيال . ثم

التقليدات المتصلة اليهم . وبعد المسيح بمائة وخمسين سنة ، خاف أحد الحاخامات المسمى « يوضاس » أن تلعب أيدى الضياع بهذه التعاليم ، فجمعها فى كتاب سماه « المشنا » وكلمة « مشنا » معناها : الشريعة المعتادة أو الشريعة المكررة . لأن شريعة موسى المرصودة فى الخمسة كتب التى كتبها ، مكررة فى هذا الكتاب . أما الغرض من المشنا : فهـــو ايضاح وتفسير ما التبس فى شريعة موسى ، وتكملة تلك الشريعة على حسب مايدعون . وقد زيد فى القرون التالية على كتاب المشنا الأصلى ، شروحات أخرى ، صار تاليفهــا فى مدارس فلسـطين وبابل . ثم علق علماء اليهود على المشنا حواشى كثيرة ، وشروحات مسهبة ، دعوها باسم « غامارة » فالمشنا المشروحة على هذه الصورة مع الغامـــارة ، كونت التلمود ؛ فكلمة التلمود معناها كتاب تعليم ديانة وآداب اليهود . وهذه الشروحات مأخوذة عن مصدرين أصليين : أحدهما : المسمى بتلمود أورشليم وهو الذى كان موجودا فى فلسطين سنة ٢٣٠ ـ وثانيهما : تلمود بابل ـ وهو الذى كان موجودا فيها سنة ٥٠٠ بعد المسيح ـ ولا يحتوى على أقل من أربع عشرة ملزمة . وهو تارة يكون بمفرده ، وأخرى مضافا مـــع المشنا . وتلمود بابل هو المتداول بين اليهود . والمراد عند الاطلاق » ١.هـ

والغرض من هـذا : أن التلمود الذى مكتوب فيــه أن المسيا على وشك المجىء ، هو مدون قبل محمد نبى الاسلام ﷺ بقليل . فانه مولود فى سنة ٥٧٠ بعد المسيح ، والتلمود سنة ٥٠٠ بعد المسيح .

يأتى القول فى مواصفات المسيا المنتظر بأنه يشتم الرجل ، ويصدر حكمه . لكى نعرف أن « باركوزيبا » ـ ابن الكوكب ـ قضى فى الحكم عامين ونصف العام ، قبل أن يعلن للربانيين : انه هو المسيا . لكنه سقط فى الامتحان وتبين زيفه وأقدموا على قتله [٩٣ ب ـ ص ٦٢٧ سنهدرين]

٤ ـ **دورة السنوات السبع** [أى سبعة آلاف سنة]

ينسب هذا القول الى « **التنائيم** » ومفاده : **أن مجىء المنتظر من نسل داوود ، سوف يحدث عند نهاية السنوات السبع** (١) . وفى السنة الأولى يتحقق قول عاموس ٤:٧ « وأمطرت على مدينة واحدة ، وعلى مدينة أخرى لم أمطر » وفى الثانية تنطلق سهام الجوع ، وفى الثالثة تحل المجاعة . وفى الرابعة يموت النساء والرجال والأطفال والأتقياء والقديسون ، كما تنسى التوراة لدى طلابها ، ثم تعود البحبوحة الجزئية . وفى الخامسة : تعود البحبوحة الكلية . ويأكل الناس ويشربون ويمرحون ، وتعود **التوراة الى طلابها** . وفى **السادسة تسمع أصوات** (سماوية) ـ ربما كانت هذه الأصوات لاعلان مجىء المسيا ، أو هى أشبه بنفخ البوق ـ لكى تذر الحروب قرنها فى السابعة . وفى السابعة يأتى القائم **من نسل داوود عند نهاية السنة السابعة وفى خاتمة الدورة** .

لكن الربى يوسف يقول : « وها قد مرت سابوعات عديدة ، ولم يأت بعد » [سنهدرين ٩٧ ا ص ٦٥٤] وتمضى المناقشات والتخريجات على هذا المنوال .

ولقد قدم ربى آخر مواصفات مغايرة للجيل الذى سيأتى فيه

---

(١) أخذ هذه النظرية « موزس هس » فى حديثه عن « سبت التاريخ » والمعنى ان مدة الدنيا عندهم سبعة آلاف سنة وعيسى كان فى الألف الخامس .

المسيا المنتظر : وهو الربى « رافا » جاء فى سفر « مجيللا » ١٧ ب عن بداية الخلاص مايلى :

ما الذى حدا برجالات المجمع الأكبر على عهد « عزرا » الى ادخال موضوع الخلاص فى البركة السابعة ، من صلاة « شمونى أزره » ؟ أجاب رافا : « لأنه من المقدر للشعب اليهودى أن يخلص فى الألف السابع »

ولقد ورد على وجه التأكيد مايأتى : « فى الألف السادس رعود ، وفى السابع حروب ، وعند ختام السابع يأتى المسيا بن داوود ٠ الحرب اذن هى بداية الخلاص »

ولقد ذكر بعض الربانيين أوصافا أخرى للجيل الذى سوف يشهد مجىء المسيا ابن داود ٠ ومن هذه الأوصاف : والشبان يشتمون الشيوخ ، والشيوخ يقدمون الطاعة للشباب ، والبنات يثرن على أمهاتهن ٠ ويقول الربى « اسحق » : **« ان المنتظر لن يأتى الا بعد لن يعتنق العالم بأسره عقيدة الهراطقة »**

وخلاصة القول عندهم مما **قدمنا : هو ان العصر** المسيائى **لن يبدأ** الا عند نهاية الألف السابع ومجىء سبت التاريخ ٠

٥ ـ التوبة شرط لمجىء المسيا :

وبعدما يقول الربانيون والأحبار ان خلاص اسرائيل مرهـــون بالتوبة لأن آيات كثيرة فى التوراة تشهد بذلك ، يتساءلون عن علامات الخلاص ٠ فالربى « أبا » يعتبر كثرة الثمار فى بنى اسرائيل علامة على مجىء المسيا ، استنادا على الآية الثانية من الأصحاح السادس والثلاثين من سفر حزقيال ٠ وهى : « أما أنتم ياجبال اسرائيل ، فانكم

تنبتون فروعكم ، وتثمرون ، لشعبى اسرائيل ٠ لأنه قريب الاتيان » وفي شرح « راشى » : ان اشتداد الخصوبة فى فلسطين علامـة على اقتراب مجىء المسيا ، ولا يمكن وجود علامة أشد منها وضوحا [سنهدرين ص ٦٦١] ويقول الربى « حاما بن حنانيا » : « ان ابن داود ـ المسيا ـ لن اتى حتى يزول تسلط أصغر الممالك على اسرائيل » والربى «عولا» يجعل البر شرطا لخلاص اسرائيل ، ويقول : « دعوه يأتى ٠ أو حتى تخلو اسرائيل من المغرورين ، ويذهب منها كل القضاة والرؤساء ، فلا أريـد أن أراه » والسبب وراء عدم رغبته فى رؤية المسيا هو : آلام المخـاض التى تسبق مجيئه ٠

ويقول الربى « جيدال » : « ان اليهود مقدر لهم الأكل ، حتى التخمة فى أيام المسيا » ويقول الربى « هلليل » : « لن يكون هناك مسيا لبنى اسرائيل ٠ لأنه سبق لهم أن تنعموا به على عهد حزقيال » [٩٨ ب ـ ص ٦٦٧]

وتتراوح مدة العصر المسيائى بين أربعين سنة ، وسبعين سـنة لدى بعض الربانيين ٠ أو بين ٣٦٥ و ٤٠٠ سـنة لدى غيرهـم ٠ ومن الطريف : أن كل ربانى منهم يعثر على القول التوراتى الذى يسند اليه تقديراته ٠ ويؤكد الربى « بن مارى » على أن الواحد القدوس تبارك اسمه ، سوف يمنح لكل رجل ما مجموعه ٣١٠ من العوالم ٠ عملا بمـا جاء فى أمثال ٨ : ٢١ وعلى أساس حساب الجمل فى كلمة يش : ى = ١٠ + ش = ٣٠٠ = ٣١٠ [سنهدرين ١٠٠ ا ص ٦٧٩] كما تصـل المدة المذكورة الى سبعة آلاف سنة ٠

٦ ـ الأسباط العشرة [أسباط السامريين] والمسيا :

فى سفر سنهدرين ١١٠ ب ص ٧٥٩ يقول اليهود العبرانيون ـ استنادا على قول التنائيم ـ : ان السامريين لن يعودوا الى فلسطين ٠

وذلك لما جاء فى سفر التثنية ٢٩ : ٢٨ ونصه : « واستأصلهم الرب من أرضهم بغضب وسخط وغيظ عظيم وألقاهم الى أرض أخرى • كما فى هذا اليوم » وأما الربى « اليعازر » فيؤكد على طلوع الفجر ليمحو الظلمة عن ليل الأسباط ، ويؤهلهم لدخول العالم المسيائى •

٧ ـ تجميع المنفيين :

يسمى اليهود أرض أورشليم « القدس » بالقدس الأرضية ، فى مقابل القدس السماوية التى يفسرونها بأنها مكان عرش الله فى السموات العلى • ويقولون : ان الله لن يدخل السموات ولن يجلس على عرشه فيها الا اذا ظهر المسيا فى أورشليم ، والتف حوله جميع اليهود الذين كانوا مشتتين فى أنحاء العالم • ففى سفر تعانيت ٥ ا ص ١٦ يفسر الربى « يوحانان » عبارة هوشع ١١ : ٩ بقوله : « ان الواحد القدوس تبارك اسمه ، قال : لن أدخل القدس السماوية ، حتى يتسنى لى دخول القدس الأرضية » وحين سأل : هل يوجد شىء اسمه القدس السماوية ؟ أجاب مستشهدا بالمزمور ١٢٢ : ٣

٨ ـ فلسطين فى ظل المسيا :

يقول الربى « يهوذا » : لن يذهب بنو اسرائيل كتلة واحدة الى فلسطين ، لاستيطانها بالقوة فى زمان المسيا • وان الواحد القدوس يستحلف اسرائيل بأن لا تثور ضد أمم العالم ، وبأن لاتعصى الأمم • مثلما استحلف عبدة الأصنام [غير اليهود] بأن لا يتمادوا فى اضطهاد اليهود واستعبادهم [كتبوث ١١١ ا ص ٧١٣] وقد استند فى هذا الى ارمياء ٢٧ : ٢٢ ونشيد الانشاد ٢ : ٧

ومعنى هذا : أن الربانيين والأحبار فى التلمود لا يجمعون على رأى واحد ، حول كيفية الاستعداد لمجىء المسيا • فهو تارة يأتى متى يشاء ، وطورا تسبقه الحروب والكوارث التى ترافق آلام المخاض وطلقات

الولادة . ولما استند أحد الربانيين على هذا النص : « هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل عن الآنية الباقية فى بيت الرب وبيت ملك يهوذا وفى أورشليم : يؤتى بها الى بابل وتكون هناك الى يوم افتقادى اياها . يقول الرب : **فأصعدها وأردها الى هذا الموضع** » [ارمياء ٢٧ : ٢١ ـ ٢٢] كما استند على هذا النص فى رجوع اليهود الى أورشليم من سبى بابل . قال له الربى يهوذا : لن يرجع اليهود كتلة واحدة زمن ظهور المسيا ، كما أنهم لم يرجعوا كتلة واحدة من سبى بابل . واستند الربى يهوذا على عبارة نشيد الانشاد وهى : « أحلفكن يابنات أورشليم بالظباء وبايائل الحقول ، ألا تيقظن ولاتنبهن الحبيب ، حتى يشاء » [نش ٢ : ٧]

٩ ـ المسيا من بنى اسماعيل عليه السلام :

هناك اشارات عديدة الى أرض كنعان والكنعانيين والى أبناء اسماعيل فى أسفار التلمود ، وشروحات الربانيين وتعليقاتهم . ففى مجموعة الشروح والتفاسير ، المنسوبة الى الربى « شيمون » (١) والمعروفة تحت اسم « يالقوط شيمونى » ترد أقوال كثيرة ، يعتبرها اليهود بأنها تحمل معنى رمزيا أو تأويليا ، بدلا من معناها الحرفى . ومن الأقوال التى ينقلها الحاخام الاسرائيلى « يوسف زهابى » فى كتابه عن « أرض اسرائيل فى الأقوال المأثورة عن الربانيين » نذكر هنا ما يلى :

« حروب الخلاص فى الأيام المتأخرة :

من المقدر لأبناء اسماعيل أن يشنوا ثلاث حروب تشويشية فى الأيام المتأخرة ، حربا فى البحر ، وأخرى فى البر ، وثالثة ضد روما .

---

(١) فرانكفورت / **المانيا**

ومنها سوف يأتى الى أرض اسرائيل . كما قيل : « من ذا الآتى من آدوم »
[أشعياء ٦٣ : ١]

وما نقله الحاخام « يوسف زهابى » عن التلمود : هو الذى أظهره الواقع فى حقيقة المسيا . والواقع هو الذى يحسم النزاع فى الأقـــوال المتضاربة . وقد أظهر الواقع : أن المسيا لم يكن من نسل داوود ، بل كان من نسل اسماعيل تحقيقا لوعد الله تعالى لابراهيم عليه السلام فى أن الأمم ستتبارك فى اسماعيل . هذا الوعد المذكور فى الآية العشرين من الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين ونصه : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره ، وأكثره كثيرا جدا ، اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة » وقد أظهر الواقع : أن محمدا رسول الله ﷺ هو الذى شن الحرب ضد « روما » وخلص اليهود والنصارى منهم . وقد أظهر الواقع : أن المسيا خرج من أرض بنى اسـماعيل فى مكة ، وأتى الى أرض اسرائيل فى القدس . **والنص الذى استشهد به الربانيون والأحبار عن مجىء المسيا من أرض العرب ، يدل على أن المسيا سيحارب أعداءه وينتصر عليهم . ويدل على أن شعبا واحدا سيكون مع المسيا من سائر الشعوب وقت ظهوره ، للمحاربة معه ، وهم قومه العرب أبنـاء اسماعيل عليه السلام . ويدل على أن المسيا سيخرج فى سنة الفداء ، وهى السنة التى يخلص الله فيها العالم على يده من الكفر والظلم .. وهذا هو النص : « من ذا الآتى من أدوم بثياب حمر ؟ من بصرة ..** هذا البهى بملابسه ، المتعظم بكثرة قوتـه . **أنـا المتكلم بالبر العظيم للخلاص** . ما بال لباسك محمر ، وثيابك كدائس المعصرة . قد دسـت المعصرة وحدى . **ومن الشعوب لم يكن معى أحد** . فدســتهم بغضبى ووطئتهم بغيظى . فرش عصيرهم على ثيابى ، فلطخت كل ملابسى . لأن يوم النقمة فى قلبى ، **وسنة مفديى قـد أتت** . فنظرت ولـم يكن

معين . وتحيرت اذ لم يكن عاضد . فخلصت لى ذراعى وغيظى عضدنى . فدست شعوبا بغضبى وأسكرتهم بغيظى ، وأجريت على الأرض عصيرهم . احسانات الرب أذكر » [اش ٦٣ : ١ - ٧]

ثانيا : المسيا فى كتب زعماء اليهود المعاصريين (١)

١ - « موزس هس » يربط بين خلاص بنى اسرائيل ، والرسالة التى سوف يؤدونها للعالم ، ضمن اطار نظرة عضوية الى تاريخ الانسانية ، ويجعل مصير الخليقة وتحقيق مبتغاها ، رهنا بمجىء المسيا ، وقيام مملكته فى العالم . لذا نجده يستشهد بقول واحد من كبار الأمورائيم ، وهو الربى « يوحانان » فى سفر سنهدرين ٩٨ ا بأن « الخلق لن يحقق غايته الا عند مجىء المسيا واقامة المملكة المسيائية »

٢ - « بن جوريون » يقول : « ان ما ضمن بقاء الشعب اليهودى على مر الأجيال وأدى الى خلق الدولة ، هو تلك الرؤية المسيائية لدى أنبياء اسرائيل . رؤيا خلاص الشعب اليهودي والانسانية جمعاء . ان دولة اسرائيل هى أداة لتحقيق هذه الرؤية المسيائية »

٣ - « هرتزل » يقول : « ان المسئولية التى ألقيها على عاتق اليهود ، هى تقصيرهم على الصعيد القومى فى تحقيق الكرامة القومية واحترام ذواتهم . وهذا التقصير من جانب اليهود فى توجيه الاهتمام الكافي الى حريتهم القومية والى استقلالهم ووحدتهم يرجع الى عقيدة انتظار المسيا لديهم »

٤ - « هرتزل » يقول : « ظهر لى المسيا الملك - فى حلم الليل -

---

(١) من كتاب التلمود والصهيونية - الدكتور أسعد رزوق - طبعة منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث سنة ١٩٧٠ م

على صورة شيخ مسن ، فى عظمته وجلاله ، وطوقنى بذراعيه ، وحملنى بعيدا علي أجنحة الريح ، وإلتقينا على واحدة من تلك الغيوم القزحية بصورة « موسى » وكانت ملامحه هى تلك الملامح التى عرفتها فى حداثتى لدى تمثال « ميكال انجلو » والتفت « المسيا » الى « موسى » مخاطبا اياه بقوله : من أجل هذا الصبى كنت أصلى . لكنه خاطبنى قائلا : اذهب واعلن لليهود بانى سوف آتى عما قريب ، لأجترح المعجزات العظيمة ، وأسدى عظائم الأعمال لشعبى وللعالم أجمع »

ثالثا : الرد على اليهود فى دعاويهم عن أرض الميعاد

ذلك هو مما عند اليهود فى المسيا المنتظر . فهل لزعمائهم الحق فى أن يصرحوا بأن دولة اسرائيل الآن قد أقيمت لياتى المسيا ويقيم مملكته فيها ؟ ان اليهود تجمعوا على هذا الادعاء من أنحاء العالم ، وأتوا الى أرض فلسطين وقتلوا الآمنين من أهلها ظلما . وأسسوا دولة اسرائيل فى سنة ١٩٤٨ م وادعوا وهم يقتلون الآمنين من أهل فلسطين ظلما : أن فلسطين أرض آبائهم وأجدادهم ، وأن أرض فلسطين قد أعطاها الله تعالى لليهود بوعد كان بينه وبين ابراهيم عليه السلام . وأن الله فضلهم على العالمين فليسكنوا فى أى مكان يريدونه ، وليذلوا أى انسان يريدون أن يذلوه من غير بنى اسرائيل ، لأن الله اختارهم شعبا له من دون الناس . تلك دعواهم . ودعواهم باطلة لما يلى :

أولا : بالنسبة للمسيا . نقول لهؤلاء الزعماء : بينوا لنا نصوص نبوءات التوراة عن المسيا ، واذا بينوها ، سوف يظهر منها أن المسيا قد ظهر وهو نبى الاسلام ﷺ . لأن نصوص التوراة التى دلت على ظهور نبى مماثل لموسى ، دلت على بركة لآل اسماعيل .

ثانيا : بالنسبة لوعد الله اياهم بأرض فلسطين . نقول لهؤلاء

الزعماء : بينوا لنا نصوص التوراة فى الوعد ، لنقرأها معا ، ونناقشها معا . والزعماء يقولون : ان نص الوعد هو فى قول الله تعالى لابراهيم : « لنسلك أعطى هذه الأرض ، من نهر مصر ، الى النهر الكبير ، نهر الفرات القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين » [تكوين ١٥ : ١٨ ــ ٢١]

ونرد عليهم : لماذا وعد الله ابراهيم بأن يعطى هــذه الأرض لنسله ؟ لأن ابراهيم عليه السلام كان رجلا صالحا يدعو الى عبادة الله . وقد الزمه الله قبل أن يعده بالأرض بقوله : « أنا الله القدير . سر أمامى وكن كاملا » أى امش فى الدعوة الى الله وكن قدوة للناس فى الصلاح والبر . فاذا التزمت بهذا « أجعل عهــدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جــدا » فــاذن العهد بين الله وبين ابراهيم مشروط بأن يلتزم ابراهيم بالدعوة الى الله وبأن يكون قدوة . ونسله على هذا الشرط يكونون . فمن كان منهـــم ظالما لا يدعو الى الله ولايكون أمة يقتدى الناس به ، فانه يخرج من هذا الوعد . ففى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين : « ولما كان أبــــرام ابن تسع وتسعين سنة ، ظهر الرب لأبرام . وقال له : أنا الله القدير . سر أمامى وكن كاملا . فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جدا . فسقط أبرام على وجهه . وتكلم الله معه قائلا : أما أنا فهو ذا عهــدى معك ، وتكون أبا لجمهور من الأمم ، فلا يدعى اسمك بعد ابرام ، بل يكون اسمك ابراهيم . لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم وأثمرك كثيرا جدا وأجعلك أمما وملوك منك يخرجون وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهدا أبديا . لأكون الهالك ولنسلك من بعدك وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا . وأكون الههم » [تك ١٧ : ١ ــ]

هذا هو النص بتمامه . وفى أوله يقول الله لابراهيم : « سر أمامى وكن كاملا » فما معنى « سر أمامى » ؟ هل يمشى ابراهيم قدام الله على

الأرض ، ويسير الله مثل رجل وراءه على الأرض ؟ ليس هذا هو المراد فان التوراة تصرح بأن الله لايرى ولايقدر أحد أن يراه ، وتصرح بأن الله ليس كمثله شيء . اذن **فما معنى « سر أمامى » ؟ معناه : أن يدعو ابراهيم الناس الى معرفة الله والى العمل بشريعته** . واذا التزم ابراهيم بهذا ، فالله يعطيه الأرض . واذا التزم بنوه بهذا ، **فالله يعطيهم** الأرض . واليهود لم يلتزموا . فانهم حرفوا التوراة ، وامتنعوا من سبى بابل عن دعوة الأمم .

هذا عن الشرط والجزاء . وأما عن نسل ابراهيم . فان ابراهيم كان له ١ ـ اسماعيل ٢ ـ واسحق ٣ ـ وأولاد من « قطورة » زوجته . والتوراة تنص على أن بركة الله فى ابراهيم بارث الأرض للملك والدعوة الى الله ، هى فى اسماعيل واسحق دون أولاد قطورة . ففى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين وهو الأصحاح الذى يتحدث عن الشرط والجزاء . الأصحاح الذى فيه « **سر أمامى وكن كاملا** » يقسم الله بركة ابراهيم فى اسحق واسماعيل . فيقول عن سارة : « وقال الله لابراهيم : ساراى امرأتك لا تدعوا اسمها ساراى ، بل اسمها سارة . وأباركها وإعطيك أيضا منها ابنا . **أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون** » ويقول عن اسماعيل : لما قال ابراهيم لله : « **ليت اسماعيل يعيش أمامك**» قال الله تعالى : « **واما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها انا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا** » .

ومن هذه النصوص يتبين :

١ ـ **أن الله قال لابراهيم : « سر أمامى وكن كاملا »** أى امش فى الدعوة الى الدين .

٢ ـ وأن نسل اسحق مبارك من الله ، أى مكلف بالدعوة الى الدين وقد بارك الله فيه بقوله عن سارة أم أسحق : « أباركها »

٣ ـ وابراهيم لما علم بأن اسحق قد يورك فيه ، طلب من الله أن يسهم

اسماعيل أمامه فى الدعوة الى دينه بقوله لله « **ليت اسماعيل يعيش أمامك** » وفى بعض التراجم « **يحيا فى طاعتك** » أى يسير أمامك مثلى فى الدعوة الى الدين • **وقد رد الله على ابراهيم بقوله : قد قبلت دعاءك فى اسماعيل وباركته** •

وقد ورث بركة اسحق ابنه يعقوب المسمى باسرائيل • واصطفى الله من يعقوب نبيه موسى عليه السلام فاعطاه الله التوراة • وأمره أن يدعو الناس الى معرفة الله والعمل بالتوراة • أى يسير بنو اسرائيل أمام الله بشريعة موسى • وقد مكنهم الله من الأرض ليسيروا فيها بشريعة موسى فأغرق آل فرعون ، وساعدهم أيام طالوت وداود - عليهما السلام - فى دخول أرض فلسطين • الأرض المقدسة التى بارك الله فيها للعالمين • وبذلك تحقق وعد الله لابراهيم فى اسحق ، بأن يرثوا الأرض •

ولأن لاسماعيل بركة • **أى سيسير فى الأرض أمام الله ويعيش فى** طاعته مثل أبيه ابراهيم ، ومثل أخيه اسحق فى الدعوة الى الدين • اصطفى الله من نسله نبيه محمدا ﷺ فاعطاه الله القرآن وأمره أن يدعو الناس الى معرفة الله والعمل بالقرآن • **أى يسير بنو اسماعيل أمام** الله بشريعة محمد • وقد مكنهم الله من الأرض ، ليسيروا فيها بشريعة محمد • فاهلك كفار مكة ويهود يثرب ، وساعدهم أيام أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - فى دخول أرض فلسطين • الأرض المقدسة التي بارك الله فيها للعالمين • وبذلك تحقق وعد الله لابراهيم فى اسماعيل ، بأن يرثوا الأرض •

وعن هذا المعنى قال الله لابراهيم عن اسحق واسماعيل : « **لأنه باسحق يدعى لك نسل ، وابن الجارية أيضا ساجعله أمة لأنه نسلك** ». [تك ٢١ : ١٢ - ١٣] قال هذا لابراهيم لما « رأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لابراهيم يمزح • فقالت لابراهيم : إطرد هذه الجارية وابنها • **لأن ابن هذه الجارية لايرث مع ابنى سحق** • فقبح الكلام فى

عينى ابراهيم لسبب ابنه . فقال الله لابراهيم : لايقبح فى عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك . فى كل ماتقول لك سارة اسمع لقولها . لأنه باسحق يدعى لك نسل . وابن الجارية ايضا ساجعله امة لأنه نسلك »

ان سارة أم اسحق تعلم أن الله وعد ابراهيم بارث الأرض . وذلك ليسير أبناؤه فيها أمام الله فى الدعوة الى الدين . ولما طمعت فى أن يكون ابنها وحده هو الوارث . ماذا قال الله فى طمعها ؟ انه لم يجبها الى ما طمعت فيه وجعل ارث الأرض فى اسماعيل واسحق .

فيازعماء اليهود . ماتقولون بعد هذا وهذه نصوص كتبكم شاهدة عليكم ؟ لقد بدأت البركة فى اسماعيل من أيام محمد ﷺ وانتهى دور بنى اسرائيل . فلماذا تتمسكون بارث الأرض والدعوة قد انتقلت الى غيركم ؟ ان الله لما وعد ابراهيم بارث الأرض وعده بارثها ، للدعوة فيها الى دينه . فهل أنتم الآن تدعون الى الدين ؟ أنتم جعلتم الشريعة قصرا على جنسكم ومنعتم الناس عن الدخول فيها من أيام سبى بابل سنة ٥٨٦ ق م . وقد وبخكم عيسى بن مريم عليه السلام على تقصيركم فى السير أمام الله لأنكم لم تسيروا كما سار ابراهيم . وذلك فى قوله : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس ، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون » [متى ٢٣ : ١٣]

وقد نبهكم عيسى عليه السلام ـ كما فى الأناجيل الأربعة ـ الى أن المسيا سيأتى من بعده ، وقال لكم بصريح العبارة : « ان ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل أثماره » [متى ٢١ : ٤٣]

ثالثا : بالنسبة للحق التاريخى (١) . يدعى زعماء اليهود بأن

---

(١) فى اليوم الرابع عشر من مايو سنة ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين بعد المسيح : قام « بن جوريون » باعلان قيام دولة اسرائيل =

فلسطين كانت وطنا قوميا لهـم من آلاف السنين ، وأنهـم خرجوا من فلسطين على يد العرب كرها . وأنهم الآن يعودون بالقوة ليجعلوها وطنا قوميا لهم . ونرد على اليهود فى هذه الدعوى بمثل ما رددنا به على دعواهم فى الوعد بارث الأرض . ونقول : حقا أنتم سكنتم فى فلسطين مدة من الزمان . لايجرؤ أحد أن ينكر هذا . فقد صرحت التـوراة وصرح القرآن فى سورة البقرة بما معناه : أن الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى طلبوا من نبى لهم ـ هو شموئيل ـ أن يقيم لهم ملكا يقـاتلون معه فى سبيل الله أى ليمكنوا لشريعة موسى بالحرب . فاقام لهم طالوت ملكا . وتوجهوا معه الى قتال جالوت رئيس جيش فلسطين . وتمكن داود عليه السلام من قتل جالوت ودخل بنو اسرائيل أرض فلسطين مع طالوت وداود عليهما السلام . وصرحت التوراة بذلك . وحكى الانجيـل أن عيسى عليه السلام بعث الى اليهود فى أرض فلسـطين وأنه كان يعظ ويبشر بالانجيل فى هيكل سليمان بأورشليم القدس . وأنه صرح بخراب أورشليم من بعده فى قوله : « ياأورشليم . ياأورشليم . ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها . كم مرة أردت أن أجمع أولادك ، كما تجمـع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . هو ذابيتكم يترك لكـم خرابا . لأنى أقول لكم : انكم لاترونني من الآن ، حتى تقولوا : مبارك الآتى باسم الرب » [متى ٢٣ : ٣٧ ـ ٣٩]

= فى فلسطين . وقال : « ان أرض اسرائيل هى المكان الذى نشأ فيه الشعب اليهودى . فهنا فى هذه الأرض ، شكل كيان هـذا الشـعب الروحى والدينى والقومى . وهنا حصلوا على استقلالهم وأقاموا حضارة ذات أهمية قومية وعالمية . وهنا خطوا كتابهم الدينى وقدموه للعالم وظـل الشعب اليهودى يعد نفسه مخلصا لهذه الأرض وهو مشتت فى المهجر » ا هـ ومارضى المسـلمون بهـذا ـ ولن يرضـوا ـ وأعلنوا الحـرب على اسرائيل .

لا يجرؤ أحد أن ينكر أن بنى اسرائيل قد دخلوا الأرض المقدسة ، وعاشوا فيها مدة من الزمان ، ولو قال لهم قائل : أنتم عشتم فيها أياما قليلة أحرارا ، وأياما كثيرة تحت نفوذ الأجانب من أهل بابل وفارس واليونان والرومان ، لقالوا : سكنى اليوم كسكنى السنة فى ثبوت الحق . ولو قال لهم قائل : لماذا أمركم الله بدخول الأرض المقدسة ؟ انه أمركم بدخولها لنشر التوراة فيها ولتسيروا فيها أمـــام الله ولتكونوا كاملين . ثم ان التوراة قد نسخت وبطلت أحكامها واختار الله بنى اسماعيل ليسيروا أمامه بالكمال على شريعة القرآن . لو أن قائلا قال هذا لهم ، لمـــا استطاع أحد منهم أن يجيب بكلمة .

ولهذا نجد علماء المسلمين يجادلون اليهود كثيرا فى اثبات نسخ التوراة . بقولهم : لو كانت التوراة شريعة الى الأبد ، ما نبه موسى على مجىء نبى مماثل له ، ناسخ لشريعته فى الأصحاح الثامن عشر من سـفر التثنية ويلزمونهم بامكان نسخها . لأن فى اثبات نسخها ، الزام لليهود بالدخول فى دين الاسلام . ومن يسلم منهم وجهه لله وهو محسن ، فان المسلم الذى دعاه الى دينه لا يأخذ منه أجرا ، ولايطلب منه شكرا . ويعيش معه فى أى أرض شاء . فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . واذا بقى اليهودى على دينه ولم يسلم . فانه يدفع الجزيـة للمسلمين . لئلا يترأس يهودى على مسلم . لقوله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورســوله . ولا يدينون دين الحق . من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » [التوبة ٢٩] واليهود فى فلسطين لا يريدون الدخول فى دين الاسلام ، ولا يسيرون الى الله وهم كاملون . ويريدون الرئاسة على المسلمين فى فلسطين . والمسلمون يريدون أن تكون فلسطين دولة اسلامية رئيسها مسلم ووزراؤها وجميع الحكام والمديرين ورؤساء الجيش والنيابة والقضاء فيها من المسلمين . ويريدون من اليهود أن

يكونوا مواطنين تحت أيديهم فى الأرض اذا لم يسلموا . أى أن المسلمين لا يريدون طرد اليهود من « فلسطين » حتى ولو لم يسلموا ، مادموا يدفعون الجزية ، بل يريدون أن لا يترأس يهودى على مسلم فى أرض فلسطين وفى سائر أنحاء العالم . لأن الله حكم فى القرآن على اليهودى والنصرانى بأن يدفع الجزية للمسلمين اذا لم يسلم . والمسلمون يريدون تنفيذ حكم الله .

رابعا : بالنسبة لقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه ، وقد اختار بنى اسرائيل من الشعوب لذكاء فطرى فيهم . ففى البروتوكول (١) الخامس عشر لحكماء صهيون : « وعقل الأممى لكونه ذا طبيعة بهيمية محضة ، غير قادر على تحليل أى شىء وملاحظته ، فضلا عن التكهن بما قد يؤدى اليه ، وهذا الاختلاف التام فى العقلية بيننا وبين الأمميين ، هو الذى يمكن أن يرينا بسهولة آية اختيارنا من عند الله ، وأننا ذو طبيعة فوق الطبيعة البشرية ، حين تقارن بالعقل الفطرى البهيمى عند الأمميين . انهم يعاينون الحقائق ، ولكن لايتنبأون بها ، وهم عاجزون عن ابتكار أى شىء »

ان اليهودى اذا سئل هذا السؤال : لماذا فضل الله بنى اسرائيل على العالمين ؟ لأجاب بقوله : لأن اليهودى قد خلقه الله من طينة ممتازة عن طينة بنى آدم . وهو يعلم أنه كاذب فى قوله هذا . لأن التوراة تنص على أن الله خلق آدم . وحواء من نفس واحدة وهم ليسوا بأفضل من العرب ، فانه . لما تشعبت الأرض الى أولاد نوح . كان ابراهيم من نسل ولده « سام » واسماعيل واسحق من ابراهيم من سام بن نوح . فالعرب واليهود من نسل واحد هو « سام » وفى التوراة : أن الله شتم اليهود ووصفهم بالغباء والبلادة وقلة الرأى . ففى سفر التثنية : يقول الله تعالى عن اليهود : « انهم جيل متقلب . أولاد

---

(١) بروتوكلات حكماء صهيون

أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم » [تث ٣٢ : ٢٨] ويقول الله تعالى عن اليهود : « ألرب تكافئون بهذا ؟ يا شعبا غبيا ، غير حكيم » [تث ٣٢ : ٦] فدعوى اليهود اذن باطلة .

وهم قد فضلوا على العالمين ، بسبب أنهم كانوا سائرين أمام الله وكان منهم الصالحون ومنهم دون ذلك . أيام بركة أسحق فى الأمم . ذلك لأن الله اختارهم على علم على العالمين ، وأعطاهم التوراة ليعملوا بها وينشروها بين الأمم الى أن يجىء محمد رسول الله ﷺ . وعند مجيئه ينتهى الاختيار وينتهى التفضيل . ويكون الاختيار والتفضيل لبنى اسماعيل - عليه السلام - من دون الناس ليعملوا بالقرآن وينشروه بين الأمم . ولذلك قال موسى لهم : « وجهوا قلوبكم الى جميع الكلمات التى أنا أشهد عليكم بها اليوم ، لكى توصوا بها أولادكم ، ليحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة . لأنها ليست أمرا باطلا عليكم ، بل هى حياتكم » [تث ٣٢ : ٤٦ - ٤٧] ومن العمل بكلمات التوراة : الايمان بنبى الاسلام اذا ماظهر كما هو منصوص عليه فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية . وعلى ذلك فاختيار بنى اسرائيل مؤقت الى أجل ، وتفضيل بنى اسرائيل مؤقت الى أجل هو مجىء نبى الاسلام ﷺ لقوله : « تكون كاملا لدى الرب الهك . ان هؤلاء الأمم الذين تخلفهم يسمعون للعائفين والعرافين . وأما أنت فلم يسمح لك الرب الهك هكذا . يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى له تسمعون ... الخ » [تث ١٨ : ١٣ - الخ]

الفصل الرابع عشر

في

محاكمة المسيح عيسى بن مريم

محاكمة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كما وردت فى الأناجيل الأربعة يتبين منها ١ ـ أن عيسى عليه السلام قدم للمحاكمة لأنه صرح بأن المسيا سيأتى من بعده ، وسيكون من آل إسماعيل عليه السلام ٢ ـ وأن عيسى عليه السلام لم يعترف بأنه هو المسيا المنتظر . ٣ ـ وأن بيلاطس البنطى ، وهيرودوس ، اعترفا بأن عيسى عليه السلام برىء من اتهام اليهود له بأنه هو المسيا المنتظر .

ولا يفهم القارىء عبارات الأناجيل الأربعة فى بيان المحاكمة ، الا اذا درس الموضوعات التالية أولا : وهى : ١ ـ المحكم والمتشابه فى ألفاظ التوراة والانجيل ٢ ـ نصوص نبوءات التوراة عن المسيا ٣ ـ ملكوت السموات من أول كلمة عنه فى سفر دانيال الى آخر مثل عنه فى الأناجيل الثلاثة متى ومرقس ولوقا ٤ ـ نصوص التوراة الدالة على أن الله واحد وليس كمثله شىء ونصوص الانجيل الدالة على أن عيسى عليه السلام صرح بأنه عبد الله ورسوله . ٥ ـ عقيدة التثليث كما يفهمها النصارى .

واذا درس الدارس هذا أولا ، فسوف يتبين له من نصوص محاكمة عيسى فى الانجيل : أنه لم يحاكم لأنه ادعى الألوهية أو البنوة الطبيعية لله ،

أو ادعى أنه سيكون ملكا على بنى اسرائيل وسيهدم هيكل سليمان وسيؤسس ديانة بشريعة مستقلة عن شريعة موسى . سوف يتبين له أنه لم يحاكم من أجل هذه الادعاءات والإفتراءات عليه ، وانما حوكم لأنه صرح بأن نبى الاسلام محمد ﷺ هو المسيا ، وسيأتى من بعده قريبا .

ونبدى هذه الملاحظات قبل الدخول فى بيان المحاكمة :

الملاحظة الأولى : ان دانيال النبى فى الأصحاح الثانى والسابع من سفره تنبأ عن ظهور « ابن الانسان » صاحب « ملكوت السموات » عقب دولة الروم فى قوله : « وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم اله السموات مملكة لن تنقرض أبدا ، وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك . وهى تثبت الى الأبد » [دا ٢ : ٤٤] وفى قوله : « كنت أرى فى رؤى الليل واذا مع سحب السماء مثل ابن انسان ، أتى وجاء الى القديم الأيام ، فقربوه قدامه . فاعطى سلطانا ومجدا وملكوتا ، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ، ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض » [دا ٧ : ١٣ ـ ١٤] والمسيح عيسى عليه السلام نادى فى بنى اسرائيل بقوله : « توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » [مت ٤ : ١٧] الذى تحدث عن ظهوره النبى المعظم دانيال . فانه أنبأ عن ظهور اربعة ممالك هى مملكة بابل ومملكة الفرس ومملكة اليونان ومملكة الرومان ، ثم يتأسس ملكوت السموات عقب زوال دولة الرومان . ولقب دانيال صاحب الملكوت بلقب « ابن الانسان » وهو لقب للمسيا عند أهل الكتاب ـ كما سبق بيانه ـ

الملاحظة الثانية : ان داوود عليه السلام فى المزمور المئة والعاشر قال نبوءة عن المسيا المنتظر ـ سبق بيانها ـ وهى : « قال الرب لسيدى : اجلس عن يمينى، حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك ... الخ ».

[مز ١١٠ : ١] يريد أن يبين لليهود : أن المسيا عن يمين الله - أى الله معه وناصره على أعدائه .

الملاحظة الثالثة : ان داوود عليه السلام فى المزمور الثانى قال نبوءة عن المسيا المنتظر ، ولقبه فيها بلقب ابن الله أى أنه مصطفى من الله وقريب منه . وهى : « انى أخبر من جهة قضاء الرب : قال لى : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك » أى قدرت وجودك أزلا - كما سبق بيانه -

وتلك الملاحظات تفيدنا فى قول عيسى عليه السلام ساعة المحاكمة لليهود : « من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة ، وآتيا على سحاب السماء » فانه يشير بابن الانسان الى غيره ، ويبين أن « ابن الانسان » هو صاحب ملكوت السموات الذى نادى عنه من قبل باقترب . ويبين بقوله : « جالسا عن يمين القوة » : أن « ابن الانسان » هو الذى قال عنه داود : « قال الرب لسيدى : اجلس عن يمينى حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك » وحالته ساعة المحاكمة تدل على أنه ليس هو المسيا ، فلم يكن ملكا ، ولم يحارب ، ولم ينتصر .

... ...

والآن الى المحاكمة .

ضاق اليهود ذرعا بدعوة عيسى عليه السلام وارادوا قتله . فما هو السبب الذى حمل اليهود على ذلك ؟ انه اذا كان يتنبأ باقتراب مجىء المسيا ، فان اليهود أنفسهم يترقبون مجيئه ، ولا يمكن أن يكون ذلك سببا فى قتله ، واذا كانت التهمة الموجهة اليه : أنه يجدف على الله زاعما انه ابنه ، أو أنه هو الله نفسه . فانه دافع عن نفسه كثيرا ، وصرح بأنه عبد كسائر العبيد ، ونبى كسائر الأنبياء ، وبشر كسائر البشر . وكان ذلك أمام جمع لا يستهان به من اليهود ، بل وفى أقداس مكان لدى اليهود

وهو الهيكل . ومن كماته لليهود : « ان كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقا ، الذى يشهد لى هو آخر . وأنا أعلم ان شهادته التى يشهدهـــا لى : هى حق ، أنتم أرسلتم الى يوحنا (المعمدان) فشهد للحق ، وأنا لا أقبل شهادة من انسان ، ولكنى أقول هذا لتخلصوا أنتم ، كان هو السراج الموقد المنير ، وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة ، وأما أنا فلى شهادة أعظم من يوحنا . لأن الأعمال التى أعطانى الآب (الله) لأكملها . هذه الأعمال بعينها التى أنا أعملها هى تشهد لى : أن الآب (الله) قد أرسلنى ، والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى . لم تســـمعوا صوته قط ، ولا أبصرتم هيئته (١) وليست لكم كلمته ثابتة فيكم . لأن الذى أرسله هو لستم أنتم تؤمنون به ، فتشو الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية ، وهى التى تشهد لى ، ولا تريدون أن تأتوا الى ، لتكون لكم حياة .

مجدا من الناس لست أقبل ، ولكنى قد عرفتكم أن ليست لكم محبة الله فى أنفسكم . أنا قد أتيت باسم أبى ولستم تقبلوننى . ان أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه ، كيف تقدرون أن تؤمنوا ، وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض ، والمجد الذى من الاله الواحد لستم تطلبونه ؟ لا تظنوا أنى أشكوكم الى الآب . يوجد الذى يشكوكم . وهو موسى الذى عليــه رجاؤكم ، لأنكم لو كنتم تصدقون موسى ، لكنتم تصدقوننى ، لأنه هو كتب عنى ، فان كنتم لستم تصدقون كتب ذاك ، فكيف تصدقون كلامى »؟
(يوحنا ٥ : ٣١ ـ ٤٧)

ترى ما السبب اذن الذى دفع اليهود الى قتله ، مادام هو لـــم يأت بجديد عما ألفوه ؟ فى اعتقادنا : أن السبب فى ذلك : هو تنبؤه بأن

---

(١) لاحظ أن عيسى عليه السلام قد سمع اليهود صوته وأبصروا هيئته فكيف يكون هو الله والله لم يره أحد قط ، ولا يقدر انسان أن يرى الله ويعيش ؟ [يو ١ : ١٨ خروج ٣٣ : ٢٠ ـ ٢٣]

المسيا لن يكون من نسل داود عليه السلام كما كان يتوقع يهود أورشليم الذين بعث فيهم ، وانما سيكون من بنى اسماعيل عليه السلام ، وأن الملك من اليهود سيزول حتما على يد المسيا ، ولسوف يكون ذلك قريبا .

والدليل على صحة هذا الاعتقاد : ماورد فى الأناجيل فى بيان محاكمة اليهود لعيسى عليه السلام . وبيان ذلك : فى هذه المحاكمة أجمعت الأناجيل على أن تلميذا خائنا يدعى « يهوذا الاسخريوطى » من تلاميذ عيسى عليه السلام ائتمر مع اليهود على أن يدلهم عليه فى مقابل ثلاثين من الفضة . ومقدارهم بالجنيه الانجليزى الآن كما يقول الدكتور فردريك فارار : « نحو ثلاثة جنيهات وست شلنات (١) » وبالجنيه المصرى : « أربعة جنيهات وخمسة قروش (٢) » كما يقول الأنبا أثناسيوس . وأخذ الثلاثين من الفضة ، وانطلق ليلا بصحبة جمع كثير ومعهم سيوف وعصى ومشاعل ومصابيح من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب . وذهبوا الى وادى قدرون حيث كان بستان مجتمع فيه عيسى ـ عليه السلام ـ مع تلاميذه . وأمسكوه ومضوا به الى « قيافا » رئيس الكهنة كما يذكر متى ، أو الى « حنان » كما يذكر يوحنا . وأرسله هو موثقا الى قيافا . وتمت محاكمة عيسى عليه السلام محاكمة دينية أمام رئيس الكهنة أولا ، ثم حوكم ثانيا محاكمة مدنية فى دار القضاء ، عند « بيلاطس » الوالى على أورشليم من قبل الدولة الرومانية وبعده عند « هيرودس »

وفى المحاكمة الدينية والمدنية وجهت الى عيسى ـ عليه السلام ـ الأسئلة التى ظن اليهود أنها تدينه وأجاب عنها بما يؤكد براءته . وهذه هى الأسئلة التى وجهت اليه من السلطة الدينية : ـ

---

(١) ص ٦٧٢ حياة المسيح لفردريك

(٢) ص ٢٥٤ تفسير متى ـ للانبا اثناسيوس

أولا : فى انجيل متى ما نصه :

والذين أمسكوا يسوع ، مضوا به الى قيافـا رئيس الكهنة ، حيث اجتمع الكتبة والشيوخ ، وتقدم شاهدا زور وقالا : هذا قال : أني أقدر أن أنقض هيكل الله ، وفي ثلاثة أيام أبنيه .

س ١ فقام رئيس الكهنة وقال له : أما تجيب بشيء ؟ ماذا يشهد به هذان عليك ؟

ج ١ وأما يسوع فكان ساكتا .

س ٢ فاجاب رئيس الكهنة وقال له : أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا : هل أنت المسيح ابن الله ؟

ج ٢ قال له يسوع : أنت قلت ــــــ

وأيضا أقول لكم : من الآن تبصرون ابن الانسان (١) جالسا عن يمين القوة ، وآتيا على سحاب السماء . فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابـه قائلا : قد جدف . ما حاجتنا بعد الى شهود . ها قد سمعتم تجديفه مـاذا ترون ؟ فاجابوا . وقالوا : انه مستوجب الموت . حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه وآخرون لطموه .

هذه هى المحاكمة . ومنها يتبين أن عيسى عليه السلام لم يعترف بأنهم سيهدم (٢) هيكل سليمان ويبنيه فى ثلاثة أيام . ولما سأله هل أنت المسيح ابن الله الحى ؟ أى هل أنت المسيا المنتظر ، الذى لقبه داود عليه السلام

---

(١) ابن الانسان هو لقب نبى الاسلام فى الأصحاح الثانى والسابع من سفر دانيال ــ :

(٢) كيف يهدمه وهو قد قال : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » ؟ وقد هرب من أهل نايين لما أرادوا أن يجعلوه ملكا . وكيف يهدمه وهو قد صرح بأنه سيهدم من بعده على يد نبى غيره ؟ النبى المبـارك الآتى باسم الرب [مت ٢٣]

فى سفر المزامير بلقب ابن الله ؟ لم يقل عيسى عليه السلام اننى أنا هو ، بل قال لرئيس الكهنة : أنت قلت • أما أنا فلم أقل •

ولما قال عيسى عليه السلام لرئيس الكهنة : من الآن تبصرون ابن الانسان الذى هو المسيا جالسا عن يمين القوة • أى فى قدرة الله ، وآتيا على سحاب السماء أى أن اليهود لن يقدروا على هزيمته ، كما لايقدر أحد أن يطول الذى على السحاب لارتفاعه وتعظمه • لما قال عيسى عليه السلام ذلك لرئيس الكهنة ، وتبين من قوله : ان المسيا الملقب بلقب ابن الانسان سياتى من بعده • ثار رئيس الكهنة وطالب بقتله • لأن اليهود من أيام سبى بابل يجتهدون فى اخفاء الحقيقة عن النبى المنتظر الآتى من ولد اسماعيل عليه السلام •

ثانيا : فى انجيل مرقس مانصه :

وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا • لأن كثيرين شهدوا عليه زورا ولم تتفق شهاداتهم • ثم قام قوم وشهدوا عليه زورا • قائلين : نحن سمعناه يقول : انى أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادى ، وفى ثلاثة أيام أبنى آخر غير مصنوع (١) ولا بهذا كانت شهادتهم تتفق • فقام رئيس الكهنة فى الوسط وسأل يسوع قائلا :

س ١ أما تجيب بشىء ؟ ماذا يشهد به هؤلاء عليك ؟

ج ١ أما هو فكان ساكتا ولم يجب بشىء •

---

(١) قوله ولا بهذا كانت شهادتهم تتفق يدل على أنه لم يهدم الهيكل ولم يقل بأننى سأهدمه • بل قال : ان المسيا الآتى سيكون صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى • وسيهدم المسيا الهيكل ، لأن الهيكل رمز لوجود شريعة موسى • والمسيا سينسخها ويبطلها [انظر الأصحاح الرابع والعشرين من متى]

س ٢ فسأله رئيس الكهنة أيضا وقال له : أنت المسيح ابن المبارك ؟

جـ ٢ فقال يسوع : انا هو • وسوف تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا فى سحاب السماء • فمزق رئيس الكهنة ثيابه •

ثالثا : فى انجيل لوقا :

ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب ، رؤساء الكهنة والكتبة ، وأصعدوه الى مجمعهم قائلين :

س ١ : ان كنت أنت المسيح فقل لنا •

جـ ١ فقال لهم : ان قلت لكم لاتصدقون ، وان سألت لاتجيبوننى ولا تطلقوننى • منذ الآن يكون ابن الانسان جالسا عن يمين قوة الله •

س ٢ : فقال الجميع : أفأنت ابن الله •

جـ ٢ فقال لهم : أنتم تقولون : انى أنا هو •

رابعا : فى انجيل يوحنا :

س ١ : فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه ، وعن تعليمه ؟

جـ ٢ : أجابه يسوع : أنا كلمت العالم علانية • أنا علمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما • وفى الخفاء لم أتكلم بشىء • لماذا تسألنى أنا ؟ اسأل الذين قد سمعوا • ماذا كلمتهم ؟ هــو ذا هؤلاء يعرفون : ماذا قلت أنا ؟ ولما قال هذا لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفا قائلا : أهكذا تجاوب رئيس الكهنة ؟ أجابه يسوع : ان كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردى • وان حسنا فلماذا تضربنى ؟

الشرح والبيــان

فى هذه المحاكمة سؤالين : ـ

السؤال الأول عن هدم هيكل سليمان • والسؤال الثانى عن المسيح

المنتظر . ولم يكن السؤال الأول من الأهمية بمكان فلذلك لم يذكره لوقا ولا يوحنا . وهو سؤال اختلقه رئيس الكهنة . فان المسيح لم يقل : انى أنقض الهيكل وأبنيه ، وانما قال : فيما بعد لا يترك حجر على حجر لاينقض وبين أن النقض والبناء من غيره لا منه هو . وهذا ثابت من روايـــات الأناجيل - كما بينا من قبل - وثابت أيضا من قول مرقس عن شهود الزور : « ولا بهذا كانت شهادتهم تتفق » واختلاق رئيس الكهنة لنقض الهيكل تنم عن شيء مهم . ذلك لأن المسـيح عنى بهـدم الهيكل مجيء ابن الانسان لتأسيس ملكوت السموات ، وهذا يعنى زوال الملك والشريعة من بنى اسرائيل . الأمر الذى يأباه اليهود كل الاباء . واذا ما قتل عيسى بسبب هذا القول لايثور على رئيس الكهنة علماء بنى اسرائيل .

والسؤال الثانى هو المهم . وهو الذى أدى الى ثورتهم عليه وهو : « هل أنت المسيح ابن الله ؟ » أو حسب رواية لوقا : « أفأنت ابن الله ؟ » ولو قال : بأنه هو ، فسوف يكون كاذبا . لأن نبوءات التوراة عن المسيح المنتظر ،المسيا المعبر عنه بابن الله فى المزمور الثانى ، لا تشير اليه أبدا ، لأنه من بنى اسرائيل من جهة ، ولأنه ليس ملكا من جهة أخرى . وقد أشار بقوله : « من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة » الى قول داود فى المزمور المئة والعاشر عن المسيا : « قال الرب لسيدى : اجلس عن يمينى حتى أجعل أعدائك موطئـا لقدميك » ويدلك على ذلك أنه حينمـا قــال « من الآن تبصرون ابن الانســـان جالســـا عن يمين القوة ، وآتيا على سحاب السـماء » وفى ترجمـة الكاثوليك « ابن البشر جالسا عن يمين القدرة » : مزق رئيس الكهنة ثيابه . لماذا شق ثيابه حينما حدثهم عن ابن الانسان الذى قال عنه دانيال بعد زوال المملكة الرابعة : « واذا مع سحب السماء مثل ابن انسان » ؟ أليس ذلك يعنى زول ملكهم وشريعتهم وهم هيكلهم على يد نبى من غيرهم ؟ وقد أكد عيسى عليه السلام على أنه ليس هو المسيح المنتظر بقوله فى رواية متى لرئيس

الكهنة لما سأله : « هل أنت المسيح ابن الله » ؟ قال له : « أنت قلت » وهذا يدل على أنه لم يقل . وهى نفس الاجابة التى أوردها لوقا وهى : « أنتم تقولون انى أنا هو » أما أنا فلم أقل . ولم يذكر يوحنا : أنه اعترف صراحة بأنه هو المسيا المنتظر . أما رواية مرقس وهى أن عيسى أجاب قائلا : « أنا هو » فمعناها ـ ان لم نقل بالتحريف : أنه آت باسمى ودعوته دعوتى فكأنى أنا هو ، أو هو أنا من باب التوقير والاحترام . وان لايسلم النصارى بهذا التأويل فانه يلزمهم تناقض الأناجيل واضطرابها . ويلزمهم أيضا كذب نبوءات التوراة فانها تشير الى نبى يغلب ولا يغلب ومن هذه النبوءات عن الابن قول داود عليه السلام فى المزمور الثانى : « انى أخبر من جهة قضاء الرب ، قال لى : أنت ابنى أنا اليوم ولدتك . اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك ، وأقاصى الأرض ملكا لك ، تحطمهم بقضيب من حديد . مثل اناء خزاف تكسرهم . فالآن ياأيها الملوك تعقلوا ، تأدبوا ياقضاة الأرض . اعبدوا الرب بخوف ، واهتفوا برعدة . قبلوا الابن (١) لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق »

ان رئيس الكهنة يسأل عيسى عليه السلام ساعة المحاكمة : هل هو الذى يتحدث عنه هذا المزمور أم لا ؟ وكانت اجابة عيسى بالنفى قطعا ، وان لم يجب فحاله تنبىء عن النفى قطعا ، لأنه لم يحطم المقاومين بين يديه ، بل هو فى موقف يرثى له فيه .

٢ ـ وليس فى تصريح عيسى عليه السلام بأن المسيح المنتظر آت من بعده ، ما يثير حفيظة اليهود العبرانيين عليه . فهم ينتظرونه بفارغ الصبر ، وانما الذى أثار حفيظتهم قوله لهم سابقا : ان المسيح المنتظر

---

(١) « اختلف القراؤون من أيام ايرينيموس ان كان معنى الكلمة الأصلية « قبلوا الابن أم اعبدوا بطهارة الابن ؟ » [ص ٢١٥ ج ١ حياة بولس ـ فردريك] وقد ترجم برنابا عبارة : « أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » بقوله : « قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك »

ليس من نسل داود ـ كما كانوا يزعمون ـ وضرب لهم الأمثلة لانتقال الشريعة منهم الى غيرهم ، وأنها ستكون لجميع الأمم . ففى انجيل متى : « وفيما كان الفريسيون مجتمعين ، سألهم يسوع قائلا : ماذا تظنون فى المسيح ؟ ابن من هو ؟ قالوا له : ابن داود . قال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلا : قال الرب لربى (أى لسيدى) اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك . فان كان داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة » [متى ٢٢ : ٤١ ـ ٤٦]

ولما ضرب عيسى عليه السلام الأمثلة على انتقال الشريعة من بنى اسرائيل الى أمة غيرهم . ومن هذه الأمثلة : مثل الكرامين الأردياء الذى قال فى نهايته : « ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » « لما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله ، عرفوا أنه تكلم عليهم . واذ كانوا يطلبون أن يمسكوه ، خافوا من الجموع ، لأنه كان عندهم مثل نبى » [متى ٢١ : ٤٣ ـ ٤٦] ومن هذه الأمثلة أيضا مثل عرس ابن الملك . وفى نهايته يقول متى : « حينئذ ذهب الفريسيون ، وتشاوروا لكى يصطادوه بكلمة » [متى ٢٢ : ١٥]

وبناء على هذا : فلم تكن التهمة الموجهة الى عيسى عليه السلام : أنه جدف على الله ، أو أنه أخبر بقرب مجىء المسيح المنتظر ، أو أنه زعم أنه هو المسيح المنتظر ، فقد رأينا براءته من هذا كله . وانما التهمة الموجهة اليه حقيقة ، والتى جعلت اليهود يفكرون فى قتله من قبل ذلك : هى قوله : ان المسيح المنتظر لن يكون من داود بل من اسماعيل خلافا لاعتقاد اليهود العبرانيين ، وأن الملك سيزول من اليهود الى الأبد .

وهذه الفكرة وردت فى انجيل برنابا بوضوح تام .

يقول برنابا : ـ

« ولما جاء النهار صعد يسوع الى الهيكل مع جم غفير من الشعب . فاقترب منه رئيس الكهنة قائلا : قل لى يايسوع : أنسيت كل ما كنت قد

اعترفت به من انك لست الله ، ولا ابن الله ولا مسيا ؟ أجاب يسوع : لا . البتة لم أنس . لأن هذا هو الاعتراف الذى أشهد به أمام كرسى دينونة الله في يوم الدينونة . لأن كل ماكتب في كتاب موسى صحيح كل الصحة . فإن الله خالقنا أحد . وأنا عبد الله وأرغب فى خدمة رسول الله الذى تسمونه مسيا . قال رئيس الكهنة : فما المرادا ذا من المجىء الى الهيكل بهذا الجم الغفير ؟ لعلك تريد أن تجعل نفسك ملكا على اسرائيل ؟ احذر من أن يحل بك خطر .

أجاب يسوع : لو طلبت مجدى ، ورغبت فى نصيبى فى هــذا العالم . لما هربت لما أراد أهل نايين أن يجعلونى ملكا . حقا صدقنى : انى لست أطلب شيئا فى هذا العالم .

حينئذ قال رئيس الكهنة ... نحب أن نعرف شيئا عن مسيا . حينئذ اجتمع الكهنة والكتبة والفريسيون نطاقا حول يسوع . أجاب يسوع : ماهو ذلك الشىء الذى تريدون أن تعرفوه عن مسيا ؟ لعله الكذب (١) حقا انى لا أقول لك الكذب . لأنى لو كنت قلت الكذب لعبدتنى أنت والكتبة والفريسيون مــع كل اسرائيل . ولكن تبغضــوننى وتطلبون أن تقتلونى لأنى أقول لكم الحق . قال رئيس الكهنة : نعلم الآن أن وراء ظهرك شيطانا لأنك سامرى ، ولا تحترم كاهن الله .

أجاب يسوع : لعمر الله ليس وراء ظهرى شيطان . ولكن أطلب أن أخرج الشيطان . فلهذا السبب يثير الشيطان على العالم .

اذا كنت أفعل الاثم وبخوننى يحببكم الله . لأنكم تكونون عاملين بحسب ارادته . ولكن اذا لم يقدر أحد أن يوبخنى على خطيئة فذلك دليل على أنكم لستم ابناء ابراهيم كما تدعون أنفسكم . ولا أنتم متحدون

---

(١) أى أنه ابن داود ، لا ابن اسماعيل [المترجم]

بذلك الرأس الذى كان ابراهيم متحدا به . لعمر الله أن ابراهيم أحب الله بحيث أنه لم يكتف بتحطيم الأصنام الباطلة تحطيما . ولا بهجر أبيه وأمه . ولكنه كان يريد أن يذبح ابنه طاعة لله .

أجاب رئيس الكهنة : انما أسألك هذا ، ولا أطلب قتلك . فقل لنا : من كان ابن ابراهيم هذا ؟ أجاب يسوع : ان غيرة شرفك يا ألله تؤججنى . ولا أقدر أن أسكت .

الحق أقول : ان ابن ابراهيم هو اسماعيل الذى يجب أن يأتى من سلالته مسيا الموعود به ابراهيم أن به تتبارك كل قبائل الأرض . فلما سمع هذا رئيس الكهنة حنق وصرخ ... لنرجم هذا الفاجر لأنه اسماعيلى . وقد جدف على موسى وعلى شريعة الله » [برنابا ٢٠٦ ـ ٢٠٨]

المحاكمة المدنية

تذكر الأناجيل الأربعة : أن المحاكمة المدنية تمت بعد المحاكمة الدينية . ثم اختلفوا : هل حاكمه بيلاطس فقط . أم بيلاطس وهيرودس؟ وهل حاكمه بيلاطس مرة واحدة أم مرتين ؟

١ ـ المحاكمة الأولى أمام بيلاطس

اتفق الانجيليون الأربعة على أن عيسى عليه السلام مثل للمحاكمة أمام بيلاطس البنطى الوالى من قبل الرومان على أورشليم بعدما فرغ الكهنة من محاكمته . والأسئلة والاجابات هكذا : ـ

س ١ ان رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ يشتكون عليك . أما تسمع كم يشهدون عليك ؟

جـ ١ عيسى عليه السلام : صمت ولم يرد .

س ٢ أأنت ملك اليهود ؟

جـ ٢ واتفقوا على أن عيسى عليه السلام لم يعترف بأنه ملك اليهود ـ لقد قال للوالى فيما رواه متى ومرقس ولوقا : « أنت تقول » أما أنا فلم أقل . وفى رواية يوحنا : « أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عنى ؟ » أنا لم أقل ، فهل أنت تقول هذا من نفسك لتختبرنى أم وشى بذلك الواشون على ؟

س ٣ : أجابه بيلاطس : ألعلى أنا يهودى ؟ أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك الى . ماذا فعلت ؟ [يوحنا ١٨ : ٣٥]

جـ ٣ : أجاب عيسى عليه السلام : « مملكتى ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون ، لكى لا أسلم الى اليهود »

س ٤ : قال بيلاطس : أفأنت اذا ملك ؟

جـ ٤ : أجاب عيسى عليه السلام : « أنت تقول انى ملك » ولم يعترف عيسى بأنه ملك ، أو المسيا الملك الذى ينتظره اليهود . ثم قال للوالى: « لهذا قد ولدت أنا . ولهذا قد أتيت الى العالم لأشهد للحق ، كل من هو من الحق يسمع صوتى » لهذا الموقف العصيب قد ولدت . وقد ولدت لأخبر اليهود عن مجىء المسيا المنتظر . لئلا يرفضوه فيهلكون .

س ٥ : قال بيلاطس : « ما هو الحق ؟ »

جـ ٥ : وهنا خرج بيلاطس الى اليهود ولم ينتظر حتى يسمع اجابة من عيسى عليه السلام « وقال لهم : أنا لست أجد فيه علة واحدة »

من هذه الأسئلة الخمسة يتبين : أن المحاكمة أمام بيلاطس ، هى نفسها المحاكمة أمام رئيس الكهنة . ولما قال : « من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القدرة ، وآتيا على سحاب السماء » وفهموا

ان ابن الانسان هو النبى الآتى من اسماعيل عقب المملكة الرابعة ، مملكة الروم ، اتهموه بانه يزعم أنه المسيح المنتظر . الذى سيملك على بلاد اسرائيل . وقالوا للوالى : أنه يطلب الملك ، وبالتالى يطرد الرومان من أورشليم ، الأمر الذى يسىء شخصيا الى قيصر الرومان .

ويكفينا فى دفع هذا الافتراء : اعترافه بانه ليس ملكا ، وأن بيلاطس « قال لهم : أنا لست أجد فيه علة واحدة »

نتيجة المحاكمة أمام بيلاطس

يقول متى عنه انه « أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلا : انى برىء من دم هذا البار فأجاب جميع الشعوب . وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا » [متى ٢٧ : ٢٤ ـ ٢٥]

وروى مرقس أن بيلاطس « عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسدا » ولما صرخ اليهود يطلبون صلبه بعد المحاكمة « قال لهم بيلاطس : وأى شر عمل ؟ فازدادوا جدا صراخا : اصلبه » [مرقس ١٥ : ١٠ ـ ١٤]

وحكى لوقا عن بيلاطس « أى شر عمل هذا ؟ انى لم أجد فيه علة للموت . فانا أؤدبه وأطلقه » [لوقا ٢٣ : ٢٢]

وذكر يوحنا « أنا لست أجد فيه علة واحدة . ولكم عادة أن أطلق لكم واحدا فى الفصح . أفتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود ؟ فصرخوا جميعهم قائلين : ليس هذا بل باراباس . وكان باراباس لصا » [يوحنا ١٨ : ٣٨ ـ ٤٠]

ب ـ المحاكمة أمام هيرودس

وانفرد لوقا وحده بأن ذكر أن بيلاطس لما فرغ من سؤاله . قال

لرؤساء والجموع : « انى لا أجد علة فى هذا الانسان . فكانوا يشددون قائلين : انه يهيج الشعب وهو يعلم فى كل اليهودية مبتدئا من الجليل الى هنا . فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل سأل : هل الرجل جليلى ؟ وحين علم أنه من سلطنة هيرودس . أرسله الى هيرودس اذ كان هو أيضا تلك الايام فى أورشليم . وأما هيرودس فلما رأى يسوع فرح جدا ، لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه ، لسماعه عنه أشياء كثيرة . وترجى أن يرى آية تصنع منه . وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشىء ، ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد ، فاحتقره هيرودس مع عسكره ، واستهزأ به وألبسه لباسا لامعا ، ورده الى بيلاطس . فصار بيلاطس وهيرودس صديقين مع بعضهما فى ذلك اليوم . لأنهما كانا من قبل فى عداوة بينهما » [لوقا ٢٣ : ٤ ـ ١٢]

ت ـ المحاكمة الثانية امام بيلاطس

وقد ذكرها يوحنا وحده بعد المحاكمة الأولى وهى : « حينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجلده ، وضفر العسكر اكليلا من شوك ، ووضعوه على رأسه ، والبسوه ثوب أرجوان ، وكانوا يقولون : السلام ياملك اليهود . وكانوا يلطمونه . فخرج بيلاطس أيضا خارجا . وقال لهم . ها أنا أخرجه اليكم ، لتعلموا أنى لست أجد فيه علة واحدة . فخرج يسوع خارجا وهو حامل اكليل الشوك . وثوب الأرجوان . فقال لهم بيلاطس : هو

فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين : اصلبه . اصلبه . فقال لهم بيلاطس : خذوه أنتم واصلبوه . لأنى لست أجد فيه علة . أجاب اليهود : لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت . لأنه جعل نفسه ابن الله (١) .

وعندئذ بدأ يسأل : ـ

---

(١) أى المسيا فى المزمور الثانى لداود

س ١ : من أين أنت ؟

ج ١ : وأما يسوع فلم يعطه جوابا .

فقال بيلاطس : أما تكلمنى ؟ ألست تعلم أن لى سلطانا أن أصلبك ، وسلطانا أن أطلقك ؟ أجاب يسوع : لم يكن لك على سلطانا البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق . لذلك الذى أسلمنى اليك ، له خطية أعظم .

نتيجة المحاكمة الثانية أمام بيلاطس

يقول يوحنا : « من هذا الوقت كان بيلاطس يطلب أن يطلقه . ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين : ان أطلقت هذا فلست محبا لقيصر . كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر ... فحينئذ أسلمه اليهم ليصلب »

لقد اتهمه اليهود بأنه « ابن الله » وليس ابنا بالطبيعة ، بل ابنا على المجاز . وهو الابن الذى تحدث عنه داود فى الزبور الثانى . وقلنا : انه يعنى المسيح المنتظر . والسبب الحقيقى للاتهام : قوله ان الابن آت من بعده .

يقول برنابا : « ماذ يكون الثمر اذا تركنا هذا الانسان يعيش ؟ من المؤكد : أن الاسماعيليين يصيرون ذوى وجاهة عند الرومانيين ، فيعطونهم بلادنا ملكا . وهكذا يصير اسرائيل عرضة للعبودية كما كان قديما » [برنابا ١٤٢ : ١٩ — ٢١]

ويستطرد برنابا فيحكى كيفية المؤامرة : « فلما سمع رئيس الكهنة هذا الرأى . أجاب : انه يجب أن يتفق مع هيرودس والوالى ، لأن الشعب كثير الميل اليه ، حتى انه لا يمكننا اجراء شىء بدون الجند . وان شاء الله نتمكن بواسطة الجند من القيام بهذا العمل . فبعد أن تشاوروا فيما بينهم ائتمروا على امساكه ليلا ، متى رضى الوالى

وهيرودس بذلك » [برنابا ١٤٢ : ٢٢ ـ ٢٥] ثم يذكر برنابا أنهم لما هموا بقتله وصلبه ، القى الله شبه عيسى عليه السلام على تلميذه الخائن « يهوذا الاسخريوطى » فحوكم مكانه وقتل بدله وصلب .

ومما يدل على صدق برنابا فى قوله : « من المؤكد ان الاسماعيليين .... الخ » أن يوحنا روى ماوراه برنابا وكتب « الرومانيين » مكان « الاسماعيليين » وذلك فى قوله : « فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعا . وقالوا : ماذا نصنع ؟ فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة . ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به ، فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا » [يو ١١ : ٤٧ ـ ٤٨] والسؤال الآن : كيف يأتى الرومانيون ويأخذون « أورشليم » وهم قد أخذوها بالفعل من قبل ولادة عيسى بثلاثة وستين عاما على يد « بومبيوس » ؟ ان كلام برنابا هو الصحيح لأن الاسماعيليين سيرثون الأرض من بعد المملكة الرابعة مملكة الرومان . كما قال دانيال النبى المعظم .

الفصـل الخامس عشر

فى

مَسِـــيّا دَاوُد عليه السلام

تمهيد :

قال الله تعالى لابراهيم عليه السلام : « **أنا الله القدير • سر أمامى** » فى دعوة الناس الى دينى ، والعمل بشريعتى « **وكن كاملا** » أى قدوة للناس فى عمل الخير « **فاجعل عهدى بينى وبينك واكثرك كثير جدا** » اذا التزمت بأن تسير وبأن تكون أمـة « وأجعلك أممـــا وملوك منك يخرجون • وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهدا أبديا »

هذا ما فى أول الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين • وكـان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة • ولم ينجب اسحق بعد • وانما كـان قد أنجب اسماعيل فى سن السادسة والثمانين •

وأراد الله ـ كما هو مكتوب ـ أن يجعل العهد الذى بينه وبين ابراهيم فى السير أمامه : فى نسل اسحق الذى لم يولد بعد • فقال لابراهيم :« سارای امرأتك لا تدعو اسمها سارای ، بل اسمها سارة • وأباركها وأعطيـــك أيضا منها ابنا • أباركها • فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون • فسقط ابراهيم على وجهه وضحك • وقال فى قلبه : هل يولد لابن مئة سنة ؟ وهل تلد سارة وهى بنت تسعين ؟ »

ولما علم ابراهيم أن الله بارك على اسحق ، فى السير أمامه لدعوة

الناس الى الله • وأن الله سيجعل فى ذريته الملك والنبوة • وسيساعد ذرية اسحق فى ارث الأرض ليمكنوا لدين الله فيها « **قال ابراهيم لله : ليت اسماعيل يعيش أمامك » فى السير أمامك لدعوة الناس الى الله مثل أخيه اسحق • فرد الله على ابراهيم بقبول دعائه فى اسماعيل • وقال له : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه • ها انا أباركه • واثمره وأكثره كثيرا جدا • اثنى عشر رئيسا وأجعله أمة كبيرة »**

وهذا يدل على أن الله تعالى بارك على اسماعيل واسحق وجعل فى ذريتهما النبوة والكتاب •

واليهود لما حرفوا التوراة فى « بابل » كتبوا فيها أن العهد بالنبوة فى اسحق وليس فى اسماعيل • وهذا باطل • لأن اسماعيل لو كان محروما من عهد النبوة ، ما كان الله تعالى يصرح ببركة فى نسله مساوية لبركة اسحق أخيه • وكان يقول لابراهيم لما طلب منه أن يعيش اسماعيل أمامه : سأعطيه ملكا ولن أعطيه بركة • لقد كتب اليهود ما نصه : « وقال ابراهيم لله : ليت اسماعيل يعيش أمامك • فقال الله : بل سارة امرأتك تلدلك ابنا وتدعوا اسمه اسحق • وأقيم عهدى معه عهدا أبديا لنسله من بعده • وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه • ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا • اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة ولكن عهدى أقيمه مع اسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة الآتية » [تك ١٧ : ١٨ ـ ٢١] هذا نص ما كتبوه • وهو باطل • فان العهد فى اسحق الذى لم يولد بعد ليس له ما يبرره • أما اسماعيل فكان قد ولد وامتحن الله ايمانه بالذبح فرضى بقضاء الله وقدره • وان سارة لما ولدت اسحق وطلبت من ابراهيم أن يحرم اسماعيل من الميراث ، قبح كلامها فى عينى ابرهيم « فقال الله لابراهيم : لايقبح فى عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك • فى كل ما تقول لك سارة

اسمع لقولها . لأنه باسحق يدعى لك نسل ، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك » [تك ٢١ : ١٢ – ١٣]

واليهود لبسوا الحق بالباطل فى العهد المبرم بين الله تعالى وبين ابراهيم عليه السلام . فهو عهد فى أصله من أجل السير أمام الله بكمال وحسن خلق . واليهود كتبوا أن العهد كان من أجل الختان مع أن التشريع لم ينزل الا على يد موسى . وابراهيم كان على شريعة نوح (١) وليس فيها ختان . كتبوا مانصه : « وقال الله لابراهيم : وأماأنت فتحفظ عهدى . أنت ونسلك من بعدك فى أجيالهم . هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك : يختن منكم كل ذكر » [تك ١٧ : ٩ – ١٠]

واليهود أيضا لبسوا الحق بالباطل فى أى ولدى ابراهيم هو الذبيح ؟ هكذا : « وحدث بعد هذه الأمور : أن الله امتحن ابراهيم . فقال له : ياابراهيم . فقال : ها أنذا فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق . واذهب الى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك » [تك ٢٢ : ١ – ٢] فان الابن الوحيد هو أسماعيل . ولفظ « اسحق » موضوع باطلا ، ليلبسوا به الحق الذى هو اسماعيل . وأرض المريا التى هى أرض القدس فى فلسطين ، لم تعين مكانا مقدسا فى زمان ابراهيم ، وانما عينت مكانا مقدسا فى زمان داود عليه السلام . وحيث كان الاقدام على الذبح فى أرض مقدسة زمان ابراهيم ، وحيث أن الذبيح هو اسماعيل وسكناه فى فاران – أى فى مكة – [تك ٢١ : ٢١] وعليه يكون الذبح فى مكان نشأته . فان المكان المقدس الذى تواجد فيه ابراهيم واسماعيل للذبح يكون مكة المكرمة .

ولنفترض أن الذبيح اسحق فلو أنه كان قد ذبح بالفعل ، ولم

---

(١) انظر فصل وحدة الدين وتعدد شرائع النبيين ، فى كتابنا نقد التوراة – اسفار موسى الخمسة

ينسخ الله الحكم قبل العمل به . فكيف يكون الوعد بالبركة فى ذريته ؟ انهم كتبوا : أن الوعد بالبركة فى ذرية اسحق ، كان قبل ولادته . فلنفترض أنه مات بعد ولادته ، فهل يكون الله كاذبا فى وعده ؟ وهل يتخلف وعد الله ؟ ولماذا يعد ؟ الصحيح فى الوعد : هو المذكور فى هذا النص ، باستثناء اسحق منه واستثناء أرض المريا . وهو « وحدث بعد هـــذه الأمور أن الله امتحن ابراهيم . فقال له : ياابراهيم . فقال : ها أنذا . فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق واذهب الى أرض المريا . وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك . فبكر ابراهيم صباحا وشد على حماره وأخذ اثنين من غلمانه معه ، واسحق ابنـــه وشقق حطبا لمحرقة وقام وذهب الى الموضـــع الذى قـــال لـــه الله . وفى اليوم الثالث رفع ابراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد . فقال ابراهيم لغلاميه : اجلسا أنتما ههنا مع الحمار . وأما أنا والغلام فنذهب الى هناك ونسجد . ثم نرجع اليكما . فأخذ ابراهيم حطب المحرقة ووضعه على اسحق ابنه وأخذ بيده النار والسكين . فذهبا كلاهما معا .

فلما أتيا الى الموضع الذى قال له الله ، بنى هناك ابراهيم المذبح ورتب الحطب وربط اسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب . ثم مد ابراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه . فناداه ملاك الرب من السماء . وقال : ابراهيم . ابراهيم . فقال : ها أنذا . فقال : لا تمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئا . لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى . فرفع ابراهيم ونظر واذا كبش وراءه ممسكا فى الغابة بقرنيه . فذهب ابراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة ، عوضا عن ابنه . فدعا ابراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يرأه . حتى انه يقال اليوم : فى جبل الرب يرى .

ونادى ملاك الـــرب ابراهيم ثانية من الســـماء . وقـــال : بذاتى

أقسمت يقول الرب : انى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك . أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرا ، كنجوم السماء ، وكالرمل الذى على شاطىء البحر ، ويرث نسلك باب أعدائه . ويتبارك فى نسلك جميع امم الأرض . من أجل أنك سمعت لقولى » [تك ٢٢ : ١ – ١٨]

... ...

من هذا النص يتبين : أن مباركة الأمم فى آل ابراهيم ، بالملك والنبوة كانت بسبب أن ابراهيم قد سمع لقول الله عز وجل . ولم يمسك ابنه الوحيد عن الذبح . والابن الوحيد قد سمع لقول الله عز وجل وجاد بنفسه ، والجود بالنفس أقصى غاية الجود . فلماذا يحرم من البركة ؟

وكاتب التوراة لم يحرم اسماعيل من البركة فى أكثر من موضع .

فانه كتب فى نهاية التوراة [تث ٣٣] أن الله قسم البركة على أماكن ثلاثة لظهور النبوةفيها . فى سيناء وساعيروفاران . وسكانفاران همبنواسماعيل عليه السلام [تك ٢١ : ٢١] واذا كان لاسماعيل بركة . فلابد أن يظهر منه نبى يكون مماثلا لموسى عليه السلام النبى الذى بدأت من ظهوره بركة اسحق فى الأمم . فانه لما ظهر موسى بالنبوة قام لبنى اسرائيل ملك لأول مرة فى العالم . وقهروا أمما وألزموهم بشريعة موسى (١) . فها هو سليمان عليه السلام فى أوج مجده يدعو ملكة اليمن وأهل اليمن الى الاسلام على وفق التوراة التى كان متعبدا بها ويقول « ألا تعلوا على وأتونى مسلمين » وتأتى الملكة لتقول : « رب انى ظلمت نفسى وأسلمت

---

(١) نصت التوراة على تزوج موسى من امرأة حبشية [كوشية] وهذا يدل على اختلاطه بالأمم وأن دعوته كانت عامة . ولمزيد من البيان عن عالمية دين موسى ، يراجع فصل الدعوات العالمية السماوية من كتابنا نقد التوراة آسفار موسى الخمسة . ويراجع تفسير القرطبى فى آخر سورة الشورى .

مع سليمان لله رب العالمين » وهاهـــو يونس عليه السـلام يخرج من فلسطين الى العراق داعيا الى شريعة موسى ٠

ولأن لاسماعيل دور فى السير أمام الله وهو كامل كأبيه ابراهيم ، قال الله لبنى اسرائيل عن نبى يظهر من ذريته مماثل لموسى : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى ٠ له تسمعون ٠٠٠ الخ » [تث ١٨ : ١٨]

وهذا النبى هو محمد نبى الاسلام ﷺ ٠ فماذا قال عنه اليهود لما حرفوا التوراة كتاب الله ؟ قالوا : ان هذا النبى المنتظر سيكون من بنى اسرائيل ، لأن العهد بالنبوة فى اسحق أبى اسرائيل وحده ٠ ولما كان من عادتهم اعطاء لقب « مسيح » على أى نبى أو عالم أو ملك ، قالوا : انه سيكون مسيحا ٠ وذلك ليخفوا حقيقته عن الدارسين من غيرهم ٠ أو هـــذه هى القاب أنبيائهـم فى لغتهم ، وبهـا يتحدثون ويتخاطبون ٠

هذا ماقاله اليهود جميعا فى حقيقة محمد ﷺ ٠

واليهود هم أولاد اسرائيل بن اسحق بن ابراهيم ٠ وأولاد اسرائيل هـــم : ١ ـ رأوبين ٢ ـ شـمعون ٣ ـ لاوى ٤ ـ يهـوذا ٥ ـ زبولون ٦ ـ يساكر ٧ ـ دان ٨ ـ جاد ٩ ـ أشـير ١٠ ـ نفتالى ١١ ـ يوسـف ١٢ ـ بنيامين ـ وأولاد يوسف : ١ ـ منسى ٢ ـ أفرايم ـ وهما بسبطين ـ واللاويون لايعدون مع الأسباط فى سكنى الأرض ـ وأولاد اسماعيل هم : ١ ـ نبايوت ٢ ـ قيدار ٣ ـ أدبئيل ٤ ـ مبسام ٥ ـ مشماع ٦ ـ دومة ٧ ـ مسا ٨ ـ حدار ٩ ـ تيما ١٠ ـ يطور ١١ نافيش ١٢ ـ قدمة

وتنص التوراةعلى أن بركة اسحق محصورة فى اسرائيل دون عيسو أخاه ٠ فقد قال ليعقوب : « فليعطك الله من ندى السماء ومن دســم

الأرض وكثرة حنطة وخمر . ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل . كن سيدا لاخوتك . وليسجد لك بنو أمــك . ليكن لاعنوك ملعونين ، ومباركوك مباركين » [تك ٢٧ : ٢٧ ـ ٢٩] ولما حزن عيسو من أن البركة انتقلت الى يعقوب ، وصرخ صرخة عظيمة ومرة جدا ، لم ينفعه حزنه . فان اسحق قال عن يعقوب : « نعم ويكون مباركا »

واليهود قد انقسموا بعد موت سليمان عليه الســلام الى فرقتين متنافرتين متعاديتين . فسبطى يهوذا وبنيامين وبعض اللاويين سكنوا فى « أورشليم » وعظموا هيكل سليمان فى القدس ، وسموا أنفســـهم بالعبرانيين . وباقى اليهود ســـكنوا فى « نابلس » وعظموا هيكـــل « سنبلط » على جبل جرزيم . وسماهم الناس بالسامريين . والتوراة التى كتبها « عزرا » فى « بابل » مع الفريقين على حـــد ســواء ، ماعدا بعض آيات فيها اختلاف فى المعنى . وجميع العبرانيين والسامريين ينتظرون الى زمنى هذا ، النبى الذى أنبأ عن مجيئه موسى فى سفر التثنية . فى قوله : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى له تسمعون ... قال لى الرب : قد أحسنوا فى ما تكلموا : أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به » [تث ١٨ : ١٨ الخ] ويطلقون عليه لقب المسيا . أى المسيح . **ويقول العبرانيون : انه سيأتى من نسل داود عليه السلام من** سبط يهوذا . ويقول السامريون : انه سيأتى من نسل افرايم من سبط يوسف عليه السلام . هذا ما يقوله اليهود اليوم فى زمنى هذا ، وهــذا ما قالوه فى زمان عيسى عليه السلام .

وعيسى عليه السلام كان من الهارونيين من جهة أمه ـ رضى الله عنها ـ ونشأ فى مملكة العبرانيين ووعظ وبشر فى هيكل سليمان بأورشليم . وطاف أيضا فى قرى السامريين ووعظ وبشر . وقال للعبرانيين : ان

المسيا لن يظهر من نسل داود كما تزعمون ، بل سيكون من نسل اسماعيل لثبوت بركة فى نسله ٠

ولأن المسيح عيسى عليه السلام كان من العبرانيين ، وظهر فيهم وتربى فى هيكل سليمان فى أورشليم ، قام أتباعه من بعده بتقديس التوراة العبرانية وتقديس هيكل سليمان ٠ وكان اليهود قد كتبوا - للتضليل - فى أسفار الأنبياء الملحقة بالتوراة العبرانية ، نبوءات عن المسيا المنتظر ، تدل على أنه سيظهر من نسل داود عليه السلام لا من نسل اسماعيل ٠ ويملك على بيت يعقوب عليه السلام ، ولا يكون لدينه نهاية ٠ ولهذه النبوءات شاع لقب « مسيا داود » وحسبه الناس حقيقة حتى أن كتاب الأناجيل أنفسهم نقلوه عنهم فى كتاباتهم ، وطبقوه من بعد تحريف النصرانية على عيسى عليه السلام ٠ وليس له ٠

... ...

والآن بعد هذا التمهيد الذى لابد منه - فى هذا الفصل - **ننتقل الى أسفار الأنبياء ، لنكتب (١) منها نصوصا عن « مسيا داود » ونناقش أهل الكتاب فيها ٠**

١ - فى الأصحاح التاسع من سفر أشعياء مانصه : « لأنه يولد لنا ولد ، ونعطى ابنا ، وتكون الرياسة على كتفه ، ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا ٠ أبا أبديا ٠ رئيس السلام ٠ **لنمو رياسته وللسلام** لانهاية على كرسى داود ، وعلى مملكته ، ليثبتها ويعضدها بالحق والبر ٠ من الآن الى الأبد » [أش ٩ : ٦ - ٧]

ظاهر هذا النص يبين أن المسيا الابن ، سيكون من اليهود ويجلس على كرسى داود أى يكون رئيسا على اليهود العبرانيين الى الأبد ٠ والحق :

---

(١) انظر كتاب يسوع المسيح فى ناسته والوهيته - هانى رزق

أن النبى الذى ذكر هذا النص ـ وقد كان فى سبى بابل ـ يريد أن يقول لأهل بابل : أنتم الآن غلبتمونا . ولسوف يأتى اليوم الذى يظهر لنا فيه ولد منا . وبه نغلب وننتصر . ومن سبى بابل الى هذا اليوم ، لم يظهر هذا الابن من اليهود ولم يجلس على كرسى داود . وزالت مملكة بابل . وان سلموا بصحة النص وقالوا : انه يدل على المسيا . وسيكون منا ، فان اسماعيل منهم من وسط اخوتهم . أى منهم من آل ابراهيم . وقد ظهر المسيا منه وملك وقهر .

والذين حرفوا انجيل لوقا كتبوا أن الملاك قال لمريم رضى الله عنها : « لاتخافى يامريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله . وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع . هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ، ويعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه . ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولايكون لملكه نهاية » [لوقا ١ : ٣٠ ـ ٣٣]

والدليل على أن هذا النص محرف :

أولا : ان عيسى عليه السلام لم يكن من نسل داود عليه السلام ، بل كان من نسل هرون عليه السلام . لأن مريم قريبة لاليصابات . واليصابات من بنات هرون . فتكون مريم من بنات هرون . لأنه فى شريعتهم أن « كل بنت ورثت نصيبا من أسباط بنى اسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها ، لكى يرث بنو اسرائيل كل واحد نصيب آبائه » [عدد ٣٦ : ٨] وقد تزوجت اليصابات من زكريا . لقول لوقا : « كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا ، من فرقة أبيا ، وامراته من بنات هرون واسمها اليصابات » [لو ١ : ٥] وفرقة أبيا من فرق الكهنة الهارونيين [١ أخ ٢٤ : ١٠] وقال لوقا : ان الملاك قال لمريم لما استبعدت الحمل بدون رجل : « وهو ذا اليصابات نسيبتك » اى قريبتك « هى أيضا حبلى بابن فى شيخوختها . وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا ، لأنه ليس شىء غير ممكن لدى الله ».

[لو ١ : ٣٦ ـ ٣٧] وحيث أن اليصابات من هرون ، تكون مريم من هارون ، للقرابة بينهما .

وفى سفر طوبيا كما فى سفر العدد : أن المرأة تتزوج فى سبطها على وفق شريعة الله . ففى الأصحاح الأول : « ولما أن صار رجلا ، اتخذ له امرأة من سبطه ، اسمها حنة » [طو ١ : ٩] وفى الأصحاح السابع : « ولعله لأجل ذلك ساقكما الله الى ، حتى تتزوج هذه بذى قرابتها ، على حسب شريعة موسى » [طو ٧ : ١٤] وعليه . وقد نص الانجيل على أن اليصابات من سبط لاوى ونص على أن مريم قريبتها ، فتكون مريم من سبط لاوى .

ثانيا : ان عيسى عليه السلام لم يكن ملكا ، وهرب من أهـــل « نايين » لما رادوا أن يجعلوه ملكا . فقد قـال يوحنا : « فلمـا رأى الناس الآية التى صنعها يسوع . قالوا : ان هذا هو بالحقيقة النبى الآتى الى العالم . وأما يسوع فـاذ علم أنهـم مزمعون أن يأتـوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا ، انصرف أيضا الى الجبل وحده » [يو ٦ : ١٤ ـ ١٥] فقوله « **انصرف أيضا** » يدل على أنه لم يصرح بأنـه النبى الآتى الى العالم . النبى المكتوب عنه فى التوراة فى سفر التثنية . ودل بانصرافه الى الجبل ويرفضه للملك . أنه ليس هو النبى المنتظر ، وأنه ليس هو بملك على آل يعقوب .

٢ ـ وفى الأصحاح الخامس من سفر ميخا مانصه : « **أما أنت يابيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكونى بين الوف يهوذا . فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل** » [مى ٥ : ٢] هذا نص كلام ميخا الذى قاله وهو فى أرض « بابل » أثناء سبى « نبوخذ ناصر » وقال بعده ان اليهود سيرجعون من السبى وسيغلبون أهل « أشور » وأهل « نمرود » بعد رجوعهم من سبى بابل ؛

على يد الذى سيخرج من « بيت لحم » ليتسلط على اسرائيل • وغرضه من ذلك : بث روح الأمل فى نفوس اليهود المسبيين ، وبث روح الرعب فى نفوس أهل بابل • والسؤال الآن : أكانت ولادة عيسى عليه السلام فى ذاك الزمان ؟ أخرج من بيت لحم وتسلط • واليهود فى السبى • وقادهم الى أرض « أشور » والى أرض « نمرود » ؟ هذا لم يكن فان عيسى عليه السلام ولد والروم يحتلون بيت لحم ، ورفع الى السماء والروم يحتلون بيت لحم • وهذا هو نص كلام ميخا : « ويكون هذا سلاما • اذا دخل أشور فى أرضنا ، واذا داس فى قصورنا • نقيم عليه **سبعة رعاة ، وثمانية من أمراء الناس • فيرعون أرض أشور بالسيف ، وأرض نمرود فى ابوابها** ، فينقذ من أشور اذا دخل أرضنا واذا داس تخومنا » [مى ٥ : ٥ – ٦]

والذين حرفوا انجيل متى ، كتبوا أن المسيح ولد فى بيت لحم « لأنه هكذا مكتوب بالنبى : وأنت يابيت لحم أرض يهوذا ، لست الصغرى بين رؤساء يهوذا ، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى اسرائيل » [متى ٢ : ٥ – ٦] والنصارى لا يجمعون على هذا • فان الدكتور فردريك • و • فارار يقول : « وليس من النادر فى فلسطين أن يكون الخان جميعه ، أو على الأقل الجزء الذى تبيت فيه الحيوانات ، احدى المغارات التى يكثر وجودها فى التلال الجيرية • والظاهر : أن هذا ما كان فى بيت لحم الصغرى ، فى أفراتة اليهودية • ويقرر « جوستان مارتير » (١) الذى ولد فى « شكيم » فشب خبيرا بفلسطين ، والذى عاش فى الجيل الأول بعد الميلاد : أن مولد المسيح قد تم فى احدى هذه المغارات أو الكهوف • وهذا هو التقليد القديم فى جميع الكنائس الشرقية والغربية • وهو أيضا احدى الحقائق القليلة التى وان لم تكن مسجلة فى

---

(١) ولد جوستان مارتير فى « فلافيا نيابوليس » سنة ١٠٣ م ومات سنة ١٦٦ م وكتب أولى رسائله سنة ١٣٨ م

الانجيل ، الا أنها مرجحة (١) » ا . هـ

... ...

ولما رفع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام الى السماء . وتكونت النصرانية من بعده على غير ما أراد ، سلم اليهود العبرانيون ا ـ التوراة ب ـ وأسفار الأنبياء الى النصارى فى مجمع يمنية سنة تسعين بعد الميلاد . ولم يلتفت النصارى الى التوراة السامرية لأن عيسى عليه السلام كان من العبرانيين وليس من السامريين . ولما اشتد أذى الرومان على النصارى لقولهم : ان عيسى عليه السلام بشر بنبى من بعده ، سيزيل دولة الرومان من أرض فلسطين ، رأى ضعفاء الايمان منهم أن يجعلوا عيسى عليه السلام هو « مسيا داود » ولا نبى بعده الى يوم القيامة . وذلك ليطمئن الرومان فى الأرض . وامسكوا بالأناجيل التى فضلوها على غيرها وحشروا فيها عبارات تدل على أن مسيا داود هو عيسى عليه السلام . ومن ذلك الذى حشروه فى انجيل متى مانصه : « وفيما يسوع مجتاز من هناك تبعه أعميان يصرخان ويقولان : ارحمنا ياابن داود » [متى ٩ : ٢٧] أى أن عيسى هو « مسيا داود » الذى ظهر لخلاص العالم .

مع أن النصارى الذى كانوا فى الصدر الأول قبل تحريف النصرانية ، قالوا : ان عيسى عليه السلام من ولد هرون النبى أخى موسى . فان « ايوالد » كان يعتقد أن العذراء من سبط لاوى . لا من

---

(١) ص ٢١ حياة المسيح تاليف الدكتور فردريك . و . فارار . دكتور فى اللاهوت . عضو الكلية الملكية . زميل كلية الثالوث بكمبردج . أسقف « وستمنتر » رئيس كنيسة القصر الملكى ـ تعريب الدكتور جورجى يوسف عقداوى ـ مطبعة النيل بالمنصورة سنة ١٩٤٩ ـ رمزه فى دار الكتب : ن ١٣٧٦

سبط يهوذا • لأن الآية الثالثة والعشرين من الأصحاح التاسع عشر من انجيل يوحنا تذكر أن يسوع كان يلبس لباس الكهنة الهارونيين • وتلاميذه كانوا يلبسون لباس الكهنة الهارونيين ، فانهم كانوا من السبط الذى هو منه • ولباس الكاهن الهارونى كان يتكون من قميص بغير خياطة منسوجا كله من فوق • بقول الدكتور فردريك • و • فارار :

« ويعتقد « ايوالد » أن العذراء من سبط لاوى • ولذا لبس المسيح القميص المنسوج الذى يلبسه الكهنة اللاويون [يو ١٩ : ٢٣] وان يوحنا البشير لبس أيضا فى شيخوخته مثل هذا القميص • وعندئذ يعتقد بقرابة يوحنا ليسوع (١) » ا هـ

وصرح « اكستاين » بان الكتب التى كانت فى عهده ، تدل على ان مريم من سبط لاوى (٢) •

ومن المسلمين الذين أكدوا على أن مريم رضى الله عنها من نسل هرون وليست من نسل داود ـ عليهما السلام ـ الامام ابن حزم الأندلسى • فقد قال : « قال لوقا كان بعهد (٣) هردوس ـ والى بلد يهوذا ـ كوهن يدعى زكريا • من فرقة أبيا (٤) وزوجته من بنات هرون ، تسمى « اليشبات » ثم ذكر كلاما فيه مجىء جبرائيل الملك ـ عليه السلام ـ الى مريم ـ عليها السلام ـ أم المسيح ـ عليه السلام ـ وأنه قال لها فى جملة كلام كثير : « وقد حبلت اليشبات قريبتك على قدمها وعقرها » فأخبر : أن اليشبات هارونية ، قريبة لمريم ، فعلى هذا فمريم أيضا هارونية (٥) » ا • هـ

***

---

(١) ص ٩٨ حياة المسيح

(٢) اظهار الحق ج ١

(٣) فى الأصل : بعد

(٤) فى الأصل : من دولة ايحا

(٥) ص ٥٦ ـ ٥٧ ج ٢ الفصل لابن حزم الأندلسى

ومكتوب فى الأناجيل رغم تحريفها : أن عيسى عليه السلام قال لليهود العبرانيين بصريح العبارة ان المسيا لن يظهر من آل داود .

لأن داود قال فى نبوءة عنه : انه سيده . والابن لايكون سيدا لأبيه . وعلى تصريحه هذا لايكون هو « مسيا داود » سواء كان هارونيا ، أو داووديا ففى انجيل متى : « وفيماكان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلا : ماذا تظنون فى المسيح ؟ ابن من هو ؟ قالوا له : ابن داود . قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلا : قال الرب لربى : اجلس عن يمينى ، حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك . فان كان داود يدعوه ربا ، فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة ، ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة » [متى : ٤١ - ٤٦]

وهذا الذى ذكره متى - وقد ذكره مرقس ولوقا - ذكره برنابا على هذا النحو :

« قال أندراوس : لقد حدثتنا بأشياء كثيرة عن مسيا ، فتكرم بالتصريح لنا بكل شىء ، فأجاب يسوع : كل من يعمل فانما يعمل لغاية يجد فيها غناء لذلك أقول لكم : ان الله لما كان بالحقيقة كاملا لم يكن له حاجة الى غناء ، لأن الغناء عنده نفسه ، وهكذا لما أراد أن يعمل، خلق قبل كل شىء نفس رسوله الذى لأجله قصد الى خلق الكل ، لكى تجد الخلائق فرحا وبركة بالله ، ويسر رسوله بكل خلائقه التى قدر أن تكون عبيدا . ولماذا وهل كان هذا هكذا الا لأن الله أراد ذلك ؟

الحق أقول لكم : ان كل نبى (١) متى جاء فانه انما يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله ، ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذى أرسلوا

---

(١) يقصد كل نبى من بعد موسى الى زمانه . فان دعوة موسى كانت عامة كما بينا فى كتابنا نقد التوراة . فصل الدعوات العالمية السماوية

اليه ، ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده فيحمل خلاصا ورحمةلأمم الأرض الذين يقبلونتعليمه ، وسياتى بقوة علىالظالمين ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزى الشيطان لأنه هكذا أوعد الله ابراهيم قائلا : أنظر فانى بنسلك أبارك كل قبائل الأرض ، وكما حطمت ياابراهيم الأصنام تحطيما ، هكذا سيفعل نسلك •

اجاب يعقوب : يا معلم قل لنا بمن صنع هذا العهد ؟ فان اليهود يقولون باسحق والاسماعيليون يقولون باسماعيل • أجاب يسوع : ابن من كان داود ، ومن اى ذرية ؟ أجاب يعقوب : من اسحق ، لأن اسحق كان ابا يعقوب ، ويعقوب كان ابا يهوذا الذى م نذريته داود • فحينئذ قال يسوع : ومتى جاء رسول الله فمن نسل من يكون ؟ أجاب التلاميذ : من داود • فاجاب يسوع : لا تغشوا أنفسكم لأن داود يدعوه فى الروح ربا ، قائلا • هكذا : « قال الله لربى : اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءكموطئا لقدميك • يرسل الرب قضيبك الذى سيكون ذا سلطان فى وسط أعدائك » فاذا كان رسول الله الذى تسمونه مسيا ابن داود فكيف يسميه داود ربا ؟ صدقونى لانى اقول لكم الحق : ان العهد صنع باسماعيل لا باسحق •

حينئذ قال التلاميذ : يا معلم هكذا كتب فى كتاب موسى ان العهد صنع باسحق أجاب يسوع متأوها هذا هو المكتوب ، ولكن موسى لم يكتبه ولا يشوع بل أحبارنا ، الذين لا يخافون الله ، الحق أقول لكم : انكم اذا أعملتم النظر فى كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا ، لأن الملاك قال : ياابراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ، ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله ، حقا يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله أجاب ابراهيم : ها هوذا عبد الله مستعد ، ان يفعل كل ما يريد الله فكلم الله حينئذ ابراهيم قائلا : **خذ ابنك بكرك اسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة فكيف يكون اسحق البكر ، وهو** لما ولد كان اسماعيل ابن سبع سنين ؟

فقال حينئذ التلاميذ : ان خداع الفقهاء لجلى ، لذلك قل لنا أنت الحق لاننا نعلم انك مرسل من الله ، فأجاب حينئذ يسوع : الحق أقول لكم : ان الشيطان يحاول دائما ابطال شريعة الله ، فلذلك قد نجس هو وأتباعه ، والمراءون وصانعو الشر كل شيء اليوم ٠ الأولون بالتعليم الكاذب والآخرون بمعيشة الخلاعة حتى لا يكاد يوجد الحق تقريبا ، ويل للمرائين لأن مدح هذا العالم ، سينقلب عليهم ادانة وعذابا فى الجحيم ٠

لذلك أقول لكم ان رسول الله بهاء يسر كل ما صنع الله تقريبا ، لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة روح الحكمة والقوة ، روح الخوف والمحبة ، روح التبصر والاعتدال مزدان بروح المحبة والرحمة ، روح العدل والتقوى ، روح اللطف والصبر التى أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ماأعطى لسائر خلقه ، ما أسعد الزمن الذى سيأتى فيه الى العالم ، صدقونى أنى رأيته ، وقدمت له الاحترام كما رآه كل نبى ، لأن الله يعطيهم روحه نبوة ، ولما رأيته امتلأت عزاء قائلا : **يا محمد ليكن الله معك ، وليجعلنى أهلا أن أحل سير حذائك** ، لأنى اذا نلت هذا صرت نبيا عظيما وقدوس الله ولما قال يسوع هذا شكر الله » (٤٣ : ٥ ـ ٣١ و ٤٤) ١ ـ ٣٢]

... ...

وفى انجيل يوحنا ـ وهو رابع الأناجيل المقدسة عند النصارى ـ محاورة بين عيسى عليه السلام وبين امرأة من اليهود السامريين فى « المسيا » يتبين منها أن السامريين كانوا ينتظرون المسيا فى أيام عيسى عليه السلام كما كان ينتظره العبرانيون ٠ أى أن المسيا حتى ذلك الزمان لم يكن قد ظهر ٠ وقد صرح عيسى عليه السلام للمرأة السامرية بأن المسيا لن يكون من السامريين ولا من العبرانيين ٠ وبأنه سيأتى من بعده وقد اقترب أوان مجيئه ٠ يقول يوحنا فى الأصحاح الرابع من انجيله :

« فلما علم الرب أن الفريسيين سمعوا أن يسوع يصير ويعمد تلاميذ أكثر من يوحنا • مع أن يسوع نفسه لم يكن يعمد ، بل تلاميذه ، تـــرك اليهودية ومضى أيضا الى الجليل ، وكان لابد له أن يجتاز الســامرة • فاتى الى مدينة من السامرة ، يقال لها سوخار ، بقرب الضيعة التى وهبها يعقوب ليوسف ابنه • وكانت هناك بئر يعقوب • فاذ كان يسوع قد تعب من الســفر ، جلس هكــذا على البئر • وكان نحو الساعـــة السادسة (١) ، فجاءت امرأة من السامرة ، لتستقى ماء • فقال لها يسوع: أعطينى لأشرب ، لأن تلاميذه كانوا قد مضوا الى المدينة ليبتاعوا طعاما **فقالت له المرأة السامرية : كيف تطلب منى لتشرب وأنت يهودى وانــا امرأة سامرية ؟** لأن اليهود لايعاملون السامريين • أجـــاب يسوع وقال لها : **لو كنت تعلمين عطية الله ، ومن هو الذى يقول لك : أعطينى لأشرب** لطلبت أنت منه فاعطاك ماء حيا • قالت له المرأة : يا سيد لادلو لك والبئر عميقة • فمن أين لك الماء الحى ؟ ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذى أعطانا البئر وشرب منها هو وبنوه ومواشيه ؟ أجاب يسوع وقال لها : كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا ، فلن يعطش الى الأبد • بل الماء الذى أعطيه يصير فيـــه ينبوع ماء ، ينبع الى حياة أبدية • قالت له المرأة : ياسيد أعطنى هذا الماء لكى لا أعطش ولا آتى الى هنا لأستقى • قال لها يسوع : اذهبى وادعى زوجك وتعالى الى ههنا • أجابت المرأة وقالت ليس لى زوج • قال لها يسوع : حسنا قلت ليس لى زوج • لأنه كان لك خمسة أزواج ، والذى لك الآن ليس هو زوجك • هذا قلت بالصدق • قالت له المرأة : يا سيد أرى أنك نبى • آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل ، وأنتم تقولون : ان فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه • **قال لهــا يســوع : يا امرأة صدقينى • انه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل** و لافى أورشليم

---

(١) أى من بدء النهار • فيكون جلوسه ظهرا

تسجدون للآب . أنتم تسجدون لما لستم تعلمون . أما نحن فنسجد لما نعلم . لأن الخلاص هو من اليهود . ولكن تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق . لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له . الله روح . والذين يسجدون له ، فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا . قالت له المرأة : أنا أعلم أن مسيا الذى يقال له المسيح ، يأتى . فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شىء . قال لها يسوع : أنا الذى أكلمك هو » [يوحنا ٤ : ١ ـ ٢٦]

هذا كلام يوحنا وفيه الحق وفيه الباطل . وقد ذكر هذا النص نفسه برنابا . ومنه يعلم الحق والباطل . يقول برنابا مانصه :

« وبلغ يسوع باكرا صباح يوم بئرا كان قد صنعها يعقوب ووهبها ليوسف ابنه : ولما أعيا يسوع من السفر أرسل تلاميذه الى المدينة ليشتروا طعاما ، فجلس بجانب البئر على حجر البئر ، واذا بامرأة من السامرة قد جاءت الى البئر لتستقى ماء ، فقال يسوع للمرأة : أعطنى لأشرب ، فاجابت المرأة : ألا تخجل وأنت عبرانى أن تطلب منى شربة ماء وأنا امرأة سامرية ؟ أجاب يسوع : أيتها المرأة لو كنت تعلمين من يطلب منك شربة لطلبت أنت منه شربة ، أجابت المرأة : وكيف تعطينى لأشرب ، ولا اناء ولا حبل معك لتجذب به الماء والبئر عميقة ؟ أجاب يسوع : أيتها المرأة من يشرب من ماء هذا البئر يعاوده العطش ، أما من يشرب من الماء الذى أعطيه فلا يعطش أبدا بل يعطى العطاش ليشربوا بحيث يصلون الى الحياة الأبدية فقالت المرأة ياسيد أعطنى من مائك هذا . أجاب يسوع : اذهبى وادعى زوجك واياكما أعطى لتشربا . قالت المرأة : ليس لى زوج . أجاب يسوع : حسنا قلت الحق لأنه كان لك خمسة أزواج ، والذى معك الآن ليس هو زوجك . فلما سمعت المرأة هذه اضطربت . وقالت ياسيد : أرى بهذا أنك نبى . لذلك أضرع اليك أن تخبرنى (عما يأتى) : ان العبرانيين يصلون على جبل صهيون فى

الهيكل الذى بناه سليمان فى أورشليم ، ويقولون : ان نعمة الله ورحمته توجد هناك لا فى موضع آخر . أما قومنا فانهم يسجدون على هذه الجبال ويقولون : ان السجود انما يجب أن يكون على جبال السامرة فقط فمن هم الساجدون الحقيقيون ؟

حينئذ تنهد يسوع وبكى قائلا : ويل لك يابلاد اليهودية لأنك تفخرين قائلة : هيكل الرب هيكل الرب . وتعيشين كأنه لا اله ، منغمسة فى الملذات ومكاسب العالم . فان هذه المرأة تحكم عليك بالجحيم فى يوم الدين ، لأن هذه المرأة تطلب أن تعرف : كيف تجد نعمة ورحمة عند الله .

ثم التفت الى المرأة وقال : أيتها المرأة انكم أنتم السامريون تسجدون لما لا تعرفون . أما نحن العبرانيين فنسجد لمن نعرف ، الحق أقول لكم : ان الله روح وحق ، ويجب أن يسجد له بالروح والحق . لأن عهد الله انما أخذ فى أورشليم فى هيكل سليمان لا فى موضع آخر ، ولكن صدقينى انه يأتى وقت يعطى الله فيه رحمته فى مدينة أخرى ويمكن السجود له فى كل مكان بالحق ، ويقبل الله الصلاة الحقيقية فى كل مكان برحمته . أجابت المرأة : اننا ننتظر مسيا فمتى جاء يعلمنا . أجاب يسوع : أتعلمين أيتها المرأة أن مسيا لابد أن يأتى ؟ أجابت : نعم ياسيد . حينئذ تهلل يسوع وقال : يلوح لى أيتها المرأة أنك مؤمنة ، فاعلمى اذا أنه بالايمان بمسيا سيخلص كل مختارى الله . اذا وجب أن تعرفى مجىء مسيا . قالت المرأة : لعلك أنت مسيا أيها السيد ؟ أجاب يسوع : انى حقا أرسلت الى بيت اسرائيل نبى خلاص . ولكن سيأتى بعدى مسيا المرسل من الله لكل العالم . الذى لأجله خلق الله ، العالم وحينئذ يسجد لله فى كل العالم وتنال الرحمة ، حتى أن سنة اليوبيل التى تجىء الآن كل مئة سنة ، سيجعلها مسيا كل سنة فى كل مكان حينئذ تركت المرأة جرتها وأسرعت الى المدينة لتخبر بكل ما سمعت من يسوع ... وحينئذ أشار

الى الجم الغفير الذى أتى ليراه ، لأن المرأة لما دخلت المدينة أثارت المدينة بأسرها قائلة : أيها القوم تعالوا وانظروا نبيا جديدا مرسلا من الله الى بيت اسرائيل ، وقصت عليهم كل ما سمعت من يسوع ، فلما أتوا الى هناك توسلوا الى يسوع أن يمكث عندهم ، فدخل المدينة ومكث هناك يومين ، شافيا كل المرضى ، ومعلما ما يختص بملكوت الله . حينئذ قال أهل المدينة للمرأة : اننا أكثر ايمانا بكلامه وآياته منا بما قلت . لأنه قدوس الله حقا ونبى مرسل لخلاص الذين يؤمنون به . وبعد صلاة نصف الليل اقترب التلاميذ من يسوع . فقال لهم : ستكون هذه الليلة فى زمن مسيا رسول الله ، اليوبيل السنوى الذى يجىء الآن كل مئة سنة . لذلك لا أريد أن ننام ، بل أن نصلى محنين رأسنا مئة مرة ، ساجدين لالهنا القدير الرحيم المبارك الى الأبد ... ولما صلى يسوع قال : لنشكر الله ، لأنه وهبنا هذه الليلة رحمة عظيمة ، لأنه أعاد الزمن الذى يلزم أن يمر فى هذه الليلة . اذ قد صلينا بالاتحاد مع رسول الله ، وقد سمعت صوته » [برنابا ٨١ : ٦ ـ ٢٠ / ٨٢ / ٨٣ : ١٧ ـ ٢٧ / ٨٤ : ١ ـ ٣]

الفصل السادس عشر

فى

مَقْعَدِ إِلْيَاء

يقول الدكتور فردريك • و • فارار ، فى كتابه « حياة المسيح » : ان اليهود اذا أرادوا ختان طفل ، يحضرون شهود ، ويتلون صلوات ، ويعملون وليمة • يقول مانصه : « **وكانت العادة أن يترك مقعـــد خالى لايلياء النبى ، الذى يتقدم مجىء المسيا** • ثم تختم الحفلة باقــامة وليمة (١) »

ومعنى هذا : ان « ايلياء » النبى فى نظر اليهود العبرانيين ـ لا السامريين ـ سيظهر قبل ظهور المسيا ، ليمهد له الطريق ، أى ليعد أذهان الناس لقبول دعوة المسيا ، ويدلهم عليه ، ويعرفهم به •

وهذه العادة التى ذكرها مؤلف هذا الكتاب ، قد نوه عنها كتاب الأناجيل الأربعة • بقولهم : ان اليهود فى زمان عيسى عليه السلام كانوا ينتظرون ايلياء • ففى انجيل يوحنا : أن وفدا من علماء بنى اسرائيل سألوا يحيى عليه السلام وقالوا له : هل أنت ايلياء ؟ وأجاب بقوله : لست أنا اياه •

فما حقيقة ايلياء الذى يعدونه سابقا على المسيا ، ويتركون مقعده خاليا فى حفلاتهم ، حتى لاينسوا ذكره ؟

---

(١) ص ٣٢ حياة المسيح ـ فردريك

ينبغى أن يعلم أولا وقبل أى شىء : ان الأسفار الخمسة ـ وهى التوراة التى يقول أهل الكتاب انها توراة موسى عليه السلام ـ ليس فيها نصوص نبوءات تدل على ايلياء بالاسم . والنصوص الموجودة فيها ، هى لنبى واحد ـ قد لقبوه بلقب المسيا ـ وهذا النبى سيكون مماثلا لموسى فى الحروب والمعجزات والانتصار على الأعداء . ولأن توراة موسى قد خلت من الاشارة الى ايلياء ، ينكر السامريون ـ وهم عشرة أسباط من جملة اليهود البالغ عددهم اثنى عشر سبطا ـ مجىء ايلياء قبل المسيا ، ويعتبرون حديث اليهود العبرانيين عنه من قبيل التضليل فى حقيقة النبى الآتى المماثل لموسى ، والملقب بلقب المسيا .

يقول المؤرخ السامرى أبو الفتح بن أبى الحسن : ان ملوك العبرانيين منهم من سجد للأوثان ومنهم من لم يسجد لها . وفى مملكة العبرانيين ظهر من ادعى النبوة ـ واعترف العبرانيون بأن من أدعياء النبوة ، من كان صادقا ومن كان كاذبا ـ والسامريين يقولون : ان ادعياء النبوة كلهم كانوا كاذبين يقول المؤرخ مانصه : « وكانوا ملوك اليهود منهم من لايسجد للأوثان ، ومنهم من يسجد ، يدعى بيت المقدس قدسا ، ويدعون أن لهم أنبياء ينسبون الى الله عز وجل ما لم يقل لهم . ويقولون : ان فيهم من يصدق ومن لايصدق . وما كان فيهم صادقا . وانما كانوا يتكلمون بطريق السحر والتنجيم ، ويلهون الناس ويلعبون بعقولهم ، ويدخلون بهم فى طريق الآثام والذنوب ويضلونهم .

وفى ذلك الوقت سمى حننية : نبى ، والياس : نبى . وهذا الياس غرق فى الأردن ومات ، وادعوا أنه قد طلع الى السماء بعد موته ، وأعطى مفاتيح السماء حتى لا تمطر الا بمراده . وقالوا : انه مضى الى « صرفند » ووجد امرأة تخبز ، فقعد حتى غفلت ، وسرق الخبز ، ومات الطفل ولد الامرأة من الجوع فخرجت الامرأة خلفه ، لحقته ، وأخبرته بموت ولدها ، فدعا له وعاش .

ويكذبون على الله كذبا فاحشا . وادعوا أنبياء عدة . مثل : ايلى بن أبيكش ، وعبدال بن حننية ، وصدقيا ، واليشمع ، وايلوسوس ، وغيرهم .

وآل فينحاس وآل يوسف . من « هرجر يزيم » لم يبرحوا ، ولآلهة أخرى لم يعبدوا ، ولصور الأصنام لم يسجدوا ، ولم يقبلوا نبيا بعد موسى ، ولاكتاب آخر بعد التوراة : ما آمنوا به . بل يحفظوا مدرج الشريعة وحده ، لا يزيدوا عليه ولاينقصوا منه (١) » ا . هـ

فالسامريون كما هو واضح من هذا النص لايعترفون الا بالأسفار الخمسة لموسى . لقوله : « **ولا كتاب آخر بعد التوراة : ما آمنوا به** » ولا يعترفون باى نبى من بعد موسى كارمياء واشعياء وغيرهما لقوله : « **ولم يقبلوا نبيا بعد موسى** » والياس عليه السلام لا يعترفون بنبوته . وكان موسى فى سنة ١٥٧١ ق.م وكان الياس ــ الذى هو ايلياء ــ فى سنة ٩٠٠ ق.م

ويقول اليهود العبرانيون : ان « الياس » عليه السلام هو « ايليا هو » بالعبرانية وهو الياس باليونانية ، وأنه رفع الى السماء .

وفى سفر ملاخى يقول الله تعالى ــ كما كتبوا ــ : « ها أنذا أرسل اليكم ايلياء النبى ، قبل مجىء يوم الرب ، اليوم العظيم والمخوف ، فيرد قلب الآباء على الأبناء ، وقلب الأبناء على آبائهم ، لئلا آتى وأضرب الأرض بلعن » [ملا ٤ : ٥ ــ ٦]

هذا كل ما عند اليهود العبرانيين عن «ايلياء» فهل ايلياء فى سفر ملاخى هو النبى المسيا الذى تحدثت عنه توراة موسى ، اذا قلنا بان ايلياء هو النبى المسيا . فان هذا القول هو الصواب . لأن توراة موسى تحدثت

---

(١) ص ٥٣ ــ ٥٤ التاريخ مما تقدم عن الآباء ــ ولاحظ ركاكة الترجمة

عن واحد . وأسفار الأنبياء لا تأتى بجديد على مافى توراة موسى . لأن توراة موسى مقدسة عند الكل ، وفى توراة موسى أنه لن يقوم مشرع مثله من بنى اسرائيل [تث ٣٤ : ١٠] . وموسى قد شرع لهم بآيات واضحات أن يتبعوا من بعده نبيا واحدا [تث ١٨ : ١٥ ـ ٢٢] . فلو قام نبى من بنى اسرائيل من بعد موسى وشرع لليهود أن يتبعوا غير النبى الذى وصى موسى باتباعه اذا ظهر ، فان اليهود فى حل أن لايسمعوا لقوله ، ولو رجموه ماتوجه عليهم لوم ، لأنه خرج على تعاليم موسى .

فايلياء فى سفر ملاخى ـ اذا سلمنا بصحة النص ـ هو نفسه النبى الذى أخبر عن ظهوره موسى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية وهو نفسه المسيا ، للأسباب التى ذكرناها .

وعبارة ملاخى للأسباب التى ذكرناها ، تكون (١) تفسيرا لاسم النبى المسيا ، الذى أخبر عن ظهوره موسى ـ بحساب الجمل ـ والحساب هكذا :

ا	ى	ل	ى	ا	ء
١	١٠	٣٠	١٠	١	١ = ٥٣

واسم أحمد ﷺ هكذا فى الحساب :

أ	ح	م	د		
١	٨	٤٠	٤	=	٥٣

أى أن كاتب سفر ملاخى رمز لاسم « أحمد » النبى الآتى من اسماعيل عليه السلام لتبدأ من وجوده بركة الأمم فى آل اسماعيل ، برمز ايلياء بحساب الجمل ، وذلك ليعرفه العلماء ولا يعرفه العامة ، كما رمز بـ « بماد ماد » و « لجوى جدول » فى سياق بركة اسماعيل لاسم « محمد » ﷺ ـ كما سبق بيانه ـ

***

---

(١) انظر الفارق بين المخلوق والخالق لباجه جه زاده

أى أن علماء بنى اسرائيل قالوا : أن النبى الذى أخبر عن ظهوره موسى عليه‌السلام فى سفر التثنية ، سيعرف بمجموع ثلاثة أشياء ١ - بالمسيا ٢ - والنبى ٣ - وايلياء • بالمسيا • لأنه مصطفى من الله على عادة أنبيائهم فى تلقيب النبى منهم بالمسيح ولو لم يمسح • دلالة على أن الله اصطفاه وأرسله برسالة سامية • وبالنبى • لأن التوراة عبرت عنه بلقب « نبى » وبايلياء • لأن كاتب توراة موسى وهو فى بابل حذف اسم « محمد » من التوراة ، ووضع بدله كلمتين عبرانيتين ، يدلان على اسم محمد بحساب الجمل ، ارضاء للمتدينين من بنى اسرائيل • وليعرف العلماء اسمه ، ولايعرف العوام الا اذا رضى العلماء بأن يعرفوهم • وايلياء كلمة تدل على اسم « أحمد » وهو شبيه بمحمد من جهة الحمد ، ومن جهة حساب •

وان لم نعترف بأن كتاب الأناجيل قد ضللوا فى حقيقة المسيا • فانه من الممكن أن يقال : انه لما طال بالناس الزمان ظنوا من فرط الجهل : أن المسيا غير النبى ، وهما غير ايلياء • والنبى غير المسيا وغير ايلياء ، وايلياء غيرهما • واشترك فى الجهل : عوام بنى اسرائيل وعلماؤهم • حتى أن رجلا من كبار الراسخين فى العلم منهم وهو « نيقوديموس » قال له عيسى عليه السلام وهو يحاوره : « أنت معلم اسرائيل ولست تعلم هذا ؟ » [يو ٣ : ١٠] ولهذا الظن أرسل علماء اليهود من مدينة « أورشليم » وفدا الى يحيى عليه السلام ليسألوه عن نفسه • وقد حكى يوحنا كاتب الانجيل فى الأصحاح الأول من انجيله محاورة الوفد هكذا : « وهذه هى شهادة يوحنا ، حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين • ليسألوه : من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر • وأقر : أنى لست أنا المسيح • فسألوه : اذا ماذا ؟ ايلياء أنت ؟ فقال : لست أنا • ألنبى أنت ؟ فأجاب : لا » [يو ١ : ١٩ - ٢١]

ولهذا الظن لما تعجب عوام اليهود من عيسى عليه السلام ، وهو

يعلم فى هيكل سليمان ويقول : « تعليمى ليس لى ، بل للذى أرسلنى » [يو ٧ : ١٦] لما تعجبوا منه قال بعضهم : « هذا بالحقيقة هو النبى . آخرون قالوا : هذا هو المسيح » [يو ٧ : ٤٠ - ٤١]

فالعوام والعلماء قبل ان يردهم يحيى وعيسى عليهما السلام الى الصواب ، فصلوا بين الثلاثة بدون دليل من كتاب موسى . وذلك لجهلهم بكتاب موسى الذى يخبر عن واحد فقط من آل اسماعيل لثبوت بركة فى نسله . وهذا اذا سلمنا بصحة النص فى سفر ملاخى ، وفى الأصحاح الأول من انجيل يوحنا .

وغير بعيد أن يكون الفصل بينهم من تضليل كتاب الأناجيل فى حقيقة المسيا . والدليل على أنهم يضللوا :

ما جاء فى الأصحاح السادس عشر من انجيل متى . وفيه : أن عيسى عليه السلام يحذر اتباعه من رياء علماء اليهود الفريسيين وخبثهم ونفاقهم ، وفيه عن المسيا ابن الانسان أنه سوف يأتى فى مجد الله مع أتباعه الشبيهين بالملائكة (١) فى الطهر والصلاح وكاتب الانجيل بعدما ذكر الحق فى مجىء المسيا ولقبه بابن الانسان كما لقبه دانيال . ضلل ووضع الباطل ليلبس به على الناس دينهم . وكتب : أن يسوع أخذ بطرس ويعقوب ويوحنا . وصعد بهم الى جبل عال منفردين . وتغيرت هيئته قدامهم ، وأضاء وجهه كالشمس ، وصارت ثيابه بيضاء كالنور ، واذا موسى وايلياء قد ظهرا لهم يتكلمان معه . هذا ما كتبه متى فى أول الأصحاح السابع عشر من انجيله ومن يصدقه ؟ لايصدقه أحد . لأن متى لم يكن حاضرا . ويوحنا الذى حضر ، لم يسجل هذه الرواية فى انجيله . ولماذا ظهر موسى بجسده وروحه ؟ ولماذا ظهر ايلياء بجسده وروحه ؟ ولماذا ظهروا لهؤلاء الثلاثة دون بقية التلاميذ وسائر اليهود ؟

---

(١) التوراة تطلق لفظ الملائكة على رجال الله الصالحين [أش ٧ : ٣٣ ملا ٢ : ٧ + ٣ : ١ مت ١١ : ١٠ مر ١ : ٢ لو ٧ : ٢٧ غلا ٤ : ١٤ رؤ ٢ + ٣]

وفيهم بطرس الذى قال له عيسى عليه السلام : « اذهب عنى يا شيطان أنت معثرة لى . لانك لاتهتم بما لله لكن بما للناس » [مت ١٦ : ٢٣] ومما يؤكد كذب هــذه الرواية : أن الكـاتب يقول : ان سحابة منيرة ظللتهم ، وسمعوا من السحابة صوت يقول : ان عيسى هو ابنى الحبيب . فاسمعوا له . أى أن الله تعالى ظهر فى ظلل من الغمام ونادى بطرس ويعقوب ويوحنا وعرفهم : أن عيسى هو ابنه الذى أنبأ عن مجيئه داود فى المزمور الثانى ، وأنه هو المسيا . فاسمعوا له ، وأطيعوا له . لأنه هو المماثل لموسى ، ولا نبى من بعده الى يوم القيامة . هذا غــرض الكاتب . وانه لكاذب . لأن أوصاف المسيا فى المزمور الثانى لاتنطبق على عيسى عليه السلام . ولأن الله اذا أراد أن يعلن عن أن عيسى هــو المسيا ، فانه لا يعلن لهؤلاء الثلاثة ويترك التلاميذ واليهود بلا اعلان . واذا كان قد أعلن بواسطتهم كما يزعمون . فلماذا كتب الكاتب أنهــم وهم نازلون من الجبل بعدما رأوا جسد موسى وايلياء « أوصاهم يسوع قائلا : لا تعلموا أحدا بما رأيتم حتى يقوم ابن الانسان من الأموات » [مت ١٧ : ٩] فما فائدة الاعلان اذن . اذا أوصاهم بكتمان ما رأوا ؟ ولم يؤثر عن أحد منهم أنه أعلم بما رأى . فيعقوب لم يعلم ، ويوحنا لم يعلم ، وبطرس لم يعلم ـ الى يومنا هذا ـ

ومن الكذب الواضح فى النص قوله : « حتى يقوم ابن الانسان من الأموات » يريد أن يقول : ان « ابن الانسان » هو المسيا ـ وهو عيسى عليه السلام ـ ونسى أن دانيال لما لقب المسيا بلقب ابن الانسان ، قال انه سيأتى ومملكة الروم على وشك الزوال ، وأنه هو الذى سيزيلها . وعيسى عليه السلام قد ولد وهى قائمة ، ورفع الى السماء وهى قائمة . وبقيت من بعده قائمة الى أن أزالها المسلمون أتباع المسيا الرئيس .

ويريــد أن يقــول : ان ابن الانســان الذى هـــو عيسى ـ فى زعمه ـ سوف يقتل . واذا قتل بالفعل ، فانه يجب على بطرس ويعقوب ويوحنا أن يخبروا بما شاهدوا على جبل التجلى ـ وهو جبل

طابور ـ • أى أن عيسى يتنبأ عن قتله وصلبه ، من قبل أن يقتل وأن يصلب وقد روت كتب التواريخ : ان عيسى لم يقتل ولم يصلب • فان «السير نثيين» و « الكربو كراتيين » وهم من أقدم فرق النصارى قالوا : ان المسيح نفسه لم يصلب ، وانما صلب واحد آخر من تلاميذه ، يشبهه شبها تامـا • و « الباسيليدون » يعتقدون أن شـخصا آخر صلب بدل المسيح • وفى انجيل برنابا : أن « يهوذا الاسخريوطى » هو الذى صلب وليس عيسى عليه السلام هو الذى صلب • ويقول « جورج بوست » فى تعليقه على قول يوحنا : « أخذوا السيد من القبر ، ولسنا نعلم أين وضعوه » : ان الجزء الخاص بهذا الموضوع فى انجيل مرقس لم يكن فى نسخ انجيل مرقس القديمة ، بل أضيف اليه فيما بعد » •

ومن الكذب الواضح فى قصة التجلى : أن الكاتب يقول : ان الله لما تكلم من السحابة ، مخبرا أن عيسى هو المسيا ابن الانسان ، تعجب التلاميذ ولم يصدقوا الخبر وهم تعجبوا ولم يصدقوا • لأنهم يعلمون أن المسيا لا يظهر الا اذا ظهر من يمهد له الطريق ـ وهو ايلياء كمـا أشاع اليهود ـ فاذا كان صوت السحابة قد أعلن عن المسيا ، فأين هـو المهد ؟ هذا سؤال ورد فى أذهانهم • وأخبروا به عيسى عليه السلام وقالوا له : « فلماذا يقـول الكتبة : ان ايليـاء ينبغى أن يـأتى أولا » [مت ١٧ : ١٠] ؟ وأجاب عيسى عليه السلام بقوله : « ان ايلياء قـد جاء ولم يعرفوه » ـ « حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنـا المعمدان » [مت ١٧ : ١٢ ـ ١٣]

هذا كذب الكاتب فى السؤال وفى الجواب • والدليل على كذبه :

ان متى نفسه روى فى الأصحاح الحـادى عشر من انجيله : أن عيسى عليه السلام قال عن يوحنا المعمدان : « لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ، **ولكن الأصغر فى ملكوت السـموات**

اعظم منه . ومن أيام يوحنا المعمدان الى الآن ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه . لأن جميع الأنبيـــاء والناموس الى يوحنـــا تنبأوا . وان أردتم أن تقبلوا فهذا هو ايلياء المزمع أن يأتى .من لـــه أذنان للسمع فليسمع » [مت ١١ : ١١ ـ ١٥] ففى هذا النص : تصريح بظهور ايلياء من بعده . وفى نص جبل التجلى : تصريح بأن ايلياء قد ظهر من قبل عيسى عليه السلام . فأى النصين تصدق ؟ ان نص جبل التجلى كاذب . ولذلك يقول الدكتور فردريك . و . فارار :« كثيرون يتقولون على التجلى ، ويحسبونه خرافة » (١)

ومما تقدم يعلم : أن الكتبة من علماء اليهود ـ حســب ظاهر نص الانجيل ـ هم الذين أشاعوا للتضليل فى حقيقة المسيا ـ اذا لم نقل بانهم قالوا للجهل ـ بأن ايلياء غير المسيا ، وأنه سيأتى قبل المسيا . والتضليل والجهل ليس عليهما دليل من توراة موسى التى تنص على واحد فقط .

وهـــل اعترف يوحنا المعمدان بأنه ايلياء كمـا فهـم التلاميذ ؟

كلا لم يعترف . واعترف بأن المسيا سيأتى من بعده وهو محمد ﷺ . فقد حكى لوقا فى الأصحاح الثالث من انجيله : « واذ كان الشـــعب ينتظر . والجميع يفكرون فى قلوبهم عن يوحنا : لعله المسيح » أى يظن عوام اليهود أن المعمدان هو المسيا الرئيس « أجاب يوحنا الجميع قائلا : أنا أعمدكم بماء . ولكن يأتى من هو أقوى منى الذى لســـت أهلا أن أحل سيور حذائه . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار ، الذى رفشه فى يده ، وسينقى بيدره ، ويجمع القمح الى مخزنه ، وأمـــا التبن فيحرقه بنار لاتطفأ » [لو ٣ : ١٥ ـ ١٧] لقد اعترف بأنه يمهد الطريق لمجىء المسيا ، وبأن المسيا اذا جاء فانه سيكون محاربا عظيما . ولم يكن عيسى محاربا ، حتى يدعى النصارى بأنه هو المسيا .

---

(١) هامش ص ٤٦٢ حياة المسيح ـ فردريك

وأراد يوحنا المعمدان أن يعرف اليهود بأن عيسى - عليه السلام - **ليس هو المسيا** : فدعا اثنين من تلاميذه وأرسلهما الى يسوع قائلا : « أنت هو الآتى ، أم ننتظر آخر ؟ » وفى تلك الساعة شفى عيسى كثيرين من أمراض وأدواء وأرواح شريرة ، ووهب البصر لعميان كثيرين ولما سألوه وقد فعل ما فعل من المعجزات . « أجاب يسوع . وقال لهما : اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما . ان العمى يبصرون ، والعرج يمشون ، والبرص يطهرون ، والصم يسمعون ، والموتى يقومون ، والمساكين يبشرون ، وطوبى لمن لا يعثر فى » [لو ٧ : ٢٢ - ٢٣] هذا هو السؤال والجواب . فهل يظهر منهما أن عيسى عليه السلام قد اعترف لتلميذى يوحنا بأنه هو المسيا ؟ لم يظهر أنه اعترف . ومن يقرأ النص بتمامه يجد فى نهايته أن عيسى عليه السلام قال : « **انه بين المولودين من النساء ، ليس نبى أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الأصغر فى ملكوت الله أعظم منه** » [لو ٧ : ٢٨] وفى هذا القول : أن المعمدان نبى عظيم ، والأصغر - ويعنى به آخر أنبياء الله على الأرض - أعظم منه . وسياق الكلام لا يدل على أن الأصغر هو عيسى عليه السلام ، والدليل على أن الأصغر غير عيسى فوق الذى هو ظاهر من سياق الكلام : أن المعمدان ويسوع دعوا معا بدعوة واحدة . هى الدعوة الى اقتراب ملكوت السموات الذى فصل الحديث فيه النبى المعظم دانيال - كما سبق بيانه -

... ...

وايلياء الذى هو الياس عليه السلام ، يحكى اليهود عنه فى كتبهم : أنه صعد الى السماء حيا بجسده وروحه أمام « اليسع » النبى عليه السلام [٢ مل ٢ : ١١ - ١٢] والنصارى أشاعوا : أن روح الياس حلت فى

---

(١) النصارى يقولون : ان الأصغر هو عيسى وسيأتى فى آخر الزمان .

جسد يوحنا المعمدان ، أى أن المعمدان قد اتى بروح ايلياء وقوته ٠ أى أن المعمدان والياس شىء واحد ٠ وهذا الذى أشاعوه باطل ٠ فالياس جسد وروح ٠ والمعمدان جسد وروح وهمانبيان ٠ وكل منها قد ظهر فى حينه ٠ والدليل على أنهما اثنان منفصلان : أن هيرودس لما سمع عن معجزات عيسى عليه السلام ظن أنه : اما المعمدان ، واما ايلياء ، واما نبيا غيرهما ٠ [لوقا ٩ : ٧ – ٨] فلو كان المعمدان هو ايلياء ، ما عده الكاتب نبيا منفصلا عنه ٠ والدليل على ذلك أيضا هذا النص – وهو شبيه بما قبله – قال لوقا : « وفيما هو يصلى على انفراد ٠ كان التلاميذ معه ٠ فسألهم قائلا : من تقول الجموع انى أنا ؟ فأجابوا ، وقالوا : يوحنا المعمدان ٠ وآخرون : ايلياء ٠ وآخرون : ان نبيا من القدماء قام » [لو ٩ : ١٨ – ١٩]

والنصارى لما أرادوا أن يجعلوا عيسى عليه السلام هو المسيا فى المجامع النصرانية الأولى ، حشروا فى انجيل يوحنا آيات تدل على أن عيسى هو المسيا ٠ ومن هذه الآيات : « كان انسان مرسل من الله ، اسمه يوحنا ٠ هذا جاء للشهادة ، ليشهد للنور ، لكى يؤمن الكل بواسطته » [يو ١ : ٧] – « يوحنا شهد له ونادى قائلا : هذا هو الذى قلت عنه : ان الذى يأتى بعدى ، صار قدامى ، لأنه كان قبلى » [يو ١ : ١٥] يريدون أن يقولوا : ان النور هو نور المسيا ، والمسيا هو عيسى ٠ والمعمدان قد أتى ليشهد أمام الناس بأن المسيا هو عيسى ٠ وأن المعمدان لما قال : « يأتى بعدى من هو أقوى منى ، الذى لست أهلا أن أنحنى وأحل سيور حذائه » [مر ١ : ٧] كان يشير بقوله هذا الى عيسى عليه السلام ٠

وقد كذبهم برنابا ٠ وكتب : أن المسيا هو محمد رسول الله ﷺ وأن عيسى هو الذى قال عنه : اننى لست أهلا أن أنحنى وأحل سيور حذائه ٠ وقول برنابا هو الصحيح ٠ فان عيسى عليه السلام دعا الناس الى ملكوت المسيا ، لا الى ملكوته هو ، وأوصى اتباعه بأن يدعو الى

ملكوت المسيا . فى قوله : « الى طريق أمم لاتمضوا ، والى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة وفيما أنتم ذاهبون **اكرزوا قائلين : انه قد اقترب ملكوت السموات »**
[مت ١٠ : ٥ - ٧]

وهذا نص ما رواه برنابا فى هذا الموضع :

« ٣ فان رؤساء الكهنة تشاوروا فيما بينهم ، ليتسقطوه بكلامه ٤ لذلك أرسلوا اللاويين وبعض الكتبة يسألونه (١) قائلين : من أنت ؟ ٥ فاعترف يسوع وقال : الحق أنى لست مسيا ٦ فقالوا : أأنت ايلياء أو ارمياء أو أحد الأنبياء القدماء ؟ ٧ أجاب يسوع : كلا ٨ حينئذ قالوا : من أنت ؟ قل ، لنشهد للذين أرسلونا ١٠ فقال حينئذ يسوع : أنا صوت صارخ فى اليهودية كلها ١١ يصرخ أعدوا طريق رسول الرب ، كما هو مكتوب فى أشعياء (٢) ١٢ قالوا : اذا لم تكن المسيح ولا ايلياء أو نبيا ما ، فلماذا تبشر بتعليم جديد وتجعل نفسك أعظم شأنا من مسيا ؟ ١٣ أجاب (٣) يسوع : ان الآيات التى يفعلها الله على يدى ، تظهر أنى أتكلم بما يريد الله ١٤ ولست أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه ١٥ لأنى لست أهلا أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله ، الذى تسمونه مسيا ١٦ الذى خلق قبلى وسيأتى بعدى ١٧ . وسيأتى بكلام الحق . ولايكون لدينه نهاية » [بر ٤٢ : ٣ - ١٧]

---

(١) مر ١٢ : ١٣ ولو ١١ : ٥٤
(٢) يو ١ : ١٩ - ٢٧
(٣) يو ٥ : ٢٦

الفصل السابع عشر

فى

المبالغة فى تعظيم المسيا

لو قال قائل « **جاء الرجل** » وقال قائل « **جاء الحق** » فما هو الفرق بين القولين ؟

ان « الرجل » يتحرك ويمشى ويجىء . وهو جسم يشاهده الراءون حال تحركه ومشيه ومجيئه . فالمجىء منه لاغرابة فيه من جهة العقل . ولذلك يقول الناس : ان كلمة « جاء » مستعملة فى موضعها على الحقيقة و « الحق » لا يتحرك ولا يمشى ولا يجىء . وليس هو بجسم يشاهده الراءون . فالمجىء منه أمر مستغرب من جهة العقل . ذلك أن الطفل فى مبدأ تعلمه للغة ، يتعلم معرفة الشىء بالاسم الدال عليه حقيقة وهو الاسم الذى يدل على الشىء ، ولا يدل على غيره . فان أبواه يشيران الى « البحر » مثلا ، ويقولان للطفل : هذا بحر . فينطبع فى ذهن الطفل ، أن اسم البحر خاص بهذا البحر المشار اليه . وبشبهه من البحور . فاذا كبر الطفل وبلغ مبلغ العقلاء . يعلمه أبواه . أن كلمة « البحر » فى أصل اللغة وحقيقتها موضوعة للشق الواسع الطويل فى الأرض ، المملوء بالماء الملح . وليس من مانع أن نقول فى العالم الواسع الاطلاع انه « بحر » فى العلوم . تشبيها له بالبحر المملوء بالماء . ويعلمه أبواه : أن كلمة البحر التى نطلقها على العالم . قد نقلناها عن أصلها الى موضع آخر . تجوزا ، فاذا كبر الطفل وبلغ مبلغ العقلاء ،

وعرف أن اللفظ الذى تعلمه فى الصغر ، قد ينقله المتكلم عن أصل وضعه الى موضع آخر مجازا ، لعلاقة المشابهة . لا يستغرب عقله أن « الحق » يجىء ، كما أن « الرجل » يجىء .

وجميع اللغات فيها اللفظ على الحقيقة ، وفيها اللفظ على المجاز . ففى اللغة العبرانية والآرامية - التى علمنا أنها السريانية - والعربية - وهم جميعا من أصل سامى واحد - تجد « برأ » تدل فى أصل وضعها على الحقيقة على الخلق والابتكار ، فيقولون : « فىالبدء برأالله السموات والأرض » أى خلق وابتكر . وليس غيره من خالق . ثم يقيم أهل هؤلاء اللغات : الأدلة العقلية والنقلية على أن خالق العالم هو الله وحده رب العالمين . وليس من خالق غير الله ثم بعد ذلك يجوزون أن يقول الصانع الماهر : أنا برأت هذا الابريق . على معنى : أنى صنعته صنعة متقنة ، وابتكرته على أحسن مثال لأنه كان طينة غير مسواة ، ولم تكن طينته فى الأرض ابريقا . وانما أخذت من الطين جزءا ، وصيرته ابريقا .

فكلمة « برأ » على الحقيقة تدل على الخلق من جانب الله رب العالمين ، وتدل على حسن الصنعة مجازا ، من جانب الناس .

وفى التوراة - كما بينا من قبل - أن المنشىء للعالم كله هو رب العالمين . ففى سفر التثنية يقول الله لليهودى : « هو عملك وأنشاك » [تث ٣٢ : ٦] واليهود يعترفون بذلك . ويقولون : ليس من خالق غير الله . وهم والمسلمون يؤمنون بالله (١) . وقد شهد القرآن بأنهم يؤمنون بالله ، ويكفرون بآياته . فى قوله تعالى : « **يا أهل الكتاب . لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون ؟** » [آل عمران ٧٠] وفى قوله تعالى :

---

(١) اليهود كفار لأنهم ينكرون نبوة محمد ﷺ وليس كفرهم لأنهم ينكرون وجود الله عز وجل

« من أهل الكتاب أمة قائمة • يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون • يؤمنون بالله واليوم الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات » [آل عمران ١١٤] وفي قوله تعالى : « ياأهل الكتاب • لم تكفرون بآيات الله • والله شهيد على ماتعلمون » [آل عمران ٩٨] فهم يؤمنون بالله المنشىء للعالم ، والقائم على كل نفس بما كسبت • ويكفرون بآياته ، لا به ، ومع ذلك يستعملون كلمة « أنشأ » مجازا للدلالة على الشيء الذي يبتكره الانسان ويتفوق فيه على غيره • فيقولون : أنشأ فلان قصيدة ، وابتكر فلان صنعة ، وخلق فلان فكرة ، وعمل فلان عملا • كل ذلك على المجاز • لا أن المنشىء للقصيدة اله ولا أن المبتكر للصنعة اله ، ولا أن الخالق للفكرة اله ، ولا أن العامل للعمل اله •

وفي اللغة العربية وفي سائر اللغات يستحسن الناس الكلام المستعمل مجازا ، عن الكلام المستعمل على الحقيقة • وينظرون الى المتكلم بالمجاز نظرة اعجاب واستحسان • ويعدونه بليغا وأديبا ومتعلما وراقيا في الفكر ومثال ذلك قول « البحتري » الشاعر :

وربت ليلة قد بت ، أسقى   بعينيها ، وكفيها المداما

ومعنى قوله : انه يشرب الخمر ــ وهي المدام ــ من عيني حبيبته • فهل عينا حبيبته يسقيانه الخمر ؟ ان الذي يسقيه الخمر هو كفيها ، لا عينيها • فلماذا قال : « أسقى بعينيها » ؟ يريد أن يقول : ان جمال عينيها ، كجمال يديها ، كجمال المدام ، في اللذة الحسية عنده • والناس لايعجبون من لهوه لأن اللهو من عمل الشيطان • ولا يعجبون من قوله انها تسقيه المدام بيديها لأنه شائع متداول ، وانما يعجبون من قوله « أسقى بعينيها » لأنه تصرف في اللفظ تصرفا حسنا بديعا ، ونقله من أصله الى موضع آخر ، يدل على علمه وذوقه وتمكنه من اللغة •

والناس يعجبون بمن يستعمل اللفظ فى غير ماوضع له لعـــلاقة المشابهة . سواء كان المعنى الذى يعبر عنه باللفظ المستعار معنى جيدا أم رديئا . فهم يستحسنون قول البحترى السابق مع أنه يحض على اللهو وهذا الاستحسان للفظ لا للمعنى . ويزداد اعجاب الناس ويشتد حبهم لمن يستعمل اللفظ فى غير ماوضع له ، اذا كان المعنى الذى يعبر عنه باللفظ المستعار معنى جيدا ، يحض على الفضائل ويحث على مكارم الأخلاق .

ومثال ذلك : قول « ابن مناذر » الشاعر :

رضينا بحكم الله بين عباده	رضا علماء ، لا تسخط جهال
لئن خص قوما بالنباهة والغنى	والبسنا ثوبى خمول واقلال
لقد جاد بالعلم النفيس الذى به	رشدنا . فلم نلبس ملابس ضلال
فلو سمتنا . لم نعط علما بثروة	ولم نر للتمييز : كفؤا من المال

انظر الى قوله « ثوبى خمول واقلال » فالخمول ـ وهو الكسل ـ والاقلال ـ وهــو الفقر ـ لا ثوب لهمــا . لأن الخمــول شىء معنوى ، لا يراه أحد . وليس جسما ، حتى يكون له ثوب . والفقر شىء معنوى ، وليس جسما ، حتى يكون له ثوب . والشاعر أبرز المعنوى أمــام الناس كأنه جسم حسى . وبالغ فى دعواه وهى أن الخمول والاقلال حسيان مثل الجسم الذى يرى . فنسب لهما لباسا كما يلبس الجسم المحسوس اللباس . أى أنه شبه المعنوى وهو الخمول والاقلال بشىء محسوس هو الجسم . واستعار اللباس من الجسم المشبه به ، ووضعه للمشبه وهــو الخمول والاقلال ، وحذف المشبه به ، وتناسى التشبيه ، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، وداخل تحت جنسه . هذا من جهة اللفظ . وهو مليح وسائغ فى اللغة . وأما من جهة المعنى . فهو معنى حسن ، يحكم الشرع والعقل بحسنه .

ومن بديع الشعر (١) ، قول الشيخ محمود بن عمر ، الزمخشرى المفسر :

بالسعد أضحى المجد محروس العلا فحمى الرئاسة منه ، طود راسى
يهوى المعالى مولعا بوصالها وأفاض غامر بذله فى الناس
راض الخطوب الصم ، بعد جماحها والان من قلب الزمان القاسى
وأعاد نور الحق ، فى مشكاته وأقام وزن العدل بالقسطاس

هذا فى اللغة العربية ، وفى التوراة مثل ما فيها من النوع الأول من الكلام ، وهو استعمال اللفظ فى أصل ما وضع له على الحقيقة ، ومن النوع الثانى من الكلام ، وهو استعارة اللفظ من دلالته على أصل ما وضع له ، الى غير ما وضع له ، مجازا ، ففى سفر الأمثال : « كلام النمام مثل لقم حلوة ، فينزل الى مخادع البطن ، فضة زغل تغشى شقفة ، الشفتان المتوقدتان ، والقلب الشرير ، بشفتيه يتنكر المبغض ، وفى جوفه يضع غشا ، اذا حسن صوته فلا تأتمنه ، لأن فى قلبه سبع رجاسات ، من يغطى بغضة بمكر ، يكشف خبثه بين الجماعة ، من يحفر حفرةيسقط فيها ، ومنيدحرج حجرا ، يرجع عليه ، اللسانالكاذب يبغض منسحقيه ، والفم الملق يعد خرابا ، لاتفخر بالغد ، لأنك لاتعلم ماذا يلده يوم ؟ ليمدحك الغريب لا فمك ، الأجنبى لا شفتاك ، الحجر ثقيل والرمل ثقيل ، وغضب الجاهل أثقل منهما كليهما ، الغضب قساوة والسخط جراف ، ومن يقف قدام الحسد ... » [أمثال ٢٦ : ٢٢]

وعند العلماء نوع ثالث من الكلام يسمى بالمبالغة فى الكلام ، وهذا هو النوع الصعب الذى لايقدر الكثيرون على فهمه ، خاصة اذا كان يعبر

---

(١) أعجب العجب فى شرح لامية العرب ـ للزمخشرى ـ ص ٣

عن حدث هائل ، وامر جسيم كما قال تلاميذ عيسى عليه السلام . فانه لما قال لليهود « من يؤمن بى فله حياة أبدية » طلبوا منه خبزا من السماء ليأكلوا آية على نبوته ، كما أكل اليهود المن والسلوى فى زمان موسى عليه السلام ولما أكلوا وشبعوا ، طفقوا يبحثون عنه ليأكلوا مـرة ثانية « ولما وجدوه فى عبر البحر ، قالوا له : يا معلم . متى صرت هنا ؟ أجابهم يسوع وقال : الحق الحق أقول لكم : أنتم تطلبوننى ليس لأنكم رأيتم آيات ، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم . اعملوا لا للطعام البائد ، **بل للطعام الباقى ، للحياة الأبدية ، الذى يعطيكم ابن الانسان** لأن هذا الله الأب قد ختمه . فقالوا له : ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله ؟ أجاب يسوع . وقال لهم : هذا هو عمل الله : أن تؤمنوا بالذى هو أرسله . فقالوا له : فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا تعمل ؟ آباؤنا أكلوا المن فى البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزا من السماء ليأكلوا . فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم : ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء ، بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء . لأن خبز الله هو النـازل من السماء الواهب حياة للعالم . فقالوا له : ياسيد . أعطنا فى كل حين هذا الخبز . فقال لهم يسوع : أنا هو خبز الحياة . من يقبل الى فلا يجوع ، ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا » [يوحنا ٦ : ٢٥ ـ ٣٥]

لقد بالغ عيسى عليه السلام فى الكلام فقال : **« أنا هو خبز الحياة »** فهل هو رغيف يؤكل ؟ وهل جسده يؤكل كما يؤكل اللحم ؟ انه لايقصد هذا . فليس هو برغيف يكفى الآكلين ، وليس جسده ان كان لحما مشويا يكفى اليهود الواقفين . وانما يقصد بقوله : أن يؤمن اليهود به ، فيحيون سعداء . لأنه « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان . بل بكل ما يخـرج من فم الرب ، يحيا الانسان » [تث ٨ : ٣ مت ٤ : ٤] **فالتعبير مجازى** عن الايمان به ، وليس التعبير على الحقيقة . لكن هل كل الناس يفهمون هذا ؟ ان يوحنا يحكى فى انجيله : « فقال كثيرون من تلاميـذه اذ

سمعوا : هذا الكلام صعب • من يقدر أن يسمعه (١) ؟ » [٦ : ٦٠]

وفى كتب الربانيين مثل يقول : « العادل ياكل من مجد نور الله » وفيها : أن موسى فى « حوريب » اكل من موسيقى الملائكة (٢) اى أن المبالغة فى التوراة وفى الانجيل وفى التلمود : موجودة •

وفى اللغة العربية هذا النوع من الكلام • فالمتنبى الشاعر يقول فى رثاء محمد بن اسحق التنوخى :

ما كنت أحسب قبل دفنك فى الثرى أن الكواكب فى التراب تغـــور
ماكنت آمل قبل نعشك ، أن أرى رضوى على أيدى الرجـال يسير
خرجـوا به ، ولكل بـــاك خلفه صعقات موسى يوم دك الطـــور
والشمس فى كبد السـماء مريضة والأرض واجفـة تكاد تمـــور
وحفيف أجنحة الملائك حـــوله وعيون أهـل اللاذقيـــة صـور
حتى أتوا جدثا • كأن ضريحه فى قلب كل موحـــد : محفـور
كفل الثناء له ، بـرد حيـــاته لمـــا انطوى • فكـــأنه منشـــور

ويقول المتنبى فى مدح سيف الدولة ، وقد عوفى من مرضه :

المجد عوفى • اذ عوفيت والكـرم وزال عنك الى أعدائـــك الألـم

---

(١) يقول الدكتور فردريك : « تمسك اليهود بالحرفية مدهش • اذ الأقوال الحاخامية زاخرة بالتشابيه (لاتيفوت) قارن [مز ١٩ : ١٠ ، ١١٩ : ٣ ، اش ٣ : ١ و أم ٩ : ٥ وحز ٢ : ٨ ، ٩) وجاء فى قول الحاخاميين : « كل أكل أو شرب فى الكتب الالهية يجب أن يفهم على قانون أعمال الرحمة » ـ « سياكل اسرائيل سنى المسيا » [ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣ حياة المسيح]
(٢) هامش ١٩٣ حياة المسيح لفردريك

صحت بصحتك الغارات ، وابتهجت بها المكارم ، وانهلت بها الديم
ولاح برقك لى من عارضى ملك مايسقط الغيث الا حيث يبتسم
وما أخصك فى برء بتهنئة اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

ويقول المتنبى :

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت فى الخدور العواتق

وقال أبو نواس :

يا خير من كان ، ومن يكون الا النبى الطاهر الميمون

وقال البحترى

أجدك ماينفك يسرى لزينبا خيال • اذا آب الظلام تاوبا
سرى من أعالى الشام يجلبه الكرى هبوب نسيم الروض تجلبه الصبا
وما زارنى الا ولهت صبابة اليه • والا قلت : أهلا ومرحبا
ولليلتنا بالجزع بات مساعفا يرينى أناة الخطو ، ناعمة الصبا
أضرت بضوء البدر ، والبدر طالع وقامت مقام البدر لما تغيبا
ولو كان حقا ماأتاه ، لأطفأت غليلا ، ولا فتكت أسيرا معذبا
علمتك ان منيت ، منيت موسدا جهاما • وان أبرقت ، أبرقت خلبا
وكنت أرى أن الصدود الذى مضى دلال • فما ان كان الا تجنبا
فوا أسفى حتام أسأل مانعا وآمن خوانا ، وأعتب مذنبا

... .

ومبالغات الكلام عند العلماء ، يقابلها الأساطير عند العوام والأطفال الصغار • فانهم يحبون الحكايات والنوادر التى تحلق بهم فى أجواء الخيال ، ويحسبون الأساطير قصصا واقعية ، الى أن يكبر

عقلهم وجسمهم ، فيدركون الفرق بين الأساطير والحق ، وبين الخرافات والصدق . والعلماء يخاطبون العامة والأطفال بما يريدون أن يخاطبوهم به ، فى المواعظ والآداب والحكم : عن طريق الحكايات الأسطورية والقصص الخرافية . وأحيانا يروون لهم الحكاية على ألسنة حيوانات تتكلم ، ويحاور بعضها بعضا كمحاورة الآدميين . وهذا موجود بكثرة فى كتاب كليلة ودمنة ، وكتاب الأساطير الذهبية عند النصارى . وعند اليهود من هذا النوع كثير . فى الأسفار المقدسة وفى كتب الأدب . فسفر طوبيا وهو يحكى عن قصة أسطورية فى ثوب مقدس . يريد كاتبه أن يعلم الناس : الاتكال على الله . والصبر على غرار صبر أيوب . وأن لايكون الغرض من الزواج هو الشهوة . وأن صلاح الآباء يفيد الأبناء فى حياتهم ومن بعد موتهم . وأنه يجب على الأب أن يوصى ولده بالتقوى حال الموت ، ويجب على الابن أن يكرم والديه . هذا غرض الكاتب وقد وضعه فى قصة أسطورية ، يعجب بها القارىء والسامع .

ففى الأصحاح الرابع : « واذ خال طوبيا أن قد استجيبت صلاته وتهيأ له أن يموت ، استدعى اليه طوبيا ابنه ، وقال له : اسمع يابنى كلمات فى . واجعلها فى قلبك مثل الأساس : اذا قبض الله نفسى ، فادهن جسدى واكرم والدتك جميع أيام حياتها ، واذكر ما المشقات التى عانتها لأجلك فى جوفها . وما كان أشدها . ومتى استوفت هى أيضا زمان حياتها ، فادفنها الى جانبى . وأنت فليكن الله فى قلبك جميع أيام حياتك . واحذر أن ترضى بالخطيئة ، وتتعدى وصايا الرب الهنا . تصدق من مالك ولاتحول وجهك عن فقير . وحينئذ فوجه الرب لايحول عنك كن رحيما على قدر طاقتك . ان كان لك كثير فابذل كثيرا ، وان كان لك قليل فاجتهد أن تبذل القليل عن نفس طيبة . فانك تدخر لك ثوابا جميلا الى يوم الضرورة . لأن الصدقة تنجى من كل خطيئة ومن الموت . ولاتدع النفس تصير الى الظلمة . ان الصدقة هى

رجاء عظيم عند الله العلى لجميع صانعيها • احذر لنفسك يابنى من كل زنى ، ولاتتجاوز امرأتك مستبيحا معرفة الاثم أبدا • ولاتدع الكبر يستولى على أفكارك أو أقوالك ، لأن الكبر مبدأ كل هلاك • وكـل من خدمك بشىء فأوفه أجرته لساعته • وأجرة أجيرك لاتبقى عنـدك أبدا • كل ماتكره أن يفعله غيرك بك ، فاياك أن تفعله أنت بغيرك • كل خبزك مع الجياع والمساكين ، واكس العراة من ثيابك • ضع خبزك وخمرك على مدفن البار ، ولا تأكل ولاتشرب منهما مع الخطأة • التمس مشورة الحكيم دائما وبارك الله فى كل حين ، واسترشده لتقويم سبلك واقرار كل مشوراتك فيه » [طو ٤ : ١ ــ ٢١]

وخلاصة القصة : أن « غابيلوس » فى مدينة « راجيس » أخـذ من طوبيا الأب مبلغا من المال ، وأعطاه به صكا • وأن طوبيـا أعطى الصك لولده وحامل اسمه طوبيا • وأمره أن يذهب الى « غابيلوس » ولما عزم على السفر ، أرسل الله ملاكا على صورة انسان اسمه « رافائيل » ليدله على الطريق • وأول ليلة بات بجانب نهر دجلة وخرج ليغسـل رجليه ، اذا بحوت عظيم قد خرج ليفترسه • فتغلب عليه ، واحتفظ بقلبه ومرارته وكبده • وقد علمه الملاك أنه اذا ألقى شيئا من قلب الحوت على الجمر ، فان دخانه يطرد الشياطين وأن مرارة الحوت تنفع لمسح العيون التى عليها غشاء فتبرأ • ووصل وأحضر المال ، وتزوج امرأة من سبطه ، قد دخل عليها من قبله سبع رجال فقتلهم الشيطان • أما هو فلم يقدر الشيطان عليه • لأن الملاك قال له : « **استمع • فأخبرك : من هم الذين يستطيع الشيطان أن يقوى عليهم ؟ ان الذين يتزوجون فينفون الله من قلوبهم ويتفرغون لشهوتهم كالفرس والبغل اللذين لافهم لهما ، أولئك للشيطان عليهم سلطان » [طو ٦ : ١٦ ــ ١٧]**

••• •••• •••

وعلى هذا النحو من المبالغة فى الكلام • كتب بعض كتاب الاناجيل قصة عيسى عليه السلام ، بأسلوب أسطورى ، ليقربوها الى عقـــول العامة فى ذاك الزمان •

يقول الدكتور فردريك • و • فارار عن عجائب مكتوبة فى أناجيل صادرتها الكنيسة : « فى اللحظة الرهيبة التى تم فيها الميلاد ، وقف محور الأرض عن الحركة ، وتوقفت الطيور المحلقة عـن الطـيران • وكان رجال صناع جالسين على الأرض ، وأيديهم فى قصعة • فالذين امسكوا اللقمة وقفت أيديهم عن تناولها ، والذين تناولوها وقفت أيديهم عن رفعها ، والذين رفعوها وقفت أيديهم عن تقريبها الى أفواههـم ، والذين قربوها وقفوا عن أكلها ، وشخصت كل الوجوه الى العلاء • وأن غنما كانت تسير فوقفت فجاة وامتدت يد الراعى لتضربها ، فوقفت يده فى الهواء • والغنم التى امتدت أفواهها الى مياه النهر توقفت عن الشرب ، وكل ما كان سائرا أو متحركا فى الوجود ، قد وقف وبطلت حركته (١) »

ويقول الدكتور فردريك عن أساطير قد وردت فى كتب التقـــاليد المخفية عند النصارى : « غير أ نالتقليد الأبوكريفى يخبرنا بأنه أثنــاء الطريق أتت التنانين وسجدت له ، وجاءت الأسود والفهود وخضعت له ، وأزهرت ورود « أريحا » فى كل مكان وطأته قدماه ، وانحنى النخيل بأمره ، ليجتنوا بلحه (٢) »

وفى الأناجيل المقدسة التى لم تصادرها الكنيسة روايات خرافية ، مبالغ فيها من أجل العوام ، ففى الأصحاح الخامس من انجيل مرقس ،

---

(١) حياة المسيح لفردريك ـ ص ٢٧ ـ ٢٨
(٢) حياة المسيح لفرديك ـ ص ٤٨

وفى الثامن من لوقا : أن انسانا كان يصرعه شيطان اسمه « لجئون » ولما ناداه المسيح أن يخرج من هـــذا الانسان ، طلب منـه الشـيطان « لجئون » والذين معه من الشياطين أن يرسلهم ليدخلوا فى قطيـع كبير من الخنازير ، فاذن لهم بالدخول فى أجساد الخنازير وكـــانوا نحو ألفين • ولما دخلوا ، اندفع القطيع الى البحر فاختنق •• وأما رعاة الخنازير فهربوا •

وفى الأصحاح الثامن من انجيل لوقا : أن مريم المجدلية ، كان فى جسدها سبعة شياطين • وأنها لما تابت عن الخطايا ، أخرج المسيح الشياطين السبعة من جسدها • يقول لوقا : « مريم التى تدعى المجدلية ، التى خرج منها سبعة شياطين » [لو ٨ : ٢]

••• •••• •••

ولنذكر أمثلة من تلمود اليهود على الروايات الخرافية كما ذكرنا عن الاناجيل •

١ ـ جاء فى سنهدرين ص ٢ ر ٣٨ أن الله أخذ ترابا من جميع بقاع الأرض ، وكونه كتلة وخلقها جسما ذا وجهين ، ثم شطره نصفين فصار أحدهما آدم والثانى حواء • وكان آدم طويلا جدا ، فكـــانت رجلاه فى الأرض ورأسه فى السماء ، واذا نام كانت رأسه فى المشرق ورجلاه فى المغرب • وصنع الله لآدم طاقة ينظر منها الدنيا ، من أولها لآخرها • ولما عصى آدم نقص طوله حتى صار كباقى الناس •

٢ ـ جاء فى سنهدرين ص ٨ أن النعيم مأوى الأرواح الزكية • وقد وضع « الياس » يوما ما جبة أحد الحاخامات هناك ، فتعطرت من أوراق الأشجار ، وبقيت فيها تلك الرائحة العطرية • ويقدم لهـم أيضا على المائـدة ، لحم ثـور برى كبير جدا ، كان يتغذى بالعشـــب الذى ينبت فى مائة جبل •

وياكلون أيضا لحم طير كبير لذيذ الطعم جدا ولحم أوز سمين للغاية . أما الشراب فهو من النبيذ اللذيذ القديم ، المعصور يوم خليقة العالم .

٣ ـ وجاء فى سنهدرين ص ٢ ر ٥٨ أنه اذا لم يخلق اليهود ، لانعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار والشمس . ولما أمكن لباقى المخلوقات أن تعيش .

... .

واذا كان اليهود قد كتبوا فى التلمود : أنه اذا لم يخلقهم الله لانعدمت البركة من الأرض . اذا كانوا قد كتبوا هذا وأكثر منه فى تمجيد أنفسهم وفيهم الصالح والسفيه . فما الذى يمكن أن تتصوره عن المسيا المنتظر فى كتاباتهم ؟ ان المسيا أملهم فى الحياة الدنيا . وعلى يديه خلاصهم من ذل الأجانب . وهم يزعمون أنه سيكون من جنسهم . فلو انهم أرادوا أن يكتبوا عنه وعن حياتهم معه اذا جاء . فماذا يكتبون ؟ اذا كانوا يقولون عن أنفسهم لولاهم لما أمكن لباقى المخلوقات أن تعيش فماذا يقولون عن المسيا ؟ سيقولون بالتاكيد : لولاه ما خلق الله الأفلاك ، ولولاه ما أوجد الله العالم ، ولولاه ما كانت الدنيا وماتكون الآخرة . سيقولون كلاما كثيرا مثل هذا مبالغة فى تعظيم المسيا . وسيبالغون فى وصف أيامه بالرخاء والأمن ، وسيقولون طوبى لمن ياكل خبزا فى عهده . وكلام مثل ذلك كثير .

ولقد بالغوا فى وصف النبيذ بالقدم . وأرجعوا القدم الى اليوم الثانى من أيام بدء الخليقة . الذى فصل الله فيه السماء عن الأرض ، وفصل بين مياه ومياه . يريدون أن يقولوا : ان خمر الجنة من العنب الذى خلقه الله فى اليوم الثانى من الأيام الستة التى خلق فيها السموات

والأرض • مع أن العشب والبقل والبزر والشجر ذا الثمر ، لم يكن الا فى اليوم الثالث • وهم لم يرجعوه الى اليوم الثالث ، بل أرجعوه الى اليوم الثانى ، مبالغة فى القدم بزيادة يوم •

هذه طريقتهم فى التعبير • ولأن عيسى ومن قبله آباؤه ابراهيم واسحق ويعقوب ـ عليهم السلام ـ أخبروا عن ظهور نبى ، سيأتى ليسير أمام الله وهو كامل كما كان ابراهيم سائرا مع الله وهو كامل • ولأن التوراة نقلت هذا الخبر وأكدت عليه ، كتب اليهود عن هذا النبى بأسلوب مبالغ فيه • كما كتبوا عن خمر الجنة ، وعن أن الله خلقهم للبركة فى الأرض •

* * *

ومما كتبوه عن المسيا فى التلمود (١) بأساليب المبالغة ما يلى :

لما ياتى المسيح (المسيا) تطرح الأرض فطيرا ، وملابس من الصوف ، وقمحا حبه بقدر كلاوى الثيران الكبيرة • وفى ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود ، وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له • وفى ذاك الوقت يكون لكل يهودى : ألفان وثمانمائة عبد ، يخدمونه ، وثلثمائة وعشرة أكوان تحت سلطته • ولكن لا ياتى المسيح الا بعد انقضاء حكم الأشرار ، الخارجين عن دين بنى اسرائيل • ويجب على كل يهودى أن يبذل جهده ، لمنع استملاك باقى الأمم فى الأرض ، حتى أن السلطة تبقى لليهود وحدهم ، لأنه يلزم أن يكون لهم السلطة أينما حلوا • فان لم يتيسر ذلك لهم ، يعتبرون كمنفيين وأسارى • واذا تسلط غير اليهود على أوطان اليهود ، حق لهؤلاء أن يندبوا عليها ويقولوا : ياللعار ويالالخراب • ويستمر ضرب الذل والمسكنة على بنى اسرائيل ، حتى ينتهى حكم الأجانب ، وقبل أن يحكم اليهود نهائيا على باقى الأمم ، يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم ، ويبقى اليهود مدة سبع سنوات متوالية ، يحرقون الأسلحة التى اكتسبوها بعد

---

(١) انظر : الكنز المرصود فى قواعد التلمود

النصر . وحينئذ تنبت أسنان أعداء بنى اسرائيل بمقدار اثنين وعشرين ذراعا ، خارجا عن أفواههم . ويعيش اليهود فى حرب عوان مع باقى الشعوب ، منتظرين ذلك اليوم . وسيأتى المسيح الحقيقى ، ويحصل النصر المنتظر ، ويقبل المسيح وقتئذ هدايا كل الشعوب ، ويرفض هدايا المسيحيين . وتكون الأمة اليهودية اذ ذاك فى غاية الثروة . لأنها تكون قد تحصلت على جميع أموال العالم .

وذكر فى التلمود : أن هذه الكنوز ستملأ سرايات واسعة ، لايمكن حمل مفاتيحها وأقفالها على أقل من ثلثمائة حمار . وترى الناس كلهم حينئذ يدخلون فى دين اليهود أفواجا ، ويقبلون كلهم ماعدا المسيحيين ، فانهم يهلكون لأنهم من نسل الشيطان .

ويتحقق منتظر الأمة اليهودية بمجىء اسرائيل ، وتكون تلك الأمة هى المتسلطة على باقى الأمم عند مجيئه . ا . هـ

وفى التلمود أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة . والألف الخامسة ـ كما يقول يوسيفوس (١) ـ كان هو فيها . وقال : ان الدنيا ستزول بعد موته بألفى عام .

هذا ما فى التلمود عن المبالغة فى تعظيم المسيا . ومما فى التوراة عن المبالغة فى تعظيم المسيا : أنه مكتوب : أن الله تعالى قبل كوكب الصبح ، قد خلقه فى ضياء القديسين . يريد الكاتب أن يقول : ان أولياء الله وأنبياءه تشع وجوههم نورا . وفى نورهم خلق الله المسيا ، قبل ظهور الصباح بقليل ، أى أنه مخلوق قبل خلق العالم ، قبل أن يكون صباح ومساء . والكاتب لايقول بذلك على الحقيقة . وانما هو يقول بأسلوب المجاز المبالغ فيه ، حبا فى ذلك النبى العظيم . وقد ترجم البروتستانت النص بما نصه : « أنا اليوم ولدتك » أى من الآن قدرت وجودك . وعبر بأنه قد وجد ، لتحقق وقوعه . ففى المزمور الثانى لداود عليه السلام

---

(١) يوسيفوس كان معاصرا لعيسى ويحيى عليهما السلام

نبوءة عن المسيا نصها : « لماذا ارتجت الامم وتفكر الشعوب فى الباطل ؟ قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه . قائلين : لنقطع قيودهما ، ولنطرح عنا ربطهما ، الساكن فى السموات يضحك . الرب يستهزىء بهم . حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه . أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون ، جبل قدسى .

انى أخبر من جهة قضاء الرب . **قال لى : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك** . اسألنى فأعطيك الامم ميراثا لك ، وأقاصى الأرض ملكا لك ، تحطمهم بقضيب من حديد . مثل اناء خزاف تكسرهم .

فالآن ياأيها الملوك تعقلوا . تأدبوا يا قضاة الأرض ، اعبدوا الرب بخوف ، واهتفوا برعدة . قبلوا الابن لئلا يغضب ، فتبيدوا من الطريق . لأنه عن قليل يتقد غضبه . طوبى لجميع المتكلمين عليه » [مز ٢]

ان هذه النبوءة نبوءة عن المسيا المنتظر على عادة اليهود فى المبالغة والتعظيم والتفخيم . ولأن اليهود يعترفون بأن الله لم يلد ولم يولد . ونصوص التوراة صريحة فى ذلك ، ولأن عيسى عليه السلام ترجم **« أنا اليوم ولدتك » بقوله : « قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك » فان « ولدتك » فى النبوءة لا تدل على ولادة طبيعية ، بل** تدل على الخلق أزلا ، أى أن الله تعالى قدر فى سابق علمه أن سيخلق العالم ، وفى زمن منه ، سيظهر المسيا ليؤدى رسالة من الله الى الناس . وهذا التقدير الكلى كان فى الأزل ، ثم ان الله تعالى يوجد كل شىء قدره فى الأزل فى زمانه ، الذى عينه لايجاد الشىء فيه .

وقد ولد عيسى عليه السلام مع من ولد من اليهود ، فى زمان اشتد فيه شوق اليهود الى ظهور المسيا ، ليخلصهم من بطش الكافرين بهم . وكان يسمع منهم حبهم للمسيا واستفتاحهم به على الذين كفروا . وكان يعرف أساليبهم فى التعابير عن الأشياء ، على الحقيقة فى الألفاظ ، وعلى المجاز فيها والمبالغة . ولما بشر به ، بشر به ــ عن أمر الله تعالى ــ

على طريقهم فى التعبير . وذلك ليقرب المعانى الى عقولهم بأوضح بيان .

ففى أول خطبة له على جبل الزيتون . تكلم عن المسيا . وقال : انه سيأتى من بعدى . ونطق نبوءة المزمور الثانى وطبقها على المسيا وأثنى عليه . وبالغ فى الثناء عليه وقال : ان الله نبه على مجيئه من قبل مجيئه تعظيما له ، وقال : ان الله خلق نور المسيا فى الأزل ، لأن اليهود من قبله كانوا يقولون بذلك . ولم يرد أن يصدم مشاعرهم فيه ، ولا أن يقلل من نظرتهم اليه . فهم قد كتبوا عنه فى المزمور الثانى والسبعين **« يكون اسمه الى الدهر ، قدام الشمس يمتد اسمه ، ويتباركون به . كل أمم الأرض يطوبونه » [مز ٧٢ : ١٧]**

وهذا نص كلامه :

« تبارك اسم الله القدوس الذى خلق نور جميع القديسين والأنبياء قبل كل الأشياء ليرسله لخلاص العالم كما تكلم بواسطة عبد داود قائلا : « قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك » وأن عيسى حين وضح لهم أنه من نسل اسماعيل . استشهد على ذلك من التوراة أيضا . بدليلين : الدليل الأول من سفر المزامير وهو « قال الله لربى : اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك » والدليل الثانى : من كتاب موسى وهو قول الله لابراهيم : « خذ ابنك بكرك اسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة »

ونورد هنا أمثلة من توراة الأبوكريفا ومن التلمود . ليتضح لنا أن ما سطره برنابا على لسان عيسى عليه السلام صحيح كل الصحة ، حسب ما كان شائعا . يقول القس الدكتور فهيم عزيز : « ولعل أهم كتابين يتكلمان عن المسيا ، هما كتاب أخنوخ ، ثم كتاب مزامير سليمان .

أما من جهة الكتاب الأول وهو كتاب أخنوخ . فقد نسب الى أخنوخ الموجود فى (تك ٥ : ٢١ ـ ٢٤) الذى نقله الله ، ويظن أنه كتب فى مدة طويلة ومؤلفه ليس شخصا واحدا . وان كان شخص واحد قد جمعه من مصادر كثيرة ... ولقد سلم أخنوخ بأن المسيا موجود من البدء وهو أبدى . أى يبقى الى الأبد » ثم يقول : « ويجىء بعد هذين الكتابين آراء معلمى اليهود المدونة فى التلمود ، ولقد ظهر المسيا فى هذه الكتابات فى مركز عظيم لا يفصله عن الله نفسه الا خيط دقيق ، فهو موجود قبل خلق الفلك والأرض ، ويبنون ذلك على أمثال ٨

ويفسر التلمود مزمور ٣٦ : ٩ « لأن عندك ينبوع الحياة ، بنورك نرى نورا » أن النور الذى يريهم النور : هو نور المسيا ... هذا النور رآه ابليس قبل سقوطه ، فصرخ ، وعلم أنه سيذوق على يديه أقسى العذاب » ثم يقول : « هذه هى بعض أفكار معلمى اليهود المدونة فى التلمود عن المسيا (١) » ا . هـ

... .

تلك شواهد من كتب اليهود على المبالغة فى تعظيم المسيا . وفيها يلاحظ :

الملاحظة الأولى : اعتراف « أخنوخ » بأن المسيا موجود من البدء ، وهو أبدى . أى يبقى الى الأبد . وقد نقل اعترافه هذا يوحنا كاتب الانجيل . فانه بدأ انجيله بقوله : « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله » [يو ١ : ١] يريد أن يقول : ان « الكلمة » ـ وهى المسيا ـ كانت فى بدى الخليقة . ومفسرو النصارى مجمعون على أن «الكلمة» فى أول انجيل يوحنا هى المسيا ـ كما نقلنا سابقا عن المفسر «متى هنرى» ـ

---

(١) ملكوت الله للقس فهيم عزيز

وقصد اليهود بأن المسيا موجود من البدء : هو أن الله قد سبق فى علمه الأزلى : أن سيكون فى زمن ما نبى يبلغ كلام الله الى الناس ـ هو المسيا ـ وعبروا عن هذا السبق العلمى بقولهم : انالمسيا موجود من البدء وليس موجودا مخلوقا قائما مع الله ، بل سيوجده الله ويخلقه فيما بعد . هذا ماعند اليهود فى معنى « موجود من البدء »

والنصارى أخذوا التعبير على ظاهره بدون تأويل . وزادوا عبارة على النص ، أوقعتهم فى حيرة وارتباك . قالوا مانصه « فى البدء كان الكلمة . والكلمة كان عند الله . وكان الكلمة الله . هذا كان فى البدء عند الله » لقد زادوا « وكان الكلمة الله » والدليل على زيادتها : قوله فى النص : « هذا كان فى البدء عند الله » أى أن الكلمة كانت عند الله . وليست هى الله . فالذى هو عنده قلم مثلا . يكون القلم مغايرا لمالكه . ولو كنت الكلمة هى الله . والكلمة هى المسيا لكان على زعمهم هذا : أن يكون الله خالق العالم هو المسيا .

واليهود لا يعترفون بأن الله هو المسيا . والنصوص التى تدل على ظهور المسيا ، ليس فيها أن المسيا هو الله . نعم . الأرثوذكس يعترفون بأن المسيا هو الله . لأن مذهبهم فى الأقانيم : أنها ثلاثة مراحل لله عز وجل . أى الله عز وجل دخل فى بطن مريم وصار نطفة وعلقة ومضغة ثم خرج منها فى صورة يسوع المسيح . فيسوع المسيح فى نظر الناس ابنا لمريم وانسان . وحقيقته التى لم يعرفوها ـ كما يزعمون ـ هى حقيقة الاله الخالق للعالم ثم ان اليهود قتلوه وصلبوه ـ أى فى زعمهم قتلوا المسيا الـــه العالم الخـــالق والرازق والقادر على كـــل شىء ـ ثم دفنوه فى قبر وتعذب فيه ثلاثة أيم فى جهنم ، ثم ارتفع الى السماء بعد آن خلص العالم من خطية آدم عليه السلام .

فمذهبهم هذا الذى لايدل عليه عقل ولا نقل يصرح بأن الله عز وجل

هو المسيا . والكاثوليك يرفضون أن يكون الله هو المسيا . ويفصلون بين الله وبين يسوع المسيح . فيقولون : الله اله قائم بنفسه . ويسوع اله قائم بنفسه ويسوع هو المسيا ، والله ليس هو المسيا . ومذهبهم باطل أيضا . لأن نصوص نبوءات التوراة عن المسيا لاتصرح بأنه اله . بل هو بشر كسئر البشر غير أنه معظم بالنبوة والرسالة .

فعبارة سفر أخنوخ وهى أن المسيا موجود من البدء . معناها : أن الله قدر خلقه فى الأزل ، لا أنه خلق جسده وأودعه عنده الى وقت نزوله بالقرآن الكريم . والدليل على ذلك : أن آدم أول الجنس البشرى مخلوق فى اليوم السادس لبدء الخليقة كما جاء فى التوراة . ولم يكن موجودامن البدء ، وقد تناسل البشر من آدم عليه السلام وكل نبى من نسله ، قدر الله وجوده فى الأزل ، ظهر فى الوقت الذى راد أن يظهر فيه .

فاذا قال المسيح عيسى بن مريم عليه السلام : ان المسيا موجود من البدء كما قال أخنوخ . وفسر معنى موجود من البدء بالتفسير الذى نقلنا صورته عنه . فلماذا يتوجه عليه لوم ؟ ان برنابا نقل عن عيسى عليه السلام أنه قال عن المسيا ان الله خلقه قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين . وهذا موافق لترجمة البروتستانت وموافق لسفر أخنوخ . فلماذا يكذبون برنابا وعندهم مثل ما فيه ؟

الملاحظة الثانية : يقول القس فهيم عزيز : ان التلمود يقول : ان المسيا موجود قبل خلق الفلك والأرض . استنادا على الأصحاح الثامن من سفر الأمثال . وعلماء بنى اسرائيل يعنون بأنه موجود المبالغة فى تحقق مجيئه والاستماع منه . لا أن المسيا على الحقيقة موجود قبل خلق الفلك والأرض . بدليل : أن الحكمة وهى وضع الشىء فى موضعه .

صورها الكاتب بصورة رجل يتكلم ويعظ وينصح ٠ وصور الحكمة بصورة رجل قد خلقه الله منذ القدم ، منذ البدء ، منذ أوائل الأرض ٠ وهـذا التصوير يقصد منه الكاتب المبالغة فى تعلم الحكمة والبعد عن الشر ، ولا يقصد أن الحكمة على الحقيقة رجل يتكلم وقد خلقه منذ القدم ٠

يقول الكاتب مانصه عن الحكمة : « الرب قنانى أول طرقه ٠ من قبل أعماله ٠ منذ القدم ٠ منذ الأزل مسحت ، منذ البدء ، منذ أوائل الأرض ٠ اذ لم يكن غمر أبدئت ٠ اذ لم تكن ينابيع كثيرة المياه ٠ من قبل أن تقررت الجبال قبل التلال أبدئت ٠ اذ لم يكن قد صنع الأرض بعد ولا البرارى ولا أول أعفار المسكونة ٠ لما ثبت السموات كنت هناك أنا ٠ لما رسم دائرة على وجه الغمر ٠ لما أثبت السحب من فوق ٠ لما تشددت ينابيع الغمر ، لما وضع للبحر حده ، فلا تتعدى المياه تخمه ، لما رسم أسس الأرض ٠ كنت عنده صانعا وكنت كل يوم لذته فرحة دائما قدامه ، فرحة فى مسكونة أرضه ولذاتى مع بنى آدم ٠

فالآن أيها البنون اسمعوا لى ٠ فطوبى للذين يحفظون طرقى ٠ اسمعوا التعليم وكونوا حكماء ولا ترفضوه ٠ طوبى للانسان الذى يسمع لى ساهرا كل يوم عند مصاريعى ، حافظا قوائم أبوابى ٠ لأنه من يجدنى يجد الحياة وينال رضى من الرب ، ومن يخطىء عنى يضر نفسه ٠ كل مبغضى يحبون المـوت ٠ الحكمـة بنت بيتهـا ٠ نحتت أعمدتهـا السبعة ٠٠٠ » [أمثال ٨ : ٢٢]

هـذا هـو النص عن الحكمـة وهى شىء معنـوى صوره الكـاتب بصـورة حسـية ، صـورة رجـل ينـادى ٠ ولـم تكن الحكمة بهذه الصورة عند الله من قبل أن يخلق السماء والأرض ٠ وكذلك حال المسيا ، بالغ الكتاب فى تصويره كما بالغوا فى تصوير الحكمة ٠ وغرضهم الاهتمام به والاستماع منه والاصغاء اليه ٠ لا أنه على الحقيقة مخلوق قبل العالم ، وكان قاعدا يسبح مع الملائكة ٠

فاذا قال المسيح عيسى عليه السلام عن المسيا قولا شبيها بهـــذا القول عن الحكمة . فلماذا يتوجه عليه لوم ؟

الملاحظة الثالثة : أن المزمور السادس والثلاثين يشير الى المسيا المنتظر فى رأى اليهود . والآية التاسعة وهى : « لأن عندك ينبوع الحياة . بنورك نرى نورا » تشير الى نور المسيا ، وأن نوره كــان فى الأزل مع آدم والملائكة وابليس فى الوقت الذى أمر الله فيه الملائكة بالسجود لآدم وسجدوا الا ابليس فانه أبى واستكبر .

وعلماء بنى اسرائيل لما كتبوا هذا فى التلمود ، وكتبوا أن ابليس رأى نور المسيا قبل أن يعصى الله وصرخ . كتبوا للمبالغة فى أن المسيا سيوجد ، لا أنه كــان موجودا بنوره وجسمه . والمسيح عيسى عليه السلام تكــلم عن المسيا بمثل ما كان يتكلم عنه علماء بنى اسرائيل فى التلمود . فقال : ان ابليس صرخ منه ، وآدم رأى اسمه مكتوبا على باب الجنة . أى أنه بالغ فى تعظيمه كما بالغ كتاب التلمود فى تعظيمه ، وكما بالــغ كاتب الزبور فى قوله عنه « بنورك نرى نورا » وكما بالغوا فى تصوير الحكمة .

وقد بالغ عيسى عليه السلام فى الكلام عن المسيا ، لأن المبــالغة هى التى يتكلم بها اليهود عنه . فلماذا يتوجه عليه لوم ؟ لقد نقـــل برنابا كلام المبالغة عن عيسى عليه السلام ، كما نقل جامعو التلمـــود كلام الربانيين والأحبار المبالغ فيه عن المسيا وغيره . فلماذا يكـذب برنابا ويصدق غيره ؟

أما عن اسم « محمد » ﷺ فى انجيل برنابا . فسبب ذكــره : أن الله تعالى لما قال لابراهيم عليه السلام : « سر أمامى » فى الدعـــوة الى دينى « وكن كاملا » أى قدوة للصالحين . ولما قال ابراهيم لله : « ليت اســماعيل يعيش أمــامك » فى الدعــوة الى دينك ، وقــال الله لابراهيم : قد قبلت دعاءك فى نسل اسماعيل فقد سمعت لك فيه « ها أنا

أباركه وأثمره » لما حدث هذا ، عرف الله تعالى بنى اسرائيل فى التوراة الأصلية اسم النبى الذى سيأتى من نسل اسماعيل ، لتبدأ من وجوده بركة اسماعيل فى الأمم . وهو « محمد » رسول الله ﷺ .

هذا فى التوراة الأصلية .

فماذا حدث من محرفى التوراة ؟ انهم رفعوا اسم « محمد » من التوراة ، ووضعوا بدله كلمة عبرانية هى « بماد ماد » وكلمة عبرانية هى « لجوى جدول » تدل على اسم محمد بالرمز لا بالتصريح ووضعوا الكلمتين فى سياق النص الذى يدل على بركة اسماعيل . وتداول العلماء اسمه بينهم مشافهة على طول السنين . ولما ظهر عيسى عليه السلام صرح بالاسم وأعاده الى مكانه الطبيعى فى أذهان الناس بدل الرمز به بحساب الجمل . وقال : سيأتى محمد رسول الله ، وأن اسم المسيا عجيب ، ان اسمه محمد . وستتبارك فيه كل أمم الأرض . فلماذا يعاب برنابا وقد صرح بالحق الذى سمعه من عيسى عليه السلام ؟ ولماذا يعاب . وعندهم فى انجيل يوحنا « بيركليت الروح القدس » وبيركليت كلمة عبرانية معناها « أحمد » ؟

ان كل ماجاء فى برنابا عن محمد ﷺ على لسان عيسى عليه السلام صحيح كل الصحة . لأن له شواهد فى التوراة وفى الزبور وفى التلمود وفى أسفار الأبوكريفا . كما قد ذكرنا .

الفصـــل الثـامن عشر

فى

المسياء الكذبة

قال عيسى عليه السلام : ان أدعياء النبوة سيكثرون من بعد رحيلى عن هذه الحياة الدنيا ، وكل منهم سيدعى كذبا : أنه « المسيا » الـذى أنبأت عن مجيئه من بعدى . ثم أوصى أتباعه بأن يميزوا بين الآتين من بعده ، ليعرفوا النبى الصادق ويتبعوه . ويكون التمييز بثلاثة أمور :

الأمر الأول : التمييز بمعرفة رجسة خراب دانيال . المذكورة فى انجيل متى .

والأمر الثانى : التمييز بعلامات وأوصاف مذكورة عنه فى متى ومرقس ولوقا .

والأمر الثالث : أن يكون النبى الصادق من نسل اسـماعيل عليه السلام .

يقول متى فى الأصحاح الرابع والعشرين من انجيله : ان تلاميذ عيسى عليه السلام سالوه عن المسيا المنتظر . متى ياتى ؟ لأنه قال عن هيكل سليمان فى أورشليم « انه لايترك ههنا حجر على حجر لاينقض » كناية عن زوال الشريعة من اليهود على يد المسيا . لأن الهيكل هو رمز الشريعة القائم فى نظر اليهود العبرانيين . وأجاب عيسى عليه السـلام

« قال لهم : انظروا لا يضلكم أحد . فان كثيرين سيأتون باسمى قائلين : أنا هو المسيح . ويضلون كثيرين ، وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب . انظروا لا ترتاعوا . لأنه لابد أن تكون هذه كلها . ولكن ليس المنتهى بعد . لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن . ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع . حينئذ يسلمونكم الى ضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمى . وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضا ، ويبغضون بعضهم بعضا ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين ولكثرة الاثم تبرد محبة الكثيرين . ولكن الذى يصبر الى المنتهى فهذا يخلص . ويكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة ، شهادة لجيع الأمم . ثم يأتى المنتهى .

فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس ليفهم القارىء ، فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية الى الجبال ، والذى على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئا ، والذى فى الحقل فلا يرجع الى ورائه ليأخذ ثيابه . وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام . وصلوا لكى لايكون هربكم فى شتاء ولا فى سبت . لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم الى الآن ولن يكون . ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد . ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام .

حينئذ ان قال لكم أحد : هو ذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا ، لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ، ويعطون آيات عظيمة وعجائب ، حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا . ها أنا قد سبقت وأخبرتكم . فان قالوا لكم : هاهو فى البرية فلا تخرجوا . ها هو فى المخادع فلا تصدقوا . لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر الى المغارب . هكذا يكون أيضا مجىء ابن الانسان ... الخ » [مت ٢٤ : ٤ ـ ٢٧]

هذا هو كلام عيسى عليه السلام عن رجسة خراب دانيال ، وعن العلامات التى اذا ظهرت فى العالم ، يعرف أتباع عيسى عليه السلام أن المسيا الرئيس سيأتى بعدها مباشرة ، ويحذر أتباعه من المسحاء الكذبة والأنبياء الكذبة ويوصيهم خيرا بالمسيح الحقيقى ٠ أن يؤمنوا به ويعززوه وينصروه ويتبعوا النور الذى أنزل معه ٠

والعلامات هى : هدم هيكل سليمان ـ ظهور أنبياءكذبة ومسحاء كذبة ـ حروب تقوم بين الأمم ـ حدوث مجاعات وأوبئة وزلازل ـ انتشار الانجيل فى العالم ـ حدوث اضطهاد لأتباع عيسى عليه السلام من اليهود والأمم ٠

وأما عن رجسة خراب دانيال : فان دانيال فى الأصحاح التاسع من سفره قد قال « سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة ، لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الاثم وليؤتى بالبر الأبدى ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين »

وعيسى عليه السلام يقول : ان « **قدوس القدوسين** » هو المسيا الرئيس ، وسيظهر حتما ، وسياتى أتباعه الى أورشليم ليهدموها على المغضوب عليهم من بنى اسرائيل ٠ وسيسمى اليهود يوم وصول أتباعه بالحرب الى أورشليم يوم خراب المدينة والقدس ٠ وهذا مؤكد لأن الله أنبأ به ، وأخبر عنه من قبل ظهوره ٠

جاء فى كتاب تاريخ العرب المطول للدكتور فيليب حتى وآخرين **ما نصه : « ولما سلمت القدس جاءها «عمر» زائرا وأنفذ صلح أهلها وكتب لهم به ، فاستقبلهم البطريرك « صفرونيوس » الملقب بـ « حامى الكنيسة المعسول اللسان » وطاف به على أنحاء البلدة وأراه الأماكن المقدسة ٠ وكان لهيئة الخليفة البسيطة**

ولباسه الرث ، اثر عظيم فى نفس « صفرونيوس » فالتفت الى أحـــد مرافقيه وكلمه باليونانية قائلا : حقا • هذا رجس الخراب الذى تكـلم عنه النبى دانيال ورآه قائما فى المقدس (١) »

وكتبوا فى الهامش هذا المرجع :

Theophotes, p. 339 Coustantione Porphyrogenitus, «De administrando imperio» in I.P. migne, Patrologia Vol. ex iii (Paris, 1891) Col. 109.

وأما انه سيكون م ننسل اسماعيل عليه السلام • فللبركة التى وعد الله بها آل اسماعيل • فان الله تعالى لما قال لابراهيم « **سر أمامى وكن** كاملا » قال ابراهيم لله : « **ليت اسماعيل يعيش امامك** » فى الدعـــوة الى دينك فقال الله لابراهيم : « **وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه • ها أنا أباركه** » ولهذه البركة قال عيسى عليه السلام لعلماء بنى اسرائيل : « **ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » [متى ٢١ : ٤٣]**

... .

ولقد حـذر عيسى عليه الســلام من المسحاء الكذبة ، وحقا قـد ظهر من بعده مسحاء كذبة • يقول متى هنرى المفسر : « **يحدثنـــا « يوسيفوس » عن كثيرين من هـؤلاء المـدعين الذين ظهروا بين ذلك الوقت وخـراب أورشـليم • أحدهـم « تيوداس » الذى هـزم أمـــام « كوسبيوس فاروس » وآخر غلب على أمره ، أمام « فليكس » وغيرهما امام « فستوس » وقال « دوستيوس » : انه هو المسيح الذى تنبأ عنـه موسى (٢) انظر رسـالة اوريجانس ضـد كلس (أع ٥ : ٣٦ ـ ٣٧) وادعى « سيمون » الساحر انـه قـوة الله العظيمة (أع ٨ : ١٠) وفى**

---

(١) ص ٢٠٨ القسم الثانى من تاريخ العرب المطول
طبعة دار الكشاف ـ بيروت سنة ١٩٥٨ م

(٢) هذا يدل على أن المسيح الحقيقى الذى هو المسيا الذى نبه **عليه موسى فى الأصحاح الثامن عشر من سـفر التثنيه ماكان قـد أتى بعد**

الأجيال المتعاقبة ، وجد أمثال هؤلاء المدعين . ظهر واحد بعد المسيح بمائة سنة ، دعا نفسه « باركو كوبـاس » أى ابن نجـم (١) » ا . هـ

وقد ظهر بعد الاسلام فى « الموصل » رجل سمى نفسه بـ « مناحيم بن سليمان » واسمه الأصلى : « داوود بن سليمان » أو داوود الرائى ويعرف بابن الروجى ، وكتب الى اليهود القرائين المتفرقين ، بنواحى « آذر بيجان » وما والاها أنه قائم قد غار لليهود من يد المسلمين ، ولما وصل خبره الى بغداد ، **اتفق اثنان من مشايخ اليهود على أن يذيعا أنه هـو « المسيا المنتظـر »** وأن الفرج الذى كان اليهود ينتظرونه ، ها هو قد جاء على يديه ، فانقاد اليهود البغداديون ، وذهبوا بأموالهم وحليهم الى ذينك الشيخين **ليتصدقوا على المستحقين .**

ذكر هـذا الخبر شموئيل بن يهـوذا . وعـلق عليـه بقوله : **« انهم الى الآن يفضلونه على كثير من أنبيائهم ، ومنهم من يعتقد أنه المسيح المنتظر بعينه (٢) »**

وظهر فى أيام الأتراك العثمانيين رجل يسمى بـ « شبتاى تسيفى » وأعلن أنه « المسيح المنتظر » وقد جاء مصر ، وساعده اليهود المقيمون بها . ولمـا قـوى نفوذه وسـمع باخبـاره « أحمـد كوبريللى » فى « القسطنطينية » أصدر أمره بالقبض عليه وسجنه . وقد استدعاه السلطان « محمد الرابع » لينظر فى أمره ، فاعلن اسلامه ، وسمى نفسـه « محمد افندى » ولقبه التركى « قاتوجى باشا ايطراق » أى « خادم الأعتاب » (٣)

وما يزال اليهود الى هذا اليوم الذى أؤلف فيه هذا الكتاب ينتظرون

---

(١) ص ١٢٤ ـ ١٢٥ ج ٤ تفسير متى ـ متى هنرى
(٢) ص ٦٦ ـ ٦٧ بذل المجهود
(٣) ص ١٤٥ الفكر الدينى الاسرائيلى أطواره ومذاهبه

« المسيا » ولايعترفون بأن « المسيا » هو عيسى بن مريم عليه السلام ٠ فقد أعلن متحدث باسم طائفة « ناتورى كارتا » اليهودية ٠ أن الطائفة ستطلب من الرئيس الأمريكى « نيكسون » فى « واشنطن » بحث طلبها الخاص بعودة مدينة « القدس » الى العرب ٠ والجدير بالذكر أن أعضاء طائفة « ناتورى كارتا » ـ ٦٠ ألفا ـ لا يعترفون بدولة اسرائيل ٠ على أساس أن دولة ما تحمل هذا الاسم ، لا يمكن أن تنشأ الا مع عودة المسيح ٠ المسيا المنتظر (١) ٠

وادعى النبوة من النصارى « **مونتانوس** » و « مانى » الفارسى ٠ وادعى النصارى ـ **للتشكيك فى نبوة محمد** ﷺ **ـ أن المسيا هو عيسى عليه السلام** ، وسوف يأتى فى نهاية الحياة الدنيا ليؤسس ملكه فى العالم ٠ وادعوا أن محمدا ﷺ « **مسيح دجال** » قد أدعى النبوة ليضل العالم ، ويصرفهم عن دين النصارى ، وادعوا أن عيسى عليه السلام سوف يأتى فى نهاية الحياة الدنيا ليقتل المسيح الدجال ٠ تلك دعاويهم الباطلة ٠ وقد تنبه الناس لها ، وعلموا يقينا : أن محمدا ﷺ هو خاتم النبيين ٠ وامام المرسلين ، وسيد ولد آدم ولا فخر ولا نبى من بعده ولا مسيح ، ولا مسيخ « ومن يبتغ غير الاسلام دينا ٠ فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »

---

(١) جريدة الأهرام المصرية ١٩٧٤/٧/٥ والأخبار ١٩٧٤/٧/٦

خاتمة
فى
المسيا وخلاص اهل الكتاب على يديه

أنجب النبى ابراهيم عليه السلام ـ الذى اصطفى الله آلـه على العالمين ، للهداية وعمل الخير . اسماعيل من « هاجر » واسحق من « سارة » وأنجب من « قطورة » : زمران ويقشان ومدان ومديـــان ويشباق وشوحا . وجعل الله هداية الأمم فريضة ، على نسل اســـماعيل واسحق ـ عليهما السلام ـ يبدأ نسل اسحق أولا ، ومن بعده بنـــو اسماعيل . ففى التوراة : « ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ، ظهر ابن الرب لابرام ، وقال له : أنا الله القدير . سر أمامى وكن كاملا ، فاجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جدا » [تك ١٧ : ١ ـ ٢] « وقال الله لابراهيم : ساراى امرأتك لاتدعوا اسمها ساراى ، بل اسمها سارة ، وأباركها وأعطيك أيضامنها ابنا . أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون » [تك ١٧ : ١٥ ـ ١٦] « وقال ابراهيم لله : ليت اســـماعيل يعيش أمامك . فقال الله : وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنــا أباركه وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد ، وأجعله أمة كبيرة » [تك ١٧ : ١٨ ـ ٢٠]

وقد اصطفى الله موسى من بنى اسحق على الناس برسالاته وبكلامه . وبه وبالملوك المجاهدين فى سبيل الله من بنى اسرائيل ، تحققت بركة اسحق فى الأمم . وقد نبه موسى ع نأمر الله تعالى على نبى سيأتى بعده من بنى اسماعيل ، ليقود الأمـم . وبه وبالملوك المجاهـدين في سبيل الله من بنى اسماعيل ، تتحقق بركة اسماعيل فى الأمم . كما فى القرآن الكريم عن اسماعيل الذبيح وعن اسحق : « وباركنا عليه وعلى

اسحق . ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين » وكما فى التوراة عنهما أن الله قال لابراهيم : « باسحق يدعى لك نسل ، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك » [تك ٢١ : ١٢ ـ ١٣]

وعلماء بنى اسرائيل فى مدينة « بابل » من بعد سنة ٥٨٦ ق.م. حرفوا التوراة لتكون شريعة لبنى اسرائيل من دون الناس ، وكتبوا نصوص النبوءات عن النبى الآتى من اسماعيل ، للبركة ، بأسلوب ملتوى ، يدل عليه ، وقد يدل على نبى يظهر منبنى اسرائيل . ولقبوه بلقب « المسيا » الذى تفسيره المسيح . وقالوا : **اذا ظهر المسيا سيخلصنا من استعباد الأمم . وسيطهر « فلسطين » من رجس الأجانب عن شعب اسرائيل . وفى أيامه سننتصر على الكفار ، وسنسود على أمم الأرض ، وسيعم الرخاء ويكثر الخير .**

وقد أرسل الله لبنى اسرائيل فى آخر أيام بركة اسحق نبيين كريميين ،لينبها بنى اسرائيل والأمم على انتهاء بركة اسحق ، وابتداء بركة اسماعيل بمحمد ﷺ هما يحيى وعيسى ـ عليهما السلام ـ فقد قال متى : « وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا : توبوا : لأنه قد اقترب ملكوت السموات » [مت ٣ : ١ ـ ٢] « من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ، : توبوا ، لأنه قد اقترب ملكوت السموات » [مت ٥ : ١٧]

وبعد رفع المسيح عيسى بن مريم الى السماء نهض « بولس » وجماعة من اليهود ، ليقولوا للناس : ان النبى الذى ننتظره من بعد موسى ، ليقود الأمم ، والملقب بلقب المسيا الذى تفسيره المسيح ، هو يسوع . وما كنا نعرف أنه هو ، أيام كان حيا على الأرض . [أعمال ٩ : ٢٠ ، ٢٢] والآن تحققنا أنه هو ولا نبى من بعده الى يوم الدين . هذا هو ادعاء بولس ومن معه من اليهود . **وبهذا الادعاء صار خلاص**

اليهود على يد عيسى عليه السلام من ذل الأجانب . لكن أكثر اليهود رفضوا كلام بولس . لأن المسيح بن مريم لم يخلصهم من ذل الأجانب . وقال لهم : « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » ودفع هو الجزية لجنود الرومان بواسطة بطرس [مت ١٧ : ٢٧] وعندئذ قال لهم بولس هو والضالون الذين كانوا معه من اليهود : ان مفهوم الخلاص عندكم **خاطىء** والمفهوم الصحيح للخلاص : هو الخلاص الروحى بالتوبة من الخطايا وباعتراف القلب بأن يسوع هو الله وقد ظهر فى الجسد . أى لاتنتظروا مخلصا ملكا محاربا ، مثل داود وسليمان أو مثل موسى ويشوع . فان التوبة من الخطايا والايمان بيسوع هما الخلاص من ذل الأجانب ومن شرور النفس . **هذا هو ما قاله بولس عن الخلاص .**

فاليهود الى اليوم ينتظرون المخلص لهم من **الذل والهوان ، ملكا محاربا منتصرا ، يقيم الدولة فى فلسطين ،** ويستعبد الشعوب . **والنصارى لاينتظرون مخلصا ملكا . ولا مخلصا عبدا . فعندهم أن الخلاص هو بيسوع والتوبة من الخطايا .** والمسلمون لاينتظرون مخلصا . لأن محمد ﷺ هو خاتم النبيين ، وهو المسيا الذى كان اليهود يستفتحون به على الذين كفروا .

وعلماء المسلمين الذين كتبوا فى دلائل نبوة محمد ﷺ قالوا : ان محمدا ﷺ **عنه نبوءات فى التوراة . لأن لاسماعيل بركة .** وذكروا هذه النبوءات :

١ ـ « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه » [تك ١٧ : ٢٠]

٢ ـ « وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى ، فتلدين ابنا ، وتدعين اسمه اسماعيل ، لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وانه يكون انسانا

وحشيا . يده على كل واحد ويد كل واحد عليه » [تك ١٦ : ١١ ـ ١٢]

٣ ـ « لايزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه ، حتي ياتي شيلون ، وله يكون خضوع شعوب » [تك ٤٩ : ١٠]

٤ ـ « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون » [تث ١٨ : ١٥]

٥ ـ « هم أغارونى بما ليس الها . أغاظونى بأباطيلهم . فانا أغيرهم بما ليس شعبا . بأمة غبية أغيظهم » [تث ٣٢ : ٢١]

٦ ـ « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته . فقال : جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبل فاران » [تث ٣٣ : ١ ـ ٢]

وهذه النبوءات هى التى تدل على « المسيا الذى تفسيره المسيح » المسيا الذى يؤمل اليهود فى الخلاص على يديه من ذل الأجانب والتمتع بخيرات الشعوب . فيكون المسيا هو محمد ﷺ .

ففى الجزء الأول من كتاب « الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح » لنعمان بن محمود الآلوسى مفسر القرآن الكريم ذكر النبوءات السابقة ويبين أنها تصدق على محمد ﷺ

وهذه النبوءات التى ذكرها « الآلوسى » وكل العلماء الذين كتبوا فى هذا الموضوع ، لتدل على محمد ﷺ هى التى تدل على « المسيا » فى نظر أهل الكتاب . وعلى هذا الاجماع لا يصح لمسلم أن يلقب النصرانى بلقب « مسيحى » وانما يلقبه بلقب نصرانى . لأنهم

يفتخرون بقولهم « انا نصارى » وعلى المسلمين أن يعاملوا النصارى معاملة طيبة ـ اذا أدوا الجزية ـ ففى قلوبهم رحمة ورأفة . كما قال تعالى : « ثم قفينا على آثارهم برسلنا ، وقفينا بعيسى بن مريم . وآتيناه الانجيل . وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة » [الحديد ٢٦]

وقال تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا : الذين قالوا : انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ، ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق . يقولون : ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » [المائدة ٨٢ ـ ٨٣]

[تم كتاب المسيا المنتظر نبى الاسلام ﷺ]

وكان الفراغ من تاليفه فجر يوم الاثنين الخامس عشر من شعبان من سنة سبع وتسعين وثلثمائة وألف من الهجرة . الموافق أول اغسطس من سنة سبع وسبعين وتسعمائة وألف من الميلاد ، بحمد الله تعالى وتوفيقه .

د / أحمد حجازى أحمد السقا

عنوان المراسلات :

٣٩ شارع الزهور ـ عزبة مرسى خليل

ـ الزيتون ـ القاهرة

مصادر الكتاب ومراجعه

- القرآن الكريم
- التفسير الكبير للامام فخر الدين الرازى ـ المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٨ هـ
- الجامع لأحكام القرآن للامام القرطبى ـ دار الكاتب العربى بمصر ١٩٦٧ م
- الكشاف للامام الزمخشرى ـ مطبعة الحلبى بمصر سنة ١٩٤٨ م
- تفسير الآلوسى البغدادى المسمى بروح المعانى ـ طبعة منير بمصر
- الكتاب المقدس ـ ترجمة البروتستانت بمصر سنة ١٩٧٠ م
- الكتاب المقدس ـ ترجمة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٦٨ م
- الكتاب المقدس

The Serusalem Bible – Alexander – Jones – 1968.

- الكتاب المقدس ـ الأسفار القانونية التى حذفها البروتستانت مطبعة الكرنك سنة ١٩٧٧ م بمصر
- انجيل برنابا ـ طبعة صبيح بمصر سنة ١٩٥٨ م
- اظهار الحق ـ الشيخ رحمت الله بن خليل الله الهندى ـ المطبعة العلمية بمصر سنة ١٣١٥ هـ

- أعلام النبوة للماوردى ـ طبع الكليات الأزهرية سنة ١٩٧١

- أدلة اليقين فى الرد على مطاعن المبشرين المسيحيين ـ الشيخ عبد الرحمن الجزيرى ـ مطبعة أسعد بمصر سنة ١٩٣٤

- أعجب العجب فى شرح لامية العرب للزمخشرى ـ طبعة عبد الرحيم بمصر سنة ١٣٢٤ هـ

- ايمانى أو قضايا المسيحية الكبرى ـ تاليف القس الياس مقار ـ دار الثقافة المسيحية بمصر سنة ١٩٧٣

- بذل المجهود فى افحام اليهود ـ شموئيل بن يهوذا بن آبون ـ مطبعة الفجالة الجديدة بمصر

- بروتوكولات حكماء صهيون

- تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث ـ سعد بن منصور بن كمونة الاسرائيلى البغدادى ـ عنى بنشره : موسى بركلمان ـ طبعة جامعة كاليفورنيا سنة ١٩٦٧ م

- تفسير الكتاب المقدس ـ تاليف جماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسيس دافدسن ـ بيروت سنة ١٩٦٣

- تفير انجيل يوحنا ـ متى هنرى ـ ترجمة القس مرقس داود ـ مطبعة المحبة بمصر سنة ١٩٦٧ م

- تفسير انجيل يوحنا ـ الانبا أثناسيوس ـ مطبعة المحبة بمصر سنة ١٩٧٦

- تفسير انجين متى ـ لمتى هنرى ـ ترجمة مرقس داود ـ مطبعة المحبة سنة ١٩٦٧

ـ التلمود والصهيونية ـ الدكتور أسعد رزوق ـ طبعة منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث سنة ١٩٧٠ م

ـ تاريخ العرب المطول ـ القسم الثانى ـ الدكتور فيليب حتى وآخرين ـ طبعة بيروت دار الكشاف ١٩٥٨

ـ التاريخ ما تقدم عن الآباء ـ أبو الفتح بن أبى الحسن السامرى ـ طبع جوتا بالمانيا سنة ١٨٦٥ م

ـ التلمود شريعة اسرائيل ـ سلسلة كتب سياسية بمصر

ـ التلمود ـ طبعة سونسينو سنة ١٩٦١ ٠ م

ـ التوراة عرض وتحليل ـ الدكتور فؤاد حسنين على ـ مطبعة دار المستقبل بمصر سنة ١٩٤٦ م

ـ الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ـ تأليف نعمان بن محمود الآلوسى مطبعة لاهور

ـ الفكر الدينى الاسرائيلى ـ أطواره ومذاهبه ـ للدكتور حسن ظاظا ـ طبعة مصر سنة ١٩٧١ م معهد البحوث والدراسات العربية ٠

ـ حياة المسيح ـ الدكتور فردريك ٠ و ٠ فارار ـ تعريب الدكتور جورجى عقداوى ـ مطبعة النيل المسيحية بالمنصورة سنة ١٩٤٩ م

ـ خلاصة الترجيح للدين الصحيح ـ الشيخ محمد بن على الطيبى الدمشقى ـ هامش اظهار الحق ـ المطبعة العلمية بمصر سنة ١٣١٥ هـ

ـ دائرة المعارف اليهودية

ـ دلالة الحائرين لموسى بن ميمون ـ تحقيق الدكتور حسين آتاى ـ طبعة أنقرة ١٩٧٣

ـ رحلة بنيامين ـ الرحالة بنيامين بن يونة التطيلى النبارى الأندلسى ـعلق عليها عزرا حداد ـ المطبعة الشرقية ببغداد سنة ١٩٤٥ م

- رسالة فى اللاهــوت والسياســة - سبينوزا - الهيئة المصرية العــــامة للتاليف والنشر سنة ١٩٧١ م

- السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديـم - طبعة بيروت ســنة ١٩٧٣ م

- السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة - الأستاذ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبه - دار الطباعة المحمدية بمصر سنة ١٩٧٠ م

- شرح سفر أعمال الرسل - الدكتور لورانس براون - نقله الى العربية حبيب سعد - صدر عن جمعية نشر المعارف المسيحية بمصر

- قصص الأنبياء - الشيخ عبد الوهاب النجار - طبعة الحلبى بمصر سنة ١٩٦٦ م

- قصة الحضارة - و ل ديورانت • الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية

- الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسـئلة الفاجـرة من الملة الكافرة - للامام القرافى - على هامش

- الفارق بين المخلوق والخالق - مطبعة الموسوعات بمصر سنة ١٩٢٢ م

- الكنز فى قواعد اللغة العبرية - محمد بدر - المطبعة التجارية الكبرى بعابدين - مصر سنة ١٩٢٦ م

- الكنز المرصود فى قواعد التلمود

- المسيحية - الأستاذ الدكتور أحمد شلبى - مطبعة النهضة المصرية سنة ١٩٦٥ م

- المسيح اله ام انسان ؟ - محمد مجدى مرجان - دار النهضة العربية سنة ١٩٧٠ بمصر

ـ المسيح فى جميع الكتب ـ ا ٠ م ٠ هودجكن ـ مطبعة النيل المسيحية بيروت سنة ١٩٧٢ م

ـ المنتخب الجليل فى تخجيل من حرف الانجيل ـ الشيخ أبو الفضل المالكى المسعودى ـ مطبعة التمدن بمصر سنة ١٣٢٢ هـ

ـ الملل والنحل للشهرستانى ـ تخريج محمد بن فتح الله بدران ـ طبع الانجلو المصرية

ـ الفصل فى الملل والأهواء والنحل ـ ابن حزم الأندلسى ـ المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٣١٧ هـ

ـ الوساطة بين المتنبى وخصومه

ـ موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ـ تأليف واشراف الدكتور عبد الوهاب محمد المسيرى ـ مطابع الأهرام بمصر سنة ١٨٧٥ م

ـ مخطوطات البحر الميت وجزيرة قمران ـ الدكتور أسد رستم ـ سنة ١٩٥٩ م

ـ ملكوت الله ـ القس فهيم عزيز ـ المطبعة الفنية الحديثة بمصر سنة ١٩٧٠ نشر دار الثقافة المسيحية

ـ نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق ـ يوسف رزق الله غنيمة ـ مطبعة الفرات ببغداد سنة ١٩٢٤ م

ـ يسوع المسيح فى ناسوته والوهيته ـ الدكتور هانى رزق ـ مطبعة النصر بمصر سنة ١٩٧١ م

ملاحظة :

ترتيب المصادر والمراجع على ا ٠ ب ٠ ت وليس على الأبجدية التى هى فى الأصل عبرانية ٠

فهرس كتاب المسيا المنتظر

رقم الصفحة — الموضوع

...

...

رقم الايداع ٥٢٤١ / ٨٦

صـواب وخطـأ

الصفحة	السطر	الصـواب	الخطـأ
١٢	٨	والتسعائة	والسبعمائة
١٥	٩	هى ، وولدها	هى ولدها
٣٤	١	المجدلية	أرد جلية
٥٢	٢٢	وهذا شائع عندهم (٢) » وحساب الجمل ـ بضم ٠٠ الخ	
٦٨	٢٥	وموضع الذبح	ومريا
٩٢		سطر ١٠ يوضع بعد سطر ١٨	
١٠٧	٩	من أمته	منه آمنه
١٠٩	١٤	السلام	السلام ٢ ـ
١١٨	١١	الله قال للمسيح	الله المسيح
١٤٣	١٠	أسرع الى	أســرع
١٤٤	١٤	جاء فى التوراة	جاء التوراة
١٥٦	١٦	ويقول	ويقـل
١٥٦	١٧	الأعرابى : «	الأعرابى »
١٥٧	١٣	الخ » وذكر	الخ « ذكر »
١٦٧	١٣	هنا ، وفى	هذا فى
١٨٥		بعد سطر ٢٤ لا أمانة فيهم » [تث ٣٢ : ٢٠] وقال أيضا : انهم	
٢٠٢		بعد سطر ١٨ ذا الانسان ٠	
٢٠٨	٢٠	ابراهيم عينيه ونظر	ابراهيم ونظر
٢٣٩	٤	تعلمون	تعلمون
٢٥٤	٢٠	بــدء	بدى
٢٦٧	٩	ظهــر	ظهر ابن
٢٦٧	١٦	أباركهو وأثمره	ـــــ
٢٦٨	١٧	يكرز ويقول	ـــــ



مؤلف الكتـــاب

اقرأ بعد كتاب المسيا المنتظر ، كتاب

أقانيم النصارى

أصلها ـ وتطورها ـ ونقدها

هـذا الكتـاب

لما قاوم النبى ابراهيم ـ عليه السلام ـ عبادة الاصنام ونجـاه الله ـ تعالى ـ قال له : « اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك الى الأرض التى أريك . فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك . وتكون بركة وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه . وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » ولما ذهب مهاجرا الى الأرض التى بارك الله فيها للعالمين « قال له : أنا الله القدير . سر أمـامى » فى دعـاء الناس الى دينى « وكن كاملا » أى قدوة فى عمل الخير « فأجعل عهدى بينى وبينـك وأكثرك كثيرا جدا » وبين له أنه سيبارك جميع قبائل الأرض فى نسل ولديه اسماعيل واسحق . أى سيكون فى ذريتهما النبوة والكتاب ، فى قوله : « باسحق يدعى لك نسل . وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنـه نسلك » وقد بدأت البركة فى اسحق بموسى . وأكد موسى على مجئ نبى من بعده مماثل له فى آل اسماعيل ، لتبدأ به فى الأمم بركة اسماعيل فقال : « قال لى الرب : قد أحسنوا فى ماتكلموا . أقيم لهـم نبيا من وسط اخوتهم مثلك . وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به » وعلماء بنى اسرائيل فى سبى « بابل » أطلقوا على النبى الآتى من اسماعيل ـ عليه السلام ـ لقب « مسـيا الذى تفسيره المسيح » ليوهموا العـالم أن النبى الآتى سيكون من بنى اسرائيل لا من بنى اسماعيل . وظهر يحيى وعيسى فى آخر أيام بركة اسحق لينبها اليهود والأمم على أن النبى الذى لقبه اليهود بلقب المسيا ، سيأتى قريبا من العرب بنى اسماعيل المبارك فيه من الله عز وجل . فقد حكى متى أن عيسى قال لعلماء بنى اسرائيل : « ان ملكوت الله ينزع منكم . ويعطى لأمـة تعمل أثماره » ولما رفع عيسى الى السماء ، تظاهر فريق من اليهـود باعتناق دعوته وادعوا أن عيسى هو كان المسيا ولا مسـيا من بعده ، ليختموا به النبوة الى يوم القيامة . وما يزال اليهود الى اليوم ينتظرون هذا النبى الكريم . والمسلمون قد بينوا لهم فى أكثر من كتاب أنه هو محمد رسول الله . ولا نبى من بعده ولا رسول . لما جاء فى التوراة عن اسماعيل : « وأما اسماعيل . فقد سمعت لك فيه . هـا أنـا أباركه . وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة »

مطبعـة التضـامن

٢٢ شارع سامى ـ ميدان لاظوغلى

تليفون : ٣٥٥٠٥٥٦